الألف كتاب
الثانى
٢٩٧

ايمانويل هيمان

# الأصولية اليهودية



ترجمة: سعد الطويل
مراجعة: د. جمال أحمد الرفاعى

الهيئة المصرية
العامة للكتاب

اهداءات ٢٠٠٣

أسرة المرحوم الأستاذ/محمد سعيد البسيوني

الإسكندرية

الألف كتاب الثاني

نافذة على الثقافة العالمية

# الأصولية اليهودية

تأليف

إيمانويل هيمان

ترجمة

سعد الطويل

مراجعة

د. جمال أحمد الرفاعي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٨

هذه هى الترجمة العربية الكاملة لكتاب :

AU COEUR

De L'INTEGRISME

JUIF

FRANCE, ISRAEL, ETATS-UNIS

PAR

EMMANUEL HAYMANN

١٩٩٦

# فهـــــرس

# مقـــــدمة

يعد مفهوم الأصولية واحدا من المفاهيم التى اتسمت بكثرة الرواج والاستعمال خلال الآونة الأخيرة ، غير أن هذا الرواج شابه قدر كبير من عدم الدقة فى تحديد المعنى والدلالة ، ومن ثم فقد ظل هذا المفهوم فى الأغلب الأعم مفهوماً فضفاضا لا يخلو من العمومية والتبسيط فى وصف ظاهرة الأصولية ، التى تعد ظاهرة اكثر تعقيدا عما تبدو ، فضلا عن أنها لا تخلو من التغيير والتطور رغم أنها ترتبط فى الأذهان بالثبات والجمود .

وعند التفكير فى دلالات هذا المفهوم تواجهنا العديد من المفـردات المرتبطة به مثل : **الأصل ، والتأصيل ، والأصالة ، والأصيل** . وبرغم الترابط الاشتقاقى الذى يقرب بين دلالاتها جميعا ، فان هنـاك بعض التمايزات فيما بينها قد يكون من المفيد بادىء ذى بدء تحديدها . **فأصل** الشىء هو المبدأ الذى نشأ عنه الشىء والذى ينتسب اليه ، فهو الجـذر أو السبب أو الشرط « واجب الوجود » . أما **التأصيل** فقد يعنى كشف هذا الأصل أو هذا الجذر أو تحديد طبيعة الانتساب اليه ، أى تحديـد هويته من حيث النشأة . ولا يعنى التأصيل البحث عن العلة الأولى بقدر ما يعنى بالبحث عن الأسس التى تقوم عليها ظاهرة من الظواهر أو واقع اجتماعى معين . أما **الأصالة** فقد تعنى تأكيد الانتماء الى الأصل أو التمسك به ، سواء أكان أصلا عرقيا أم دينيا أم ثقافيا على أنها قد تعنى صفـة تنسب الى عمل ما يتسم بأنه غير مسبوق ، بمعنى أن يكون بدءا جديدا وأصلا مستحدثا . وهنا تكون الأصالة مرادفة للابداع ، أى الأصل غير المسبوق . وعلى هذا **فالأصيل** قد يكون بمعنى الامتداد الصافى لأصـل سابق ، وقد يكون على العكس من ذلك تماما ، أى يكون الأصل الجديد المستحدث الذى يتميز بالذاتية الخالصة المغايرة لكل ما عداها . ولهذا نقول عن الحجر الكريم بأنه أصيل غير مخلط ، أى أنه هو نفسه متميز عما سواه ، ولهذا تطلق عليه كذلك صفة أنه حر ، فهو حـر أصيل ، بمعنى أن قيمته فى ذاته ومن ذاته غير متوقفة على غيره .

أما الأصولية فى معناها اللغوى السابق فهى وان تكن تنطوى على دلالات الانتساب الى الأصل أو الى الأصـول ، أو تتداخـل فى معنى التأصيل والأصالة ، فهى فى معناها الاصطلاحى تعنى شيئا مختلفاً ومغايراً تماما ، فهذه المفردات التى ذكرناها من قبل تدخل فى حيز البحث عـن الهوية أو الحقيقة والتطلع الى الجدة والابداع .

أما الأصولية اصطلاحا فتختلف وتتمايز عن هذه المفردات جميعـا وتنطوى على دلالة شديدة الخصوصية ، فالأصولية هى الرؤية التى تتخذ من الأصل ، سواء أكان دينيا أم سياسيا أم عرقيـا ، مرجعاً أساسياً وسندا مطلقا نهائيا .

ويستخدم مفهوم « الأصولية » كاصطلاح على مناخ وطرائق شتى تكاد تفقده قدرته على وصف وتحليل الشىء المقصود فعلا . وبالرغم من أنه قد سيطرت على الباحثين والكتاب نزعة ربط هذا المفهـوم بحيز الدين ، وقصره على التيارات الدينية المتشددة وخاصة الاسلامية منها الا أن هذه النزعة لا تصيب الحقيقة فى شىء اذ اننا نجد فى كل المجتمعات والأفكار والحقب التاريخية والعصور أصولية ما ، ومن هنا فمن الأحرى أن يكون الحديث عن أصوليات وليس عن الأصولية .

وفى الوقت الذى سادت فيه أصـوليات شتى فى مختلف المذاهـب الدينية والفكرية ، الا أنه يلاحظ وجود اتجاه يضيق المفهوم ويحصره فى أديان وثقافات بعينها ، فصار هذا المفهوم خلال العقدين الماضيين وخاصة منذ تفجر الثورة الاسلامية فى ايران أكثر ارتباطا بالاسلام والمسلمين ، بل وأصبح مفهوم الأصولية يعنى جماعات الاسلام السياسى .

وسنحاول فى هذا المقام أن نلقى الضوء على تاريخ هذا المفهوم بغرض التعرف على دلالاته الرئيسية ، ومسـار تطـورها ، فيـرى الباحث « جيمس بار » أن هذه الكلمة جاءت من عنوان سلسلة نشرات أو كتيبات سميت الأصول أو الأساسيات Fundamentals ، وظهرت هذه السلسلة فى الولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة الممتدة من عام ١٩١٠ حتى عام ١٩١٥ ، وكانت ترسل مجانا الى القساوسـة والمبشرين واللاهـوتيين ومدارس الأحد وسكرتيرى جمعيات الشبان والشابات المسيحية . وقد استخدمت هذه السلسلة ذلك المفهوم للاشارة الى عناصر العقيـدة ، وألوهية المسيح ، ومعجزة انجاب مريم العذراء وغيرها من الثوابت التى يراها الأصوليون فى المسيحية حتى اليوم .

ويرى البعض أن مفهوم « الأصــولية » يشير الى تيار بروتستانتى ظهر فى الولايات المتحدة خلال عقد العشرينيات من هذا القرن ، فــكان المفهوم يشير فى ذلك الحين الى جماعة الإنجيليين المحافظين التابعين للطوائف البروتستانتية .

أما الباحث روجيه جارودى فيؤرخ لهذا المفهوم من خلال ظهوره فى المعاجم ، فيقول أن كلمة « أصولية » لم تدرج حتى سنة ١٩٦٦ فى معجم « روبير » الكبير ، ولم تظهر فى الموسوعة العالمية الفرنسية ، غير أن قاموس لاروس الصغير يعرفها على نحو : « موقف أولئك الذين يرفضون تكييف أية عقيدة مع الظروف الجديدة » . وقد طبق قاموس لاروس هــذا التعريف على الكاثوليكية ، وتابع الصراع بينهما وبين الحداثة منذ عهد بيوس العاشر حتى مؤتمر الفاتيكان الثانى الذى عقد عام ١٩٦٦ . كمــا يعرف قاموس أكسفورد للغة الانجليزية كلمة Fundamentalism على النحو التالى : « التمسك الصارم بالمضامين الأورثوذوكسية التقليدية ، وبحرفية النصوص المقدسة ؛ معاداة الليبرالية والحداثة » .

واذا كان هذا المفهوم قد ارتبط فى نشأته بالعالم المسيحى ، الا أنه تطور فيما بعد ليشمل كافة الجماعات الدينية المتشددة المعادية للفكــر الليبرالى ، ومن هنا فتعتبر الأصولية ذات معان متعددة وغامضة ، فيتسع هذا المفهوم ليشمل المجموعات المحافظة المغالية فى تشددها بين يهــود اسرائيل أو العناصر الانفصالية فى جماعة السيخ فى الهند أو حركــات التأميل فى سريلانكا أو مجموعات الهندوس المعاديــة للتأثير الأجنبى التبشيرى فى الهند .

وارتبطت صفات عديدة بهذا المفهوم ، وتمثل هذه الصفات مكوناتهــا الأساسية ، ويجمل جارودى بعضها فى كلمات مثل : الجمود ، ورفــض التكيف ، وعدم التسامح ، والانغلاق ، والتحجر المذهبى ، والتصلب ، والعناد ، والمحافظة ، والانتساب الى التراث ، والعودة الى الماضى ، ومعارضة كل نمو وتطور .

ويرتبط الفكر الأصولى عادة بحياة وتعاليم شخصية معينة ، وتصور هذه التعاليم فى صورة الحقيقة غير القابلة للتساؤل والشك ، ومن ثم فعلى المؤمنين والمخلصين لهذه التعاليم — أى الأصوليين — أن يعيشوا حياتهم ويوجهوا أنشطتهم وفقا لما يؤمنون به من معتقدات . وربما يكون « العنف » من أهم سمات الأصوليين ، خاصة أنهم يؤمنون أنهم حملــة

رسالة الهية لتغيير الآخرين . ويجد أتباع الأصولية صعوبة فى التعايش مع أية بيئة مخالفة لهم ، لذلك يسعون لارشاد « الضالين » .

ومن ناحية أخرى ، فان تصوير التعاليم التى يؤمنون بها فى صـورة الحقيقة المطلقة يعنى نفى صحة كل الحقائق الأخرى القائمة على النسبية ، وقد ينتج عن هذا التصور التعصب واضطهاد الآخرين . وتلتقى كـل الأصوليات حول فكرة أن النص الموجود الذى ترجع اليه يحتوى عـلى الحقائق الحية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان ، وان هذه الحقـائق تتضمن بالتالى معصوميتها من الخطأ . ويرى الأصوليون أن النصوص التى يؤمنون بها تنطوى على اجابات على كل التسـاؤلات الحـاضرة والمستقبلية .

ولاتختلف الأصولية اليهودية فى جوهرهـا عـن جوهـر سـائر الأصوليات الدينية التى سبق الاشارة اليها ، فيرى أتبـاع الأصـولية اليهودية أن تعاليم العهد القديم ، والتلمود بل وشرروح فقهاء الشريعة تنطوى على اجابات صائبة لكل قضايا العصر ، فيرى أتباع هذا الاتجاه أن حركة التاريخ توقفت لدى لحظة بعينها ، وأن أحداث العالم المعاصر ليست الا امتداداً للأحداث التى وقعت فى الأزمان السحيقة . وقد تكون دراسـات الكاتب الاسرائيلى « موشيه ايشون » المنشورة على صفحات صحيفـة « هتسوفيه » الناطقة بلسان الاتجاهات الدينية المتشددة فى اسرائيل ، خير دليل على طبيعة الاتجاهات الأصولية فى اسرائيل ، فقد رأى هـذا الكاتب أن الموقف الذى تبنته مصر ، على سبيل المثال ، تجاه قضية نزع الأسلحة النووية من كافة دول المنطقة بما فيها اسرائيل يعـد امتدادا طبيعيا لذلك النزاع التاريخى الذى تفجر فى حينه بين موسى وفرعون مصر .

وعبر ايشون عن رؤيته هذه فى دراسة « الجدل وجذوره » التى جاء بها : « ان ذلك الجدل يعيدنا الى الوراء ثلاثة آلاف عام ، أى حينما ثار جدل بين فرعون مصر وبين النبى موسى ... لقد تركز الجدل بين المصريين والاسرائيليين فى تلك الحقبة البعيدة على قضية من هو صاحب السيادة — هل فرعون الملك ، أم موسى الذى جاء ليحرر شعبه من العبودية . ويوجد اليوم جدل مماثل حول من هو صاحب السيادة فى المنطقـة ... ونجد صدى لهذا الجدل فى سفر الخروج الذى جاء به : « هيا نتربص به حتى لا يتعاظم » .

ويمكننا أن نستخرج من هذا الاقتباس عدة استنتاجات ، يأتى على راسها أن كاتب المقال يسعى الى الربط بين الموقف الذى تبنته مصر خلال عام ١٩٩٥ وبين ذلك الجدل الشهير الذى وقع بين موسى وفرعون فى عصور ما قبل الميلاد ، ويهدف ايجاد هذه الصلة الى القاء رسالة ما فى ذهن القارىء مفادها أن ما جاء فى التوراة من روايات عن خروج موسى من مصر ، يمثل لب كل الأحداث التاريخية التى قد يتعرض لها اليهود عبر العصور .

وقد حرص كاتب هذه الدراسة أيضا على الاستشهاد باحدى فقرات العهد القديم بغرض اضفاء المصداقية على كافة الآراء التى يعبر عنها فى دراسته ، وللايحاء بمصداقية تصوراته .

ولا تكتفى الاتجاهات الأصولية اليهودية بالاستشهاد بنصوص التوراة ورواياتها ، اذا تحرص هذه الاتجاهات على الاستشهاد أيضاً بنصوص فقهاء اليهود خلال العصور الوسطى . ويتصور أصحاب هذه الاتجاهات أن الأخذ بمحتوى تلك النصوص المنتمية الى فترات تاريخية متباينة ، كفيل بحل كافة التحديات والتساؤلات التى يواجهها الانسان المعاصر ، فقد ذكر موشيه ايشون فى دراسة « اسحاق رابين والعهد القديم » التى نشرها فى صحيفة « هتسوفيه » عقب التوقيع على اتفاقيات أوسلو : **« لقد ذكر السيد رابين ان العهد القديم ليس بسفر لتسجيل ملكية الأراضى ، وأن القداسة لا ترتبط بالأرض بقدر ارتباطها بالقيم . ان رابين تنازل بمنتهى السهولة عن أرض الوطن . وكان حديث رابين مليئا بكل ما يدل على تنصله عن القيم الأبدية لشعب اسرائيل ، الذى تعد أرض اسرائيل جزءا لا يتجزأ من ذاته . لقد كتب الفقيه اليهودى سعديا جاؤون الذى عاش فى ظل الخلافة العربية ان امتنا ليست بأمة الا بسبب تمسكها بشرائعها . ان كل من يتنصل عن تعاليم التوراة التى نزلت على موسى يتنصل عن شعب اسرائيل وعن أرض اسرائيل . ان شعب اسرائيل يحرص منذ عصور بالغة القدم على تأكيد علاقته الأبدية بأرض اسرائيل ، ويشعر دائما أن أرض اسرائيل جزء لا يتجزأ من واقعه ... فجاء فى سفر التكوين : « سأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك ، كل أرض كنعان ، ملكا أبديا » .**

وعند الحديث عن الأصولية اليهودية ، نجد أن جذور المواجهة بين الاتجاهات اليهودية الأصولية وبين نظيرتها الداعية الى الحداثة تعود الى نهايات القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر ، تلك الفترة التى شهدت الخروج من الجيتو وتمتعهم بالمساواة مع

الآخرين . وقد نظرت الجماعات اليهودية الأصولية فى تلك الفترة الى هذه التحولات ، بوصفها كارثة كبرى لن تؤدى الا الى فقدان الهوية اليهودية . وبالرغم من معارضة حاخامات اليهود فى أوروبا — الذين مثلوا خـلال نهايات القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر الاتجاه اليهودى الأصولى المتشدد — لكل بوادر ونزعات الحداثة ، الا أن ظهور الحركـة الصهيونية خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر كان بمثابة نقطـة تحول حاسمة فى مواقفهم ، اذ اضطرت قطاعات عريضة من الحاخامات للانخراط فى الاطار الصهيونى ، غير أن بعضا منهم حرص وتحت زعامة الحاخام افراهام كوك على تشكيل تيار خاص عرف باسم الصهيونيـة الدينية . وفى حقيقة الأمر ، فلا يختلف هذا التيار كثيرا عن الصهيونيـة السياسية أو الروحانية ، غير أن الأمر الوحيد الذى يميزه يكمن فى حرص أتباعه على ايجاد مبررات من الشريعة اليهودية لتدعيم الفكرة الصهيونية.

ويرى عدد كبير من الباحثين مثل ايان لوستيك فى دراسته الرائدة عن الأصولية اليهودية ، التى اعتمدت فى المقام الأول على عرض آراء قـادة الاستيطان اليهودى فى الضفة الغربية وغزة ، أن الخطر الرئيسى الـذى تتعرض له الديمقراطية الاسرائيلية يكمن فى تلك الاتجاهات الأيديولوجية المتعصبة المتمسكة بحرفية النصوص دون اعمال العقل فيها وتطويرها .

وتمثل منظمة « جوش أمونيم » التى تضم بين صفوفها أكثر من عشرة آلاف من العناصر النشيطة ، الفكر الأصولى اليهودى المعاصر ، وتكرس هذه المنظمة جهودها لضم الضفة الغربية وقطاع غـزة الى اسرائيل ، وتسعى الى ترسيخ السيادة اليهودية على كل أرض اسرائيل التى ذكرت فى التوراة ، وفرض الأشكال اليهودية فى الحكم بدلا من النموذج الغربى للديمقراطية ، كما تسعى الى اعادة بناء المعبد فى القدس .

ويرى لوستيك أن الفرق الرئيسى بين الصهيونية التقليديـة وبين الاتجاهات الأصولية فى اليهودية المعاصرة ، يكـمن فى أنه بينما رفعـت الصهيونية التقليدية شعارا مضمونه : « المهم ليس ما يعتقده غير اليهود ولكن ما يعتقده اليهود أنفسهم » ، فقد رفعت الاتجاهـات الأصـولية اليهودية شعارا مضمونة : « المهم ليس ما يفعله غير اليهود ، ولـكن ما يفعله اليهود » ، وأنه لا بد من التسليم بطموحات اسرائيل السياسية فى الأرض كحق بديهى ؛ لأن اليهود هم شعب الله المختار .

وتؤمن هذه المنظمة الأصولية بمصداقية فكرة شعب الله المختار ، تلك الفكرة التى تلغى بدورها سائر القوانين التى تتحكم فى العلاقات السائدة بين سائر الشعوب ، فيرى الحاخام « شلومو افنير » الذى يعد من أبرز الشخصيات المنظرة لفكر هذه المنظمة **« ان الوصايا الالهية للشعب اليهودى تسمو على الأفكار الانسانية ... وحينما يطلب الله من سائر الأمم الخضوع للقوانين الأخرى المجردة الخاصة بالعدل والفضيلة ، فان هذه القوانين لا تنطبق على اليهود لأن الله يتكلم مع شعبه ، أى شعب اسرائيل مباشرة »** .

أما الحاخام اليعازر فيلدمان رئيس مدرسة « نير » المتخصصة فى الدراسات التلمودية والواقعة فى مستوطنة « كيريات أربع » ، فقد ذكر اثر مذبحة صابرا وشاتيلا التى تعرض لها الفلسطينيون فى عام ١٩٨٢ : **« ان الحروب هى أمر طبيعى ومتوقع ، واذا لم تكن هذه الحرب قد كللت بالنجاح ، فهى جزء من عملية العودة لأرض الميعاد . وليس من الممكن أن تستكمل عملية العودة للأرض بأية وسيلة سوى الحرب »** .

أما الكتاب الذى نقدمه اليوم ، فهو من تأليف الكاتب الفرنسى « ايمانويل هيمان » ، ويدخل هذا الكتاب فى اطار تلك الأعمال التى أولت فى الآونة الأخيرة اهتماماً ملحوظاً بظاهرة الأصولية اليهودية ، غير أن ما يميز هذا العمل عن غيره من الأعمال والتى نخص منها بالذكر كتاب « ايان لوستيك » عن الأصولية اليهودية ، يكمن فى أنه بينما اكتفى لوستيك فى عمله برصد توجهات ومواقف قادة الاستيطان اليهودى الذين يعدون بمثابة النموذج الأوحد للأصولية اليهودية ، فقد سعى « هيمان » الى اعادة قراءة التاريخ اليهودى على نحو معاصر بغرض التعرف على جذور الأصولية اليهودية . ويرى هيمان أن أول مظاهر الأصولية اليهودية يكمن فى تلك الحادثة التى سجلها سفر الخروج بالعهد القديم ، والتى أمر فيها موسى هارون بقتل عبدة العجل . وبناء على هذا الأمر ، فقد قتل فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف رجل اختيروا عشوائيا لامتصاص غضب النبى الذى شعر بالمهانة ، لأن الشعب تنكر له بهذه السرعة .

ويرصد هيمان فى اطار قراءته النقدية لكافة مراحل التاريخ اليهودى كافة مظاهر الأصولية ، ويستنتج على ضوء قراءته هذه أن فكر الأصوليين يتناقض على نحو بين مع فكر دعاة الديمقراطية والحداثة . ولا يكتفى المؤلف فى عمله هذا بقراءة النصوص ، اذ يتطرق أيضا الى مقاومة التيارات

اليهودية المتشددة فى أوروبا والولايات المتحدة واسرائيل لكافة مظاهـــر التغيير والحداثة ، واصرار قادة هذه التيارات من الحاخامات على فرض ديانة متوحشة ودموية ومجنونة . ويعلق المؤلف على خطورة هذه التيارات الدينية المتشددة بقوله : **(( ان الوطنيين المتدينين على استعداد لفرض حلمهم بالسيطرة على الشعب اليهودى عن طريق صناديق الاقتراع أولا ، ولكن أيضا للاكثر تشددا منهم عن طريق القوة . انهم يعتبرون أوامـــر التوراة أهم من الديمقراطية أو من حقوق الانسان ، هـــذه الاهتمامات الانسانية التافهة التى لا تساوى شيئا أمام الخطط الالهية )) .**

ويتضح من كل ما تقدم أن الأصولية تنكر فى المقام الأول كل منجزات البشرية ، وتقف بها عند حدود زمنية بعينها ، كما أنها تعد محاولة الفرض منها العودة الى الجذور ووقف حركة التاريخ الانسانى .

**المراجـــع**

**د. جمال احمد الرفاعى**

**القـــاهرة فى يناير ١٩٩٨**

# مقــدمة المترجــم

مؤلف هذا الكتاب دانيل هيمان يهودى فرنسى علمانى وهو يتعاطف بشكل تلقائى مع اسرائيل العلمانية ، اى اسرائيل حزب العمل ، كمـا يتقبل ببساطة الكثير من ادعاءات اليهود المتطرفين عما يتعرضـون له من معاداة للسامية من أى جماعة أو شخص يجرؤ على معارضتهم . فعندما يقتل سائق سيارة يهودى طفلا أمريكيا أسود وتأتى سيـارة الاسعاف التابعة للطائفة اليهودية وبدلا من أن تنقل الطفـل المصـاب تهرب السائق القاتل من غضب الجمهور ، يقبل ببساطة الادعاء بأن ذلك حدث بتوجيه من البوليس الأمريكى ، مع أن المتوقع هو أن البوليس هو الذى يأخذ السائق معه لاستجوابه ! ثم يردد بعد ذلك ان الجمـاهير السوداء الغاضبة قامت لمدة أربعة أيام « بمذابح حقيقية » ضد اليهود ، مع أن هذه المذابح ـ حسب قوله ـ كانت مجرد رفع لافتات تقـول « الموت لليهود » !!

وهو يردد دون مناقشة الادعاء بأن عدد اليهـود الذين أبـادهم النازى فى الهولوكوست كان ستة ملايين مع أنه يحكى قصة المساومة التى جرت بعد مارس ١٩٤٤ ، حين اقترح أدولف أيخمان مبادلة مليون يهودى كان النازى قد وضعوهم فى معسكرات الاعتقال بعشرة آلاف شاحنة أمريكية لتدعيم آلة الحرب الألمانية . وان كانت الصفقة قد انتهت أخيراً إلى مجرد ترحيل كاستنر وقيادات الصهيونية فى المجر، ومعهم حوالى الف آخرين الى سويسرا فى ديسمبر ١٩٤٤ ، ولا يرى المؤلف أن هذه

القصة تدعم تقديرات روجيه جارودى فى كتابه « الأساطير المؤسسة لاسرائيل » بأن عدد ضحايا النازية من اليهود حوالى المليون ولا يتجاوزون بأية حال المليونين .

ومع ذلك ، فالمؤلف يهاجم صراحة كل أشكال التطرف اليهودى سواء المبنية على أساس قومى أو دينى ، ويرسم صورة تفصيلية لمجتمع يتدعم فيه التطرف والعنصرية ، كما يحتوى العديد من التناقضات الداخلية ، التى يصل بعضها الى حد التقاتل الدموى .

ان هذا الكتاب يلقى أضواء كاشفة على الصراع المرير الذى يخوضه الشعب العربى فى فلسطين لتخليص وطنه — أو جزء منه على الأقل — من الاحتلال الصهيونى ، وقراءته تنير الطريق كثيرا لكل مصرى وكل عربى ، يؤمن بأن قضية تحرير فلسطين هى محور الصراع العربى — الاسرائيلى .

**سعد الطويل**
**سبتمبر ١٩٩٧**

# ايمانويل هايمان
# فى أعماق
# الأصولية اليهودية

## فرنسا ، اسرائيل ، الولايات المتحدة

لا يتخلى اليهود عن روح الدعابة حتى لو تعلق الأمر بالله . ففى احدى الأميسيات فى أورشليم قص على مناحم وهو طالب فى أحد المعاهد التلمودية القصة التالية :

مرة اخرى تدهورت العلاقات بين الله وبين شعبه المختار ، فقد تذمر اليهود من كثرة القوانين والأوامر والنواهى ومن أعالى السماوات استمع الرب الى شكاوى القوم الذين اختارهم وارتفعت أصواتهم الغاضبة : اختر لك شعبا آخر !

لا مانع لدى ، اجابهم الرب ، ولكن أعيدوا الى التوراة التى انزلتها لكم .

ومن كل انحاء العالم توافد المندوبون الى جبل سيناء وهم يحملون لفائف الوصايا العشر وكتب التلمود وكتب الصلوات ، وقرارات الحاخامات ، والهوامش ، وهوامش الهوامش ... وسرعان ما تكون تل من الكتب الواردة من جميع القارات .

وانفرجت ابواب السماء وسمع صوت الرب واهنا حزينا قائلا : ولكنى لم ابعث اليكم ابدا بكل هذه الأشياء !!

# تمهيـــد

## الأوجه المختلفة للتوحيد

« نحن نحب الموت بقدر ما يحب اليهود الحياة » (١) . هذا الشعار الذى اطلقه احد قادة « حماس » فى غزة لاثارة حماس رجاله وحفزهم على القيام بهجمات استشهادية ، يكشف بوضوح عمق الهوة التى تفصل بين الأصولية الاسلامية والأصولية اليهودية . ان التقاليد اليهودية لا تعرف أبدا تلك الرغبة فى الموت ، بل تدعو ابدا الى اختيار الحياة . وفى قلب الرسالة التوراتية ترن كلمات الخالق فى قلب كل مؤمن : « قد جعلت قدامك الحياة والموت . البركة واللعنة . فاختر الحياة لكى تحيا انت ونسلك » (٢) .

ومع ذلك ؛ فحب الحياة هذا لا يستبعد لا التطرف ولا العقلية الرجعية المتحجرة ، المصدرين المغذيين للأصولية .

وباسم التوراة يطلق المتدينون المتعصبون اليهود لعناتهم المليئة بالحقد ، سواء اكانوا يقفون أعلى التل فى مستوطنات يهوذا والسامرة، أم على أرصفة شوارع نيويورك . وباسم التوراة كذلك ينسحب المتدينون المتطرفون بملابسهم المأخوذة عن البورجوازيين البولونيين من القرن الثامن عشر الى داخل الأكاديميات التلمودية ؛ ليحموا انفسهم من التأثيرات الضارة للعالم المتغير ويعيشون فى أحيائهم الخاصة أو الجيتو الذى يخلقونه لأنفسهم .

وسواء أسميناهم ارثوذكس أم تقليديين أم أصوليين فهل هؤلاء الرجال ذوو الايمان الملتهب الورثة الأوفياء للتقاليد ام لجماعات الرفض

منذ مائتى عام تعود المجتمع المستنير أن يعتبر اليهــودى المتحرر مثلا اعلى ، فقد كان الواجب على اليهودى الملتزم دينيا وسياسيا أن يندمج فى الأمة ويشارك مشاركة كاملة فى الثقافة التى يعيش داخلها . وهكذا وبفضل التسامح الناتج عن عصر التنوير ، أمكن لمن يقيم فى الجيتــو أن يتواءم مع الأيديولوجيات الجديدة وأن يتحرر من وضعه السابق . وهكذا أصبح ماركس وفرويد وآينشتين ، دون قصد ، حماة الرايــة لهذا التيار واصبحت اليهودية مرتبطة بصفة عامة بتلك الحركات العالمية الواسعة التى تعمل من أجل الحرية والعدالة .

وقد أدت معاداة السامية الى رسم صورة سلبية له ، صورة اعتبرت بائدة عفا عليها الزمن . لقد كان اليهودي يرى نفسه على الصورة التى يراها الآخر ، الصورة الجامدة الآتية من أعماق الزمن ، ولنذكــر على سبيل المثال الاحتقار الذى يصف به الكاتب الطبيب ألفونس دوديه عابرى السبيل ذوى الجلابيب والذقون الكبيرة الذين كان يمر بهم فى شــارع دى روزييه .

وعندما تحرر ، ابتعد اليهود بفخر عن هــذه الصــور المسيئة الجامدة ؛ وتخلى بشكل طبيعى عن ملابسه التقليدية ؛ واستمتع بارتداء البدلة الأوروبية . وفى ١٨٩٤ كتب اليهودي برنار لازار (*) — والذى كان من أوائل المدافعين عن الكابتن دريفوس (**) اثناء قضيته — معارضا

(*) برنار لازار ( ١٨٦٥ — ١٩٠٣ ) :

كاتب فرنسى . ولد لازار فى عام ١٨٦٥ . وقد كان من أشد أنصار الفكر الاشتراكى . ويعد كتاب « تاريخ وأسباب معاداة السامية من اهم أعماله اذ أوضح فى هذا العمل ان معاداة السامية تزيد من كراهية الشعوب للرأسمالية اليهودية .

وكان لقضــية دريفوس دور رئيسى فى تغيير مواقف لازار المعادية لليهود — ( المراجع ) .

(**) دريفوس ( ١٨٥٩ — ١٩٣٥ ) :

ولد الفريد دريفوس الذى كان من نسل عائلة عرف عنها الثراء فى فرنسا فى عام ١٨٥٩ . والتحق بالجيش الفرنسى بعد أن اتم دراسته للهندسة ، وكان الضابط اليهودى الوحيد بالجيش . وقدم فى عام ١٨٩٤ الى المحاكمة العسكرية بتهمة الخيانة . وبالرغم من أنه اثبت فى النهاية براءته من الاتهامات المنسوبة اليه الا انه كان لهذه القضية تبعــات عديدة على العــالم اليهودى .

وكان الكاتب « برنار لازار » من اشد المدافعين عن دريفوس ، فنشر فى عام ١٨٩٦ كتيبا بعنوانه « الحقيقة فى قضية دريفوس » . وكان لهذا الكتيب دور رئيسى فى تبرئة دريفوس من الاتهامات المنسوبة اليه — ( المراجع ) .

معاداة السامية وردا على ادوار درومون الذى كان قد أصدر لتوه كتاب « فرنسا اليهودية » ، كتب يقول : « تغلق المدارس التلمودية المتبقية أبوابها كل يوم فى أوروبا الغربية ولم يعد اليهودى المعاصر حتى يقرأ العبرية ، ولم تعد المعابد اليهودية التى تخلصت من ارتباطاتها بالحاخامات تمارس الا نوعا من التعبد الطقسى ؛ ويضعف الايمان بالله لدى اليهودى المعاصر أكثر وأكثر ؛ وكل يهودى متحرر أضحى متقبلا للعقلانية ، ولم تعد التلمودية فقط هى التى تموت بل ان الديانة اليهودية نفسها هى التى تحتضر » (٣) .

ولكن الأشخاص الأكثر تقوى من بنى اسرائيل مضوا يدرسون النصوص المقدسة داخل مدارسهم ومعابدهم ، وقد عزلوا أنفسهم تماما عن الضجة الصاعدة من المدينة فيما حولهم ، وإذ تخلفوا عن الحداثة داخل قلاعهم الخاصة ؛ مضوا فى الطريق القويم الذى اختاروه لضمان استمرار بقاء الشعب المختار . ولم يلبث التاريخ أن دار دورته وانهارت الأيديولوجيات الغربية وأحبطت الأمانى الانسانية العظيمة ، وعادت الأرثوذكسية اليهودية الى الحياة بعد اعلان موتها ! .

وهذا التحقيق يقوم على أساس ملاحظتين أساسيتين فهذا العالم الأرثوذكسى الذى كان مهمشا لمدة طويلة قد ازداد عدديا ، وأصبح ذا تأثير لم يسبق له مثيل فى صفوف اليهودية الحديثة ؛ وسواء أكان ذلك فى فرنسا أو الولايات المتحدة او انجلترا أو اسرائيل ، فانه أصبح المرجع الروحى الوحيد والقائد الموجه . وهو يخترق الجماعات الأكثر هدوءا والمدارس التى كانت حتى الآن الأكثر تقليدية (٤) . والملاحظة الثانية هى انه الى جانب صعود هذه الموجة الجديدة من التدين ، فان الانقسام بين من يؤمنون بالسماء ومن لا يؤمنون يتسع باستمرار ، وأعمال مطاردة الشياطين التى اندفع اليها بعض الاسرائيليين ضد لابسى الأسود من رجال الدين فى أعقاب اغتيال اسحق رابين ، لم تنشأ من فراغ .

لقد قصدت أن أجرى حوارا مع هؤلاء المهووسين بالتوراة الذين يرهبون اليهود الآخرين لهذه الدرجة ، وأن أفهم المنطق الذى يوجههم

والمبادىء التى تقودهم والتيارات التى تخترقهم . وقد اكتشفت عالما متعددا منقسما فى بعض الأحيان وهى اتجاهات مختلفة تغار الواحدة من الأخرى . واذا كان هؤلاء الأرثوذوكس يفحصون بعناد التلمود والتعليقات عليه ، فانهم لا يتناقشون فيما بين مدارسهم المختلفة ومن باب أولى لا يتناقشون مع غير المتدينين . فهم فى انشغالهم الكامل بدراسة وتطبيق ديانتهم ، لا يتصورون مجرد اجراء حوار ممكن مع العالم الخارجى والاتصال الوحيد الممكن من وجهة نظرهم هو عودة الابن الضال الى حظيرة الايمان المطلق ؛ لأن الخارج لا يحوى الا الجهل والانحراف . . فالصور المنحازة مسبقا لدى العلمانيين عندما يذكرون عالم التدين ، تجد مقابلها بالتماثل فى الصور الكاريكاتورية المبسطة لدى الأصوليين .

ولا شك فى أن تعريف الأصولية ذاتها أمر ملتبس ، فهى محملة بتهيؤات وتجميعات تضم جميع المتدينين فى قدر شيطانى واحد . ونحن لا نريد أن نقرر هنا أن كل اليهود المدافعين عن التقاليد هم من المتعصبين المتحمسين ، فأغلبهم يعيشون فى الواقع بايمان من القلب وعقل منفتح على العالم ، فالرأس المغطى والتمسك بقواعد الدين فى الطعام ليست بالضرورة العلامات الخارجية لعقلية جاهلة . واذا كنت فى هذا التحقيق قد ركزت على أعمدة التعصب ؛ فان هذا لا يعنى أن كل المعابد وكل المدارس اليهودية لا تضم الا الأصوليين المنغلقين على ذواتهم .

وفى الواقع ، فان الأشكال المختلفة ، عن قصد ، للطاقية التى يلبسها المتدينون ، توضح الاختلافات بين التيارات المختلفة : فالمؤمنون بالتوراة الذين يرغبون فى أداء الطقوس الدينية فى هدوء بعيدين عن التطرف ، يلبسون فى اغلب الأحيان طاقية صغيرة مزركشة ، فى حين يلبس الأرثوذوكس المتطرفون طاقية سوداء كبيرة ... وهذه الفروق وما تحمله من معان ليست بهذا القدر من التفاهة كما قد يتبادر الى الذهن وخاصة فى اسرائيل .

يلبس جاد طاقية سوداء على الرغم من انه أبعد ما يكون عن التعصب ؛ ولكنه يقول ان سنه ولون شعره وبدلة رجل الأعمال الداكنة

التى يرتديها لا تسمح له بارتداء طاقية مزركشة . وبسبب حبه الشديد للموسيقى توجه مؤخرا الى اهم صالة للموسيقى بتل أبيب حيث كانوا يقدمون « المسيا » لهاندل ، وعند الدخول طلب منه التوجه الى أحد الأركان حيث جرى تفتيشه بدقة ! ولم يكن السبب هو الشك فى محاولة تفجير ، بل ان مجرد لبسه للطاقية السوداء أعطى الانطباع بأنه من المتعصبين ، وأنه قد يحمل صفارة أو غيرها من أدوات التشويش على الموسيقى التى يعتبرها الأصوليون خارجة على الدين السليم . وفى تلك الليلة ادرك جاد أن مجرد لبسه طاقية سوداء قد وضعه أوتوماتيكيا فى صف التيارات الدينية الأكثر تعصبا ؛ لأنه فى اسرائيل كما فى غيرها من البلدان تنسى الأغلبية الصامتة ، وهى الأغلبية التى تتراجع أكثر فأكثر وتطغى عليها الاتجاهات المتطرفة .

والأصولية فى معناها الضيق والأقل ريبة ، لا تعدو أن تكون تحركا من اجل ضمان الكلية الشاملة لمبدأ أو ايمان ما . وسواء أكان ايمانا يهوديا أم اسلاميا أم مسيحيا ، فكل ايمان شامل يعمل بنفس الطريقة : فهو يفترض ويفرض الانكفاء على الذات ، والاقتناع بحيازة الحقيقة الالهية ، والخوف من التأثيرات الخارجية ، والرجوع باستمرار للنصوص المقدسة ، والاشمئزاز من أى نصوص قد تؤثر على العقيدة . ويقدم الايمان دائما على القواعد الدينية فالايمان بالله كلى القدرة هو وحده المبرر لكل الأوامر والنواهى الموجهة للانسانية . فالأصولية اذن هى فكرة شديدة التحديد ومرتبطة بالايمان الدينى ، فبناء على فكرة لا تخضع للتمحيص العقلى ولا يستطيع الشخص اللا أدرى استيعابها ، يتسلسل التفكير الأصولى بمنطق لا يقبل الاعتراض : فاذا كان الله قد كشف عن حقيقته وعن أوامره ، فليس لأية قوة انسانية أن تزيد أو أن تنقص حرفا من هذه الأوامر الالهية . ومن هنا فالقانون هو القانون ومن يبتعد عن الطريق القويم فقد أخطأ وارتكب اثما ، وهنا يظهر الوجه الأكثر تطرفا للأصولية : فباسم قوة عليا تعبر عنها النصوص المقدسة ، تعطى نفسها الحق فى فرض معتقداتها حتى لو احتاج ذلك الى استخدام العنف .

اذا كان لفظ الأصولية قد استخدم لأول مرة فى أواخر القرن التاسع عشر لوصف أولئك الأسبان الذين كانوا ينادون باخضاع الدولة لسلطة الكنيسة ، فانه لم يعد مقصورا على ذلك الآن . فالكاثوليك الذين أفزعتهم التغيرات الجديدة التى طرأت على الكنيسة بعد العهد الثانى للفاتيكان والذين انتفضوا رافضين أى تنازل أمام التطور فى العادات والأوضاع الجديدة ، لم يدر بخلدهم أن يخلطوا بين الدين والسياسة ؛ ولكنهم مع ذلك كانوا أول الأصوليين فى هذا القرن . وطالما لم يتعد الأمر أداء القداس باللاتينية وارتداء القساوسة الملابس السوداء ، فانه كان من الممكن التجاوز عن الأمر واعتباره من الاعيب الزمن المتغير ، ولكن لم يلبث بعض الأصوليين الكاثوليك أن اكتفوا بأداء القداس باللاتينية . وفى ١٩٨٨ عندما تصوروا أن فيلم مارتن سكورسيزى « الاغـواء الأخير للمسيح » ، فيه خروج على القيم الدينية لا يمكن السكوت عليه ، استخدموا العنف ضد رواد السينما وأقاموا الحواجز لمنع الدخول اليها . واستمرارا فى مسلسل العنف وضعوا قنبلة حارقة فى احدى دور السينما الباريسية ؛ بهدف احراق المكان الملعون باللهب المطهر ! .

ولكن الحرب المقدسة ضد فيلم هرطيق ليست الا قضية وقتية . فسرعان ما وجد الأصوليون الكاثوليك موضوعا أقدر على تعبئة الجماهير وهو المعركة ضد الاجهاض . ففى الولايات المتحدة اتخذت المعركة ضد الاجهاض أشكالا خطيرة بما فيها الاعتداءات الجسدية والسرقة وحتى القتل . فمنذ ١٩٩٣ قتل طبيبان وثلاثة مساعدى أطباء باسم الدفاع عن الحياة ، وتضطر المؤسسات التى تجرى عمليات الاجهاض الى تركيب أبواب تتحمل انفجار العبوات الناسفة . ولا يصل العنف فى فرنسا الى هذه الدرجة ولكن العنف أخذ يتصاعد مؤخراً ؛ مما استدعى توقيع عقوبات قانونية ضد الأعمال الأكثر عنفا .

تقول اللافتات التى يرفعها أصحاب نظرية ان الاجهاض يساوى القتل : « ان الجنين انسان حى » . وبالطبع ، ليس كل أولئك الذين يدافعون عن « حق » الحياة من الأصوليين المستعدين للالتجاء الى العنف ؛ ولكننا نلمح وراء لافتات الجنين شبح المونسنيير ليفيفر وكتائبه

اتباع الكنيسة التى تجمدت عند أيام المجد التليد ، الكنيسة التى ارتدت مرة اخرى ملابس الجهالة القديمة لتلك الأزمنة السحيقة ، حيث كان رجال الدين يسيطرون دون منازع على النفوس : « الكنيسة الكاثوليكية هى وحدها التى تملك حقيقة الخلاص حتى فيما يتعلق بالأمور الزمنية ». هذا هو ما يعلنه مختصر التاريخ الذى يوزعه سان نيكولاس دو شاردونيه المعبر عن الفكر الكاثوليكى المطـــلق .

وعلى الرغم من هذه الأحاديث التى تنتمى إلى الماضى ، فإن الأصولية الكاثوليكية تبقى محصورة داخل بعض الكنائس ، ولا تحلم بفرض نفوذها خارج الفاتيكـــان .

واليوم يعود الاندماج السياسى — الدينى القديم الى الظهور عبــر الأصولية الاســـلامية كاستراتيجية حقيقية للوصـــول الى السلطة . وابتداء من الاخوان المسلمين الى جبهة الانقاذ الاسلامى الجزائرية ، فان هدف هذه الحركات والمبرر الوحيد لوجودها هو تطلعها الى فرض حكم الشريعة الاسلامية على البلاد الاسلامية بل وفى رأى بعض أجنحتهـــا الأكثر عنفا ، على البلاد التى بها أقليات اسلامية كبيرة . ان الخمسمائة الف متظاهر الذين نزلوا الى شوارع الجزائر فى يناير ١٩٩٢ ضد جبهـــة الانقاذ الجزائرية ، لم يشعروا بالقلق من الخطب الناريـــة التى كانت تلقى فى الجوامع أيام الجمع ، ولم يقوموا بالتظاهر الا بعد ظهور النتائج الأولية للانتخابات والأحاديث المعادية للديمقراطية للزعماء الاسلاميين . لقد لاحظت المغنية القبائلية جورا العمل الدءوب الذى قامت به الجبهة الاسلامية للانقاذ لكسب الناخبين : « لقد قاموا بخدمات كثيرة تقاعست الدولة عن القيام بها مثل جمع القمامة وتوصيل الميـــاه الى الأماكـــن المحرومة وتوزيع الغذاء على الناس الأشد فقرا ... وبالطبع كانت النتيجة أن تمنح الثقة لمن يأتيك بالعون عندما تعانى من الحرمان . ولكن من اذن كان يختفى وراء هذا التنظيم ؟ لقد بينت الصحف الجزائريـــة وجود تنظيم دولى تقف وراءه ايران ، يهدف الى الاستيلاء على السلطة فى البلدان الاسلامية ، وعن طريق السودان تم تمويل أنشطة الجبهـــة الاسلامية للانقاذ وكذلك حملتها الانتخابية وكذلك توجيهها الى الاتجاهات العنيفة التى سارت عليها » (٥) .

ومن الواضح أن الجزائر هى البلد الذى يصل فيه العنف الى أقصى الحدود ففيه يواجه الأصوليون نظاما شديد التشبه بالغرب ، فمجال التحرك فى المغرب على سبيل المثال اضيق كثيرا . والأصوليون لديهم ما يثير الارتياب فى الملك الذى أيد التقارب الاسرائيلى الفلسطينى فى وقت مبكر ، كما استقبل شمعون بيريز رسمياً من ١٩٨٦ ! إلا أنه يعتبر أميرا للمؤمنين بفضل أجداده العلويين ولا يمكن اتهامه بالتعاطف مع الديمقراطية . ولذلك تركز الأصولية الاسلامية على حكومات أخرى علاقتها بالاسلام اضعف نسبيا ، وتضرب بعنف حتى تؤثر الضربات على العديد من البلدان الاسلامية التى تتارجح أنظمتها بين القرآن والواقعية ، أو بين السنة والحداثة .

وتقع الأصولية اليهودية بين الأصولية الكاثوليكية ذات الوجه الكنسى والأصولية الاسلامية ذات الصبغة السياسية . ويقرر ايزى مورجنشتيرن ، مخرج فيلم عن يديشلاند ومؤسس المركز متعدد الاتجاهات للدراسات اليهودية بجامعة تولوز ، أن هناك منبعين لهذه الأصولية : المنبع القديم المرتبط بيهودية الدياسبورا والمنبع الوطنى الذى ظهر مع الصهيونية وقيام دولة اسرائيل . وهاتان الأصوليتان تختلفان فى طبيعتهما وفى مراجعهما .

وفى الواقع ، فان مقارنة الأسماء توضح الاختلاف بين هذين الاتجاهين : فيهود الدياسبورا يطلقون على أبنائهم أسماء ترتبط بمرحلة الشتات وقبل الدولة مثل موسى ويوسف ؛ وهذه الأسماء كثيرا ما تثير اشمئزاز الاسرائيليين الذين يختارون أسماء تعيد التذكير بالتاريخ الحربى للعبرانيين مثل عساف وباراك .

وعلى الرغم من أن هذين التيارين يرجعان الى نفس الكتاب ، وهو العهد القديم طبعاً ، الا أنهما لا يرجعان الى نفس الأصحاحات ! والعهد القديم ينقسم عموماً الى قسمين ، العبرانيون فى الأول منهما فى مصر أو تائهون فى الصحراء أو يهود بشكل أو آخر ، أما فى القسم الآخر فأبناء الشعب المختار قد أصبحوا فى الأرض المقدسة ، وتدير شئونهم حكومتهم

الخاصة وهذه الفترة القصيرة تشمل حكم القضاة والملوك : شاؤول وداود وسليمان . وبعد ذلك انقسمت المملكة وبعدها أسر جزء من الشعب ونقل الى بابل فيما عرف بالسبى ، وأخيرا هدم الرومان أورشليم والمعبد وبذلك انتهت مسيرة العبرانيين .

وكما يوضح ايزى مورجنشتيرن : « هنا كان منطق التاريخ يقضى باندثار العبرانية ، حيث لم يعد لهم دولة ولا أى هيكل مركزى . وهنا لجأ اليهود الى تحويل النصوص التوراتية الى واقع فكتبوا التلمود وخلقوا لأنفسهم أدوات ادارية — قضائية تسمح لهم بالاستمرار بدون اقليم محدد . وهكذا تمكن شعب بلا جغرافية ولا حكومة ولا سلطة سياسية من أن يخلق لنفسه نظاما يسمح له بالبقاء حتى بدون جهاز دولة . وفيما بين هدم المعبد وقيام دولة اسرائيل اختفى العبرانيون وحل محلهم اليهود » .

والأصولية الناشئة من الأرثوذوكسية الدينية والمدفوعة من جماعات المنفى ، تعتبر نفسها المدافع الأقوى عن القوانين التى تنظمَ العلاقة بين الله وشعبه المختار . فهؤلاء الكهنة متعلقون بأداء المهمة السامية المنوطة باليهود بمقتضى العهد الالهى والوصايا العشر ، فهم خلفاء موسى . واذ ينطوون على أنفسهم ، لا يحاولون أن يفرضوا آراءهم على السلطة الدينية العليا — وهى سلطة لا وجود لها فى اليهودية — ولا أن يستولوا على السلطة السياسية فى القدس . واذا كان هذا التيار الذى يمثله فى اسرائيل حزب التوراة الموحد وإذا كان حزب شاس يشترك فى الانتخابات ويضطلع ببعض المسئوليات ، فانه لا يفعل ذلك من أجل الوصول فى نهاية المطاف الى حكم رجال الدين الثيوقراطى ، وانما لأغراض براجماتية للحصول على بعض المكاسب ، مثل : ضمان حد أدنى من التعليم الدينى فى المدارس العامة والحصول على بعض الدعم المالى لمؤسساتهم . ويؤكد البروفسير ايلان جرايلزامير ، أستاذ العلوم السياسية فى جامعة بار ايلان بتل أبيب ، انسحاب اليهود الأرثوذوكس من الحياة السياسية : « كان هنالك فى أول الأمر محاولة للابتعاد ورفض الانفتاح على العالم والشعور بأن الأمر غير ذى أهمية وأنه أمر ثانوى تماما ... » (٦) .

وخارج اسرائيل يقل اهتمام الحركات الأرثوذوكسية اليهودية ، واغلبها معادية للصهيونية أو لا ــ صهيونية ، بالسياسة وهى تفرق بتشدد بين « مدينة اسرائيل » ( أى دولة اسرائيل ) و « أرض اسرائيل» ، أى بين البلد الحقيقى بكل عيوبه الانسانية والفكرة الالهية المجردة عن مكان متخيل . قال لى احد هؤلاء الأرثوذوكس الباريسيين بطاقيته السوداء وذقنه الكبيرة بكل صراحة : « لا يعنينى بالمرة ان كان عرفات أو نتنياهو هو الذى يحكم فى اسرائيل ، ففى الظروف الحالية هذه دولة لا تسير فى طريق التوراة » .

وهذا يوضح بأية درجة من عدم الاهتمام تواجه هذه الأوساط المناقشات فى الكنيسيت أو القرارات السياسية لحكومة اسرائيل . ان من يحلم بدولة تحكمها التوراة ، يعلم أن أغلبية الشعب الاسرائيلى غير متدينة وان الحلم بدولة تخضع لنير الإيمان المتكامل ، أمر مؤجل للمستقبل عندما يظهر المسيح المنتظر . ان الهدف الأول للأرثوذوكسية هو مقاومة الاغراءات الليبرالية لليهودية ، ودفع الحاخامات التقليديين الى مزيد من التشدد الدينى .

ولمقاومة عوامل الجذب للعالم العلمانى ، يضطر أصحاب اليهودية المتكاملة الى النضال من أجل معبد أكثر انغلاقا على نفسه ، ويحلمون صراحة بالزمن الماضى الجميل ، حيث كان التعصب ضد اليهود يحميهم من التأثيرات الخارجية ، التى كانت تتحطم على أبواب الجيتو فى تلك الأيام المباركة !

وعندما وجد اليهود أنفسهم على أرضهم ، ظهر الاسرائيليون مكان العبرانيين القدامى واختصروا زمن الشتات ، ووضعوا بين قوسين الفى عام من تاريخهم وعادوا الى ذلك الجزء من التوراة الذى يتعلق بالمسار الوطنى .

انهم يستندون الى ابراهيم والوعد الالهى بحيز من الأرض ، لقد خلقوا من الجغرافيا فكرة ميتافيزيقية تضفى على اسرائيل مركزية مطلقة وتسبغ قداسة على الأماكن التاريخية ، مثل : ( القدس ) وحبرون

( الخليل ) وسكيم ( نابلس ) . وبالطبع ، فإن الأصـــولية الصهيونية الدينية لها قواعدها الراسخة فى الحقائق السياسية . ففى الشتـــات تحرك هذه التيارات جماعات تبدو أحيانا وهى تخلط بين أنهار السين والتيمز والهدسون وبين نهر الأردن ، عندما تضخم أفكار هذه الجماعات الصغيرة المغالية فى التطرف .

وفى اسرائيل تبرز هذه الأصولية الوطنية بشكل طبيعى ومن بين صفوفها خرج شخص مثل بيجال عامير الذى اغتال اسحـــق رابين . وعلى العكس من الأرثوذوكسية تعمل الصهيونية الدينيـــة على التأثير على الأحداث وعلى اسماع صوتها عاليا ، وهى تحلم بفــرض حـــكم التوراة على البلاد ، وترفض أى حل وسط مع السلطة الفلسطينية يؤدى الى التنازل عن أى جزء من الأرض المقدسة من الحقبة التوراتية . وهكذا نشأ تحالف موضوعى فى السنوات الأخيرة بين أحزاب اليمين المتشـــدد وهذا الشكل من الأصولية الصهيونية حول مصير يهوذا والسامـــرة ، وهو موضوع يعتبره كل من الطرفين أساسيا .

والوطنيون المتدينون على استعداد لفرض حلمهم المسيطـــر على الشعب اليهودى عن طريق صناديق الاقتـــراع أولا ، ولـــكن أيضـــا — للأكثر تشددا منهم — عن طريق القوة ؛ لأنهم يعتبرون أوامر التوراة أهم بكثير من الديمقراطية أو من حقوق الانسان ، هـــذه الاهتمـــامات الانسانية التافهة التى لا تساوى شيئا أمام الخطط الالهية .

# نهاية العالم للسيكارين ( حملة الخناجر )

## او جـــــذور الأصـــولية

يقول عالم الاثنولوجيا كلود ليفى شتراوس : « لا يوجد شيء أخطر على الانسانية من الأديان التوحيدية » (*) ؛ ثم يشرح مقولته : « على قدر الانفتاح الذى واجه به الهنود الأمريكيون الأوروبيين ، فانهم لم تكن لديهم النية لتجاهل الاختلافات بين الجانبين ؛ ولكنهم ببساطة كانوا عـلى استعداد لتقبل المعتقدات الغربية وافساح مكان صغير لها الى جـانب معتقداتهم — وهذه هى الميزة الكبيرة للأديان متعددة الآلهة على الأديان التوحيدية » . ولكن المشروع التوحيدى لا يمكن ان يسمح بأى مكـان التعددية الى جواره ، وكانت المذابح هى وسيلة استئصال الهرطقة .

واذا كانت فكرة الاله الواحد غير المرئي قد ساعدت فى الأزمنـة القديمة الانسان على تصور الاله مختلفا عن الأفكار الوثنيـة بآلهتها

(★) ليس التعصب جانبا أساسيا او أصليا فى الديانات التوحيدية فالمسيح يقول : « اما انا فأقول لكم أن احبوا أعداءكم » ، أما فى القرآن فالنص واضح وصريح : « من شاء فليؤمنَ ومن شاء فليكفر » ( ســـورة الكهف ) ، ولكن التعصب جاء نتيجة للطبيعة البشرية التى تسعى للأسف للتمايز والتفاخر ، حتى إنها اتخذت من تلك الرسائل السماوية النبيلة فى بعض الاحيان ، لاسيما تحت تأثير التحالف المشبوه بين الطغاة ورجال الدين الفاسدين ، وسيلة للتنكيل بالخصوم ، فكانت محاكم التفتيش وتهم التكفير — ( المحرر ) .

الشبيهة بالانسان ، الا أنها كانت ايضا تحمل بذرة التعصب حيث أقامت مملكة الواحد المطلق الأكبر .

وهكذا يمكننا أن نلحظ أثر الأصولية حتى قبل كتابة أول حرف من التوراة ، وذلك عند سفح جبل سيناء حيث كان بنو اسرائيل يتلقون الوصايا الأولى من الله . فبينما كان موسى فى أعالى الجبل يتلقى الوحى من الاله ، كان العبيد السابقون فى مصر والمتعودون على تصور الاله على اشكال متعددة ، يطالبون باله مرئى وملموس .

فطلب الكاهن الأكبر هارون أن يأتوه كل بما يملكون من حلى ذهبية فصنع منها عجلا ذهبيا ؛ فقاموا يغنون ويرقصون ويتعبدون للعجـــل الذهبى . وعندما نزل موسى من أعلى الجبل وبيده لوحا العهد مكتوبـــا عليهما الوصايا العشر ورأى الشعب على هذه الحال غضب غضبـــا عظيما ، وهكذا فالشعب الذى رأى مجد الرب يجلل جبل سيناء ويبدو كنار تظهر من وسط السحاب الذى يغطى الجبل وسمع صوت الرب يرعد فوق الجبل ، قام وصنع لنفسه صنما ليعبده على شكل عجل من الذهب ، فلزم تأديب هؤلاء العصاة .

تقول الوصية الالهية : « لا تقتل » ومع ذلك ، فقد جمع موسى اليه بنى لاوى فقال لهم : « هكذا قال الرب اله اسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب الى باب فى المحلة واقتلوا كل واحد اخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه » (٢) . وقتل فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف رجل اختيروا عشوائيا لامتصاص غضب النبى الذى شعر بالمهانة ؛ لأن الشعب تنكر له بهذه السرعة .

وهكذا ، فحتى فى تلك الأزمنة الأولى للديانات التوحيدية نجد الاله الواحد — على العكس مما قد نظن — يجد صعوبة فى فرض سيطرته ، وفى قلب معبد اليهود والى جانب الاله غير المرئى ، رفع موسى حية من نحاس ( نحوشتان ) ووضعها على الراية لتحميهم من الحيات التى كانت تهاجمهم ، أى أن موسى قدم تنازلا لعاداتهم الوثنية حيث اعتقدوا أنها ستحميهم من غضب الله ومن ضرباته التى انزلها بهم . وقد بقى هـــذا

« الصنم » طويلا فى بيت الله وكانوا يتعبدون له ربما بثقة أكبر من الاله الذى لا يرونه . وفى القرن السابع قبل الميلاد حطم الملك حزقيا (*) اخيرا تمثال الحية هذا وفرض التوحيد المطلق ، والملك حزقيا هذا هو نفسه الذى فرض مركزية صارمة الى حد اغلاق جميع دور العبادة المقدسة الصغيرة فى أرجاء المملكة ؛ حتى يبقى المعبد فى أورشليم هو وحده مركز ولاء الشعب . لقد حاول عن طريق وحدة المكان والدين أن يدعم سلطته الملكية وان كان لم ينجح فى تحقيق ذلك ، وهنا يبرز التحالف بين الدين والسياسة .

ويمكن أن نجد فى التوراة العديد من القصص التى تدعم نظريتنا ولعلها أقرب الى الأساطير والأمثال منها الى التاريخ . ولكن هذا العنف التوراتى يعود ، اذا توخينا الدقة ، الى التعصب أكثر منه الى الأصولية حيث ان الشريعة كانت مازالت فى طور التكوين . صحيح أن النظرة الدينية لا تقبل المقابلة بين التاريخ والأسطورة وتعتبر الوحى الالهى كلا لا يتجزأ ، ولكن من وجهة النظر التاريخية التى نتخذها ، فان الأصولية لا يمكن أن تظهر الا بعد أن يكتمل الوحى الالهى أو يبدو أنه قد اكتمل . فعندما يكتمل القانون الالهى أو الشريعة يشعر المؤمنون أن من واجبهم أن يتمسكوا بالطاعة الكاملة المطلقة للوحى الالهى ، وبالفعل بمجرد اكتمال التوراة ، وقف أوائل الأصوليين وسلاحهم فى يدهم يدافعون عن راية اله اسرائيل فى بلدان الشرق التى تفور بالمشاكل .

فى عام ١٧٥ قبل الميلاد كانت يهودا مقاطعة سورية وكان الملك انطيوخوس الرابع قد اعتلى العرش وبدأ سياسة منظمة لفرض الطابع الاغريقى على فلسطين ، واختص الملك ( أورشليم ) مدينة الملك داود

---

(*) **حزقيا** : اسم عبرى يعنى الرب قوة ، وهو ابن أخاب ملك يهودا ، اشترك مع ابيه فى الحكم فى عام ٧٢٨ ق٠م٠ ، ويقال انه بدأ فى الحكم فى سن الخامسة والعشرين وافتتح حكمه بترميم الهيكل وتطهيره ، وانتصر حزقيا على الفلسطينيين ، وفى السنة الرابعة من حكمه بدأ شلمنصار حصار السامرة ، واكمل سرجون الثانى الحصار عام ٧٢٢ ق٠م وحمل الأسباط العشرة للسبى ٠ ومات حزقيا حوالى عام ٦٩٣ ق٠م تاركا العرش لأبيه ٠ ( المراجع ) ٠

القديمة بمشروعاته الرائعة للتوسع والنمو التجارى ، ووعد المدينة بقانون خاص وحق سك العملة . ولانجاح سياسته كان لا بد من التخلص من أولئك الذين يريدون ابقاء السكان تحت نير شريعة التوراة ، فكان أول اجراءاته هو طرد كبير الكهنة ياسون وتعيين آخر يدعى مينيلاس بدلا منه لاقناعه بقضية الأغرقة .

بعد العودة من سبى بابل (*) ، انقسمت اليهودية بين أولئك الذين يريدون معايشة زمنهم ، وأولئك المتشددين المتمسكين بالشريعة الالهية . وسيطر أنصار التغيير فى أول الأمر فبدأت القدس تلبس ثوباً جديداً ، فبنيت فيها قلعة ومنازل جميلة للأعيان . وأخذ شباب اليهود من العائلات الغنية ، الذين آثروا مسايرة الأوضاع السائدة بدلا من التمسك بالتقاليد القديمة ، يقلدون عادات الحضارة الاغريقية فى الملبس والعادات وحتى فى التحدث باللغة اليونانية ، فكانوا يشاركون وهم عراة تماما فى مسابقات العدو أو رمى الرمح فى ساحة السباق ، فى حين كان الكهنة يتركون خدمة المعبد ويذهبون للتمتع بمشاهدة هذه المسابقات الوثنية . وأصبحت القدس مثل بقية العواصم المناظرة بما فيها من مظاهر البذخ والألعاب والانحلال . وكانت الأمور يمكن أن تسير بكل سلاسة ، لولا أن المدينة كانت تمزقها الصراعات بين المهووسين بالدين الراغبين فى الاستقلال الذاتى وأتباع السلوقيين .

وعندما سرت اشاعة كاذبة عن موت انطيوخوس ، تصور كبير الكهنة المخلوع ان الوقت قد حان لاعادة سيطرته المفقودة ؛ فحاصر المدينة بقواته وحاول اقتحامها بالقوة ، الا أن الحامية الملكية فى القلعة صدت

---

(*) وهو سبى مملكة يهودا ، وقد تنبأ اشعيا بهذا السبى قبل وقوعه . وقد تم هذا السبى على يد نبوخذنصر فى أربع مراحل : فى عام ٦٠٥ ق.م ، ٥٩٧ ق.م ، ٥٨٧ ق.م ثم فى عام ٥٨٢ ق.م . فأخذ نبوخذ نصر عظماء البلد ومنهم دانيال ورفاقه ، والعمال الفنيين ، كما دمر الهيكل . وقد وصل اليهود فى السبى الى مراكز مرموقة ، فامتلكوا البيوت واشتغلوا بالتجارة . ثم سقطت بابل فى عام ٥٣٩ فى يد كورش الفارسى وسمح بعودة اليهود الى اراضيهم - ( المراجع ) .

الهجوم بنجاح واضطر ياسـون (*) الى الفرار . وهكذا كان لابد من معاقبة العصـاة ، فبعد عودة الملك من حملة على مصر زحفت جيوش السلوقيين(**) على ( القدس ) لفرض النظام وحضـارة المحتل ، وفى يوم السبت دخل الجنود السلوقيون المدينة وقتلوا الأكثر تشددا من ابناء اسرائيل وهدموا سور المدينة القديمة .

وتعرض الهيكل بصفة خاصة الى غضب الملك والى جانب انـــه خُصص لعبادة جوبيتر ؛ فقد جرى تدنيسه بأعمال فاضحـــة مما أثار الهمية الدينية لكل الشـعب الذى قام ضد الثقافة الوثنية .

ومع ذلك ، فالسلوقيون لم يتبعوا فى أى من مستعمراتهم سياسة الاضطهاد الدينى (٣) ، وانطيوخوس مثل أسلافه لم يقصد أبداً أن يحرم اليهودية : فالبانثيون متعدد الآلهة لم يكن يضيق باله آخر !! . وعلى الرغم من أن كبير الكهنة ، مبنيلاس ، قد احتفظ بكل وظائفه وحافظ بذلك على الايمان باله اسرائيل ، الا أن الملك عمل على اضعاف كل مراكـــز العبادة المحلية بهدف الاحتفاظ بوحدة الشـعوب غير المتجانسة التى تتكون منها امبراطوريته حول صورة جوبيتر . ولم يتصور انطيوخوس الذى كان يعتبر التعبد لآلهة متعددة امرا عاديا تماما ، أن مجرد وضع تمثال من الحجر داخل الهيكل يمكن أن يستفز أولئك الأكثر تشدداً من أنصـــار التوراة الى حمل السلاح .

« الى يا من تحبون الله » . هكذا صاح الكاهن العجوز متاتيا (***)

(★) **ياسون** : اسم يونانى معناه يشفى . كاهن أعظم . ابن سمعان الثانى ( ١٧٤ ـ ١٧٦ ق.م ) . استعمل نفوذه لاشاعة الروح اليونانية بين اليهود . وقد خلف أونياس فى الكهانة بعد أن قدم رشوة لانطيوخوس الرابع . وقد هاجم القدس بمجرد أن ترددت شائعات عن هزيمة انطيوخوس فى مصر ، ولكنه هزم على ايدى المقاومة وفر الى عمان ـ (المراجع) .

(★★) **السلوقيون** : نشأت الدولة السلوقية بعد الاسكندر ، واستولت على بلاد واسعة من أملاكه . وأسست الدولة السلوقية فى سوريا وغيرها من بلاد آسيا . دعيت كذلك نسبة الى سلوقيوس مؤسسها ، واستمر حكمها من ٣١٣ الى ٣٦٥ ق.م. كان سلوقيوس قائدا فى جيش الاسكندر ـ ( المراجع ) .

(★★★) **متاتيا** : والد الاخوة الحشمونائيين . وقد قتـل المسئول الملكى الذى أرسل لتدعيم عبادة زيوس . وكان هذا الحادث هو البؤرة التى فجرت الثورة ضـد انطيوخوس وتزعم متاتيا الثورة فى مرتفعات يهوذا . وقد خلفه فى الثورة يهوذا المكابى ـ ( المراجع ) .

الحشمونائى داعيا الى الثورة . ولا معنى للتساؤل أكانت تلك ثـورة وطنية أم دينية ، ففى تلك الأزمنة السحيقة كان الايمان وثيق الصلـة بالشعور الوطنى، وخاصة فى فلسطين حيث تسيطر شريعة الله على الحياة السياسية والنظام الاجتماعى والخلية العائلية . وقامت قوات يهـوذا المكابى ابن الكاهن متاتيا بمناوشة القوات السورية ، دون هـوادة ، دفاعا عن الاستقلال الذاتى والحرية الدينية . ودخل الثوار المنتصرون ( أورشليم ) المحررة من المحتل الأجنبى وهم يسبحون للخالق وكان أول ما قاموا به هو تطهير الهيكل من دنس عبادة الأوثان . ولكن الحشمونائيين عندما دعـوا اليهود الى الثورة باسم اله اسرائيل الواحـد ، وعندما أقاموا أتوقراطية الشريعة الالهية فتحوا الباب لكل أنواع التعصب .

وخلال القرن الثانى قبل الميلاد ، أثار يوحنا هيرقان ، حفيد متاتيا ، كل أشكال التعصب القومى مستخدما الدين بهـدف فرض السيطـرة القومية . وخلال ثلاثين عاما كان التعصب الدينى وغزو الأراضى المجاورة هما أساس حكمه المضطرب . وغزت قواته البلدان المجاورة وأخضعت شعوبا بأكملها للاله الواحد ، فالسامريون (*) الذين كانوا يشاركون الاسرائيليين نفس الايمان دون أن يأخذوا مثلهم بالوحدة المتكاملة للتوراة، تعرضوا للاجتياح وهدم هيكلهم المقام على جبل جريزيم حتى آخر حجر . وفى الجنوب استعبد شعب أدوم (**) وفرض عليهم الدين اليهودى . وهدمت مدينة السامرة (***) التى احتلتها الجيوش اليهودية على يـد

---

(★) السـامريون : اشتق اسمهم من السامرة عاصمة مملكة اسرائيل ، ويبدو أنهم البقية الباقية من يهود هذه المملكة التى أصبحت بها عبادة مستقلة عن أورشليم والهيكل . وحينما عاد اليهود من السبى البابلى رفضوا اشراك السامريين فى اعادة الهيكل ، بل وسنوا القوانين التى تحرم الاختلاط بهم . وهم يؤمنون بأسـفار موسى الخمسـة : ( ١ ـ التكوين ٢ ـ الخروج ٣ ـ اللاويون ٤ ـ العدد ٥ ـ التثنية ) بالاضافة الى سفر يوشع بن نون ، ولذلك يختلف كتابهم المقدس اختـلافا واضـحا عن التوراة الشائعة ، كما أنهم لا يقدسون التلمود الذى دونه حاخامات اليهود ـ ( المراجع ) .

(★★) شعب أدوم : أحد الشعوب السامية التى كانت تقطن أرض كنعان ، ويعد الأدوميون الأعداء التقليديين للاسرائيليين ، اذ حارب شاؤول ضدهم ، وضم داود أجزاء من أرضهم ـ ( المراجع ) .

(★★★) السامرة : عاصمة مملكة اسرائيل التى يوجد فيها جبل « جريزيم » الذى يحج اليه السامريون فى عيد الفصح ـ ( المراجع ) .

المكافحين من أجل الحق الالهى . وفى الهيكل وقف يوحنا هيرقان بملابسه البيضاء وعلى رأسه تاج ذهبى نقش عليه اسم الله يعلن باسم الاله هذا النصر المجيد .

لقد استخدم يوحنا هيرقان بذكاء الروح الوطنى للشعب اليهودى وتقواه العميقة أداة لسياسته التوسعية ، وتحت قيادته توسعت دولة يهوذا الصغيرة ، التى كانت خاضعة للسوريين ، الى حدود امبراطورية سليمان القديمة . وقد اعتمد بوصفه الكاهن الأكبر والحاكم المطلق على الصدوقيين (*) ، الذين كانوا يحلمون بأمة يهودية قوية تتسع اقليميا على حساب الأراضى السورية وتحكمها أتوقراطيا طبقة متميزة ، وفى مواجهتهم وقف الفريسيون (**) الذين لا يعترفون بالسيادة الا لله ولا بقانون الا شريعته .

وعندما وضع الاحتلال الرومانى نهاية لأحلام التوسع اليهودية ، كان الصراع ما زال محتدما بين الصدوقيين والفريسيين حول استخدام التوراة أداة للغزو أو موجها للحياة فى تقوى ، أداة للسيطرة القومية أو للتشدد الدينى .

أما الملك هيرودس الذى أقامه مارك أنطونيوس على العرش ، فاهتم بالدرجة الأولى بتجميل أورشليم وانشاء مدن حديثة فى البلاد ، وقد فقدت الحكومة فى عهده صبغتها اليهودية وحتى الأعمال الكبرى التى قام بها لتجميل الهيكل ، كان الغرض منها مجرد جعله فى مستوى بقية المعابد الوثنية ، ووضع فوق مدخله نسر ذهبى ليذكر المصلين بالطاعة الواجبة للحكام الزمنيين .

---

(★) الصدوقيون : تنتسب هذه الفرقة فى الروايات القديمة الى صدوق الكاهن الأعظم لداود ، وقد ورث أحفاد صدوق الكهانة عنه ؛ الا أن بعض الباحثين يستبعدون انتساب هذه الفرقة لصدوق الكاهن · واختلف الصدوقيون مع الفريسيين فى مسائل عديدة مثل شكهم فى يوم الرب ، ورفضوا فكرة الثواب والعقاب فى الآخرة ·

(★★) **الفريسيون** : هم طائفة من علماء الشريعة ، وكانت لهم الكلمة العليا فى توجيه المجتمع اليهودى على عهد المسيح · وقد دون الفريسيون معتقداتهم فى كتب بعضها بالعبرية وبعضها بالآرامية واليونانية · وآمن الفريسيون ببعث الروح فى الجسد فى آخر الأيام ، ويؤمنون بالملائكة والقضاء والقدر ــ ( المراجع ) ·

وسرعان ما جاء رد الفعل الدينى الصرف على يد الاسنيين الذين اختاروا الانسحاب بعيداً فى الصحراء للتعبد .

ولكن الكفاح من أجل الاستقلال استمر سرا ، وهكذا ظهر حزب المتحمسين الذين أخذوا يحاربون النظام بالعنف والاجرام ومن بينهم السيكاريون — لأنهم كانوا يتسلحون بالخناجر الرومانية المسماة « سيكا » — وهؤلاء كانوا يغتالون سرا من يعتبرونهم قد خانوا القضية الوطنية . واذ سيطرت عليهم فكرة استعادة الاستقلال وأنهم انما يقربون عودة المسيح المنتظر بتطهير الأرض المقدسة من الآثام التى تدنسها ؛ فقد ألهبوا فلسطين بالدماء التى أغرقوها بها .

ويعتبر السيكاريون أكثر أشكال الأصولية حدة فى العصور القديمة ، فانهم لم يوجهوا ضرباتهم الى جنود العدو ، وانما الى يهود تهمتهم أنهم كانوا متراخين فى تطبيق الشريعة الالهية وفى مواقفهم الوطنية . وبدأ هؤلاء القتلة فى أول الأمر باغتيال المتهمين بالتعاون مع السلطات الرومانية ، فقتلوا الكاهن الأكبر يوناثان وعددا من رؤساء اليهود المتهمين باتباع سياسة الوفاق ثم بدءوا بعد ذلك حربا حقيقية بين اليهود باغتيال المتعاونين ومن تزوجوا بأجنبيات وحتى من يتزينون بالزى الرومانى . وأخيرا دخلوا بسلاحهم العاصمة للسيطرة عليها ، وهكذا قطعوا العلاقة مع روما فتقدمت جحافل الرومان لسحق اليهودية .

وفى صيف العام ٧٠ الميلادى وبعد أن أحدثت جيوش تيطس ثغرة فى أسوار القدس ، كان اليهود مازالوا يتقاتلون فيما بينهم ، واذ أخذتهم الحمية الدينية فقد قرر المتحمسون أن يطهروا الشعب بالحديد والنار .

واقتناعاً منهم بأن اجراءاتهم ستخلص الشعب وتقرب ساعة الخلاص بظهور المسيح المنتظر المرتقب ، وقفوا أعلى الأسوار يراقبون الأفق انتظارا لمجىء المخلص الذى لم يظهر أبدا . واندفع جنود الرومان داخل المدينة وأحرقوا الهيكل ، وسقطت يهودا . وتأكيداً لقوة الرومان التى لا تقهر ، أمر تيطس بتسوية القدس بالتراب .

لقد ادى تعصب جماعة المتحمسين الى احراق الهيكل ؛ ولا تزال التقاليد اليهودية تذكر هذا الجرح الذى لا يندمل فى تاريخها .

لقد ادت الرؤية المتطرفة للمتحمسين والسيكاريين الى الغاء فرصة بقاء القومية اليهودية . حقيقة ، لم يتخل اليهود عن هويتهم بعدها مباشرة ، فعندما قرر الامبراطور هادريان (*) بعدها بستين عاما ، أى فى العام ١٣٠ ميلادية ، اعادة بناء المدينة وجعلها عاصمة رومانية لا تمارس فيها الشعائر اليهودية ثارت فلسطين مرة أخرى . وذرع حكيم عجوز هو الحاخام عقيفا(**) البلاد داعيا الشعب الذى لازال يعانى من آثار الهزيمة الى الوحدة وجمع الصفوف وتجنيد القوات لمحاربة المحتل، وقاد شمعون(***) بار كوخفا الملقب ( بابن النجم ) ، هؤلاء الرجال المصممين على نسيان خلافاتهم ومحاربة أعدائهم الحقيقيين وهم الرومان . ونجح الشعب المتحد فى الاستيلاء على ( أورشليم ) وبناء مذبح جديد على تل الهيكل المحترق ، ليكون حجر الأساس للهيكل الثالث ، ولكن سرعان ما قضت جحافل الرومان على الثورة وقتل بار كوخفا فى المعركة الأخيرة من هذه الحرب الأخيرة .

وبهذه المأساة توقف لوقت طويل الكفاح الوطنى للشعب اليهودى . وفى هذا الجو المضطرب ، تطلع البعض مرة أخرى نحو الأمل فى المسيح المرتقب . وأخذ تلاميذ يسوع الناصرى فى استكشاف طرق جديدة لا هى طريق الوطنية ولا هى فى اتباع تعاليم التوراة بدقة ، فكان الدرس الذى

---

(★) هادريان : امبراطور رومانى ( ١١٧ ـ ١٣٨ ) . وقد حظيت السياسة التى اتبعها تجاه اليهود بقبولهم بيد أن تحريمه للختان الذى يعد طقسا أساسيا فى اليهودية أثار حفيظة اليهود . وقد قرر اضفاء الطابع الهيلينى على فلسطين من خلال تحويلها الى مستعمرة رومانية . وقد شهدت فترة حكمه ثورة بار كوخفا ـ ( المراجع ) .

(★★) عقيفا : يعد واحدا من أهم مفسرى العهد القديم ، ويقوم منهجه على توضيح أن كل كلمة بالعهد القديم تنطوى على دلالات شديدة الخصوصية . وقد قام بتجميع وترتيب كل أقوال حاخامات التلمود وفقا لمواضيع الشريعة وقضاياها . ( المراجع ) .

(★★★) شمعون باركوخفا : قاد باركوخفا فى عام ١٣٢ الثورة ضد هادريان ، وزعم الحاخام عقيفا آنذاك أن باركوخفا هو المسيح المنتظر ، ولكن هذا الرأى لم يحظ بقبول الحاخامات . ويضفى التلمود على باركوخفا صفات أسطورية خارقة . وشن باركوخفا ثورات عديدة ضد الرومان على مدى ثلاث سنوات ـ ( المراجع ) .

خرج به المسيحيون الأوائل هو أن الشعب اليهودى قد خسر الحماية الالهية ؛ لأنه اهتم بالطقوس الدينية لاله غيور على حساب المحبة .

لقد اختلف أتباع الطقوس عن تلاميذ المسيح فاختار الأولون ، لكى يمكنهم العيش خارج حدود أرض الوطن ، أن يخلقوا لأنفسهم وطنا متنقلا فكتبوا التلمود ، أما الآخرون فقد اختاروا لأنفسهم رسالة عالمية واستبعدوا الشريعة المتزمتة ليكسبوا العالم الوثنى . وهكذا بدأت اليهودية تاريخا جديدا فبعد فقدان اقليمها الوطنى ، أصبحت الأصولية فيها مقصورة على أساتذة الشريعة .

ان المشكلة التى واجهت اليهود بعد هدم الهيكل هى التى واجهتهم مرة أخرى فى بولونيا بنهاية القرن السابع عشر : لقد حافظ المؤمنون على العهد واحترموا الوصايا التى تلقاها موسى على جبل سيناء ومع ذلك ، حاقت بهم أقسى المصائب وبدأ الشعور بفشل العلاقة بين الله وشعبه المختار يظهر مرة أخرى .

وكانت هذه الحقبة فى الواقع من أشد الفترات ايلاما فى التاريخ المضطرب للشعب اليهودى ، وكانت عصابات القوزاق الخارجين على السلطة المركزية تجتاح مناطق بأكملها من شرق أوروبا ، مخلفة وراءها يهودا وسط الرماد والأنقاض . ولكى يهربوا من هذا المصير ، حاول اليهود أن يتحرروا من التاريخ بالدخول فى المغامرة الروحية التى تنقذهم من مصاعب العصر وتضعهم على الطريق المجيد للخلاص . وأدى ظهور المسيح الدجال ( شبتاى تسفى (*) من سميرنا ) الى موجة من الحماس الشديد فى بولندا ، التى كانت المصائب تحيق بها : فقد أعلن رجل الأقدار نهاية التعاسة التى يتحملها الشعب اليهودى وبزوغ مستقبل مشرق .. ولكن عندما طالبه الباب العالى فى القسطنطينية أن يبرهن على قدراته

---

(*) ولد شبتاى تسفى ( ١٦٢٦ ـ ١٦٧٦ ) فى ازمير ، وحينما بلغ الحادية والعشرين من عمره أعلن أنه المخلص الذى ينتظره اليهود ، وقد آمن به كثير من أعضاء الأقليات اليهودية فى العالم ولا سيما فى شرق أوروبا ، ثم أعلن أن عام ١٦٦٦ هو بداية العصر الألفى وانه سيذهب ليخلع السلطان العثمانى ، ولكنه أشهر اسلامه بعد مجيئه الى استانبول . وتعد طائفة الدونمة فى تركيا من أتباعه ـ ( المراجع ) .

الخارقة التى يدعيها والا يعدم ، تخلى المسيح الدجـال عن تنبؤاته واعتنق الاسلام وتخلى عن الجماعات اليهودية التى أصابتها الصدمة بخيبة أمل عظيمة ! .

وفى هذا الجو الذى ينذر بنهاية العالم ، قام معالج ريفى صـغير باعادة الروح لليهودية مرة أخرى ، وهكذا نشأت الحسيدية (*) كرد فعل ضد الديانة الجافة للحاخامات ، حيث وضعت التفسيرات المعقدة للتلمود ستارا يغطى العهد المبنى على المحبة بين الله والانسان . فقد دعا بعل شيم توف (**) ( المعلم ذو الاسم الطيب ) الى العودة الى التدين الحماسى المبنى على الفرح النابع من الغناء والرقص ، والايمان بالـه موجود فى كل الأشياء وحاضر فى كل الأمكنة .

وهكذا شعر أتباعه بالسعادة فى خدمة الخالق عن غير طريق التعمق المجنون فى دراسة النصوص واتباع الطقوس ذات الطبيعـة التقشفية للنساك .وعلى العكس ، دعا بعل شيم توف الى دراسة التوراة واتباع الوصايا بروح الفرح ، وفى مقابل الأرثوذوكس العاكفين على الكتب ، كان المعلم الجديد يميل الى الاختلاء فى الغابات أو الجبال حيث يقترب من الخالق عن طريق الصلاة التى تقترب من النشوة الملهمة . وبشكل

---

(★) انتعشت الحركة الحسيدية فى أوروبا الشرقية وخاصة فى المناطق الريفية منها . وكان مؤسس هذه الحركة الذى يدعى « بعل شيم توف » يعظ القوم بقوله : « ان عبادة الله المثالية هى التقشف فى الحياة اذ يستطيع الانسان أن يعبد ربه فى الغابات وتحت الأشجار » .

وينص فكر هذه الحركة على أن الله ليس فى حاجة الى المعابد ، وأن المعبد هو فى داخل القلب المخلص ، وأن صلاة الانسان لا تحتاج الى أقوال أو أفعال وانما هو سمو الفكر ، والتركيز فى الخالق سبحانه وتعالى . كما تشير عقائد هذه الحـركة الى أن العبادة يجب أن تتسم بمظاهر المرح والسرور . ( المراجع ) .

(★★) بعل شـيم توف .

ولدت هذه الشخصية المؤسسة للفكر الحسيدى ( التصوف ) اليهودى فى مدينـة بودوليـا بجنوب بولندا فى عام ١٧٠٠ . وكان اسمه الحقيقى اسرائيل بن اليعـازر غير أن أتباعه أطلقوا عليه اسم « بعل شيم توف » الذى يعنى « ذو الاسـم الطيب » ، لما تمتع به من مكانة أسطورية فى الأوساط اليهودية ، التى نسبت اليه المعجـزات فى مجـال شفاء المرضى . توفى بعل شيم توف فى عام ١٧٦٠ . ( المراجع ) .

ما كان يعارض « أصولية الحاخامات » ليخلق ايمانا أقرب الى التعبير المنطلق عن الاحساس .

وانطلق هذا التيار بسرعة من بولونيا الى روسيا ومن رومانيا الى جاليتسيا واصطدم فى بعض الأحيان بعنف مع يهودية الحاخـامات ، وحاول معارضو الحسيدية الذين لم يقتنعوا بالرسالة الروحية لهـذا التيار ايقاف توسعه ولكن دون جدوى .

وتكونت فى المراكز اليهودية الرئيسية مدارس حسيدية تجمعت كل منها حول أحد المعلمين ، والى جانب دراسة التلمود (*) ، التى اتخذت أحيانا طابعا تجريديا ، أنشأت الحسيدية دراسات تشجع الخيـال والرؤى على أساس قصص دينى بناء يقوى روح الايمان ويشجع على استكشاف خفايا الكون ، وهذه القصص والأمثال كانت مصدر الالهام للأدب اليهودى ابتداء من يسرائيل تسانجفيل (**) حتى ايلى فيزيل .

وكان انتظار مجىء المسيح اليهودى المنتظر (المشيح(***) ) يمثل جزءا هاما من الروح الدينى الذى أطلقه بعل شيم توف ، فقد أصبح الأمل الوحيد للانسانية يكمن فى بعث الأموات والخلاص على يد مسـيح الـرب .

---

(★) **التلمود** : يحتوى التلمود على ثلاثة وستين كتابا من المؤلفات التاريخية والقانونية والأدبية التى وضعها القدماء من رجال الدين اليهودى فى الكليات الدينية فى بابل - ( المراجع ) .

ويشتمل التلمود على مجموعة من القوانين والشرائع . ولا تزال المعلومات التى تحتوى عليها كتب التلمود أهم ما يتلقاه رجال الدين من الأورثوذكس والمحافظين .

(★★) **يسرائيل تسانجفيل** : ( ١٨٦٤ - ١٩٢٦ ) : مؤلف يهودى بريطانى . ولد لعائلة روسية فقيرة فى لندن . أصدر عدة أعمال عن طبيعة حياة اليهود فى الجيتو . وقد جمع كل مقالاته التى كتبها عن حياة اليهود فى كتاب صوت القدس . كانت الترجمة من أبرز اهتماماته ، فترجم عددا كبيرا من الشعر العبرى الدينى الى الانجليزية . وكان من أشد أنصار الفكر الصهيونى ، وعمل على الترويج له فى انجلترا - ( المراجع ) .

(★★★) تستخدم اللغة العبرية لفظة « مشيح » للاشارة الى المسيح المنتظر ، وهـذه اللفظة مشتقة من الفعل « مشح » أى مسح بالزيت ، ولكن معنى الكلمة تطور فأصبحت تشير الى ملك من نسل داود سيأتى بعد ظهور صهيون ، ويحطم أعداء اسرائيل ، ويتخذ أورشليم عاصمة له ، ويعيد بنـاء الهيكل ، ويحكم بالشريعة المكتوبة أى بالتوراة وبالشريعـة الشفهية أى بالتلمود ، ثم يبدأ الفردوس الذى سيدوم ألف عام - ( المراجع ) .

ولم تنشىء الحسيدية دراسة لاهوتية جديدة ولم تناد بأى شىء مخالف لتعاليم التوراة ، ولكن الحسيديين ، مثلهم مثل المسيحيين الأوائل ، ابتعدوا عن العالم الواقعى ووضعوا كل آمالهم فى الله أو فى المعلم الذى كان له السلطة حتى فى تغيير بعض الوصايا الالهية . وبناء عليه ، أصبح أى عمل قد يؤثر على الواقع أمرا خارجا على الدين وتجب ادانته ، وبانسحابهم تدريجيا من العالم الحالى وضعوا أنفسهم على هامش الأحداث . وعلى الرغم من أنهم أصوليون بطريقتهم ، الا أنهم عارضوا باصرار أية محاولة للتحرر ؛ وهكذا كانت نظرتهم للاحياء القومى.وبصفة عامة عارضت الحسيدية ، مثلها مثل أجزاء كبيرة من اليهودية الحاخامية، بشدة عودة الشعب اليهودى الى أرضه التاريخية .

وفى القرن التاسع عشر أدى نشوء الأمم مرة أخرى الى انقلاب كبير فى العقلية اليهودية ، ففى مواجهة العقائد الدينية فتحت الصهيونية السياسية المجال أمام العودة الى التاريخ القومى . وهكذا وجد الحاخامات ، الذين ورثوا الفريسيين ، سلطتهم الروحية مهددة بالرغبة اليهودية فى اعادة الارتباط باقليمهم الجغرافى القديم . وبالطبع ، كان الصهيونيون الأوائل لهذا السبب بعيدين عن الأوساط الدينية ، فى حين عارضهم الحاخامات الذين تخوفوا من زعزعة سلطاتهم الروحية . وقبل الحرب العالمية الثانية بقليل أبدى الحاخام موشى بلاو (*) ، أحد قادة أجودات يسرائيل (**) المعادية للصهيونية ، صراحة ، القلق من «احتكار»

---

(★) موشى بلاو : ولد بلاو فى القدس فى عام ١٨٨٥ ، وتولى زعامة حزب اجوادات يسرائيل من عام ١٩٢٤ حتى وفاته فى عام ١٩٤٦ . وتولى تحرير مجلة كول يسرائيل الناطقة بلسان الحزب . وقد مثل بلاو فى هذه الحركة أمام اللجان البريطانية والدولية المعنية بالقضية الفلسطينية - ( المراجع ) .

(★★) اجودات يسرائيل : منظمة دينيه وسياسية لليهود المتشددين ، ويتمثل مبدؤهم الرئيسى فى حل كل القضايا اليهودية وفقا لروح التوراة . وقد طرحت فكرة تأسيس « أجودات يسرائيل » لأول مرة فى عام ١٩٠٩ ، ولكن الاعلان الرسمى عن التأسيس . تم بعد ثلاث سنوات من ذلك ، ففى عام ١٩١٢ وفى أعقاب قرار المؤتمر الصهيونى العاشر ( ١٩١١ ) بتضمين البرنامج الصهيونى الأنشطة الثقافية ، انسحب بعض الأعضاء من منظمة «مزراحى» الدينية ، وأسسوا الى جانب مجموعات أخرى من اليهود المتدينين « أجودات يسرائيل » . وأعلنوا عن تأسيسها فى مؤتمر عقد لهذا الغرض فى بولند اعام ١٩١٢ - ( المراجع ) .

الصهيونيين للنفوذ على اليهودية ، كاشفا بذلك خوف الحاخامات من فقدان نفوذهم . قال : « ان الصهيونيين لا يحترمون حرمة السبت ، ومع ذلك يصرون على احتكار اليهودية ويعتبرون أنفسهم رغم ذلك يهودا طيبين . انهم يستخدمون فكرة القومية وهى فكرة جديدة على اليهودية — التى كانت حتى ذلك الوقت تتحدد بالدين وبالتوراة — للاستيلاء على اليهودية ؛ ليحققوا هدفهم فى الثورة على التوراة وقد تركوا التوراة ، وخلقوا صراعاً حول تعريف الشعب اليهودى »(٤) . وبتحقيق النجاحات الأولى للصهيونية وزرع جماعات صهيونية كبيرة فى فلسطين ، عادت المناقشات القديمة الى الظهور بعنف : طبيعة الدولة المقبلة واقليمها الجغرافى ودور الدين داخلها كانت كلها فى قلب هذه الصراعات . واشترك فى هذه الصراعات كل الأطراف القديمة : أنصار دولة ضمن تجمع الأمم ، والمنادون بالهوية القومية المتميزة ، والمتدينون المرتبطون بالنصوص المقدسة وقد استخدموا العنف فى هذه الصراعات أحيانا . لقد اختفت الامبراطورية الرومانية منذ زمن طويل ولا زال اليهود منقسمين على أنفسهم .

لقد هز اغتيال اسحق رابين العالم ومع ذلك ، فالعديد من أشكال التطرف قد سبقت هذه الجريمة السياسية الدينية المجنونة . ومنذ قتل موسى عبدة العجل الذهبى ، وفرض الملك حزقيا عبادة الاله الواحد بالقوة ، واغتيال السيكاريين للكاهن الأكبر فى القدس ، بات من المعروف أن الأصولية لا تصل الى مداها الا عندما تتحد بالسياسة فبدون الرغبة فى السلطة ، يبقى الأصوليون محصورين فى معابدهم وفى مجالات الايمان يفرضون سلطتهم على مجموعات متناثرة من المؤمنين المرتبطين بقضيتهم من قبل .

لقد كان جاكوب دى هان شخصية غريبة : لقد كان شاعرا وصحفيا وتقلب بين أيديولوجيات عديدة ومتناقضة ، فقد كان عضوا فى الحزب الاشتراكى الهولندى وطرد منه لأنه نشر قصة حب بين الشواذ ، وانجذب لفترة ما الى الصهيونية ثم تركها ليتبنى الأرثوذكسية الأكثر صرامة . واذ اقتنع بأن القومية اليهودية هى أيديولوجية معادية للدين ،

حاول فى أوائل العشرينات أن يعبىء القوى المعادية للصهيونية، فى تحالف ضم الحركات الدينية المتشددة والقوميين العرب . ونظرا لأنه كان نشطا جداً وذكياً ومقنعاً والناطق باسم الاتجاهات الأكثر خلقية ؛ فقد اعتبرته الحركة الصهيونية الهشة حتى ذلك الوقت خطرا عليها ، وفى يونيـو ١٩٢٤ تم اغتياله على يد اثنين من رجال العمليات الخاصة للهاجاناه.

لقد انقسم العالم اليهودى طويلا بشأن حادث اغتيال آخر : ففى ١٦ يونيو ١٩٣٣ اغتال شخصان مجهولان على شاطىء البحر فى تل أبيب حاييم آرلوزوروف (*) رئيس الادارة السياسية للوكالة اليهودية وأحد الشخصيات البارزة فى حزب العمل . ولم تكتشف أبدا شخصية القاتلين فربما كانا مجرمين عاديين ؛ ولكن كان هناك اقتناع عام أيامها بأن يـد اليمين الصهيونى المتطرف لم تكن بعيدة عن الحادث . لقد أحاط الشك بآبا احيمائير (**) مؤلف « كتاب السيكاريون » الذى امتدح فيه الاغتيال الفردى، فهذا المتطرف المعادى للشبوعية كان يحلم باحياء «المتحمسين» من الماضى السحيق . وألقى البوليس البريطانى القبض على شريك احيمائير

---

(★) حاييم آرلوزوروف ( ١٨٨٩ ـ ١٩٣٣ ) : زعيم وكاتب صـهيونى . ولـد فى أوكرانيا . وقد هاجر فى طفولته مع والديه الى ألمانيا ، وأصبح بها عضوا فعـالا فى حزب « هبوعيل هتساعير » اليهودى ، وانتخب فى عام ١٩٢٣ عضـوا بالمجـلس الصهيونى العمومى ، وهاجر الى فلسطين فى عام ١٩٢٤ ، وعمل بها سكرتيرا لحزب « هبوعيل هتساعير » . وعمل فى عام ١٩٣٠ رئيسا لتحـرير مجلة « أحدوت هعفوداه » الناطقة بلسان حزب مباى ، ورأس فى عام ١٩٣١ القسم السـياسى للوكالة اليهودية بالقدس ، ونجح فى التقـليل من حـدة التوتر بين الصهيونيـة والبريـطانيين . وأولى آرلوزوروف اهتماما ضخما بتهجير اليهود الألمان الى فلسطين عقب تولى هتلر لمقاليد السلطة فى عام ١٩٣٣ . واغتيل فى عام ١٩٣٣ ، ووجهت أصابع الاتهام الى بعض أعضاء الحركة الصهيونية التصحيحية ـ ( المراجع ) .

(★★) آبا احيمائير ( ١٨٩٨ ـ ١٩٦٢ ) :

أحد قادة الحركة الصهيونية التصحيحية . ولد احيمائير فى روسـيا البيضاء ، وتلقى تعليمه فى مدرسة هرتزليـا فى تل أبيب خلال الفترة الممتدة من عام ١٩١٢ حتى عام ١٩١٤ ، ثم عاد الى روسيا حيث انضم الى منظمة « تسعيرى تسيون » .

هاجر الى فلسطين فى عام ١٩٢٤ ، وانضم بعد هجـرته الى منظمـة « هبوعيـل هتساعير » ذات التوجهات الاشتراكية غير أنه انضم فى عام ١٩٢٨ الى الاتجاه التصحيحى المعـارض للانتداب البريطانى . أسهمت أفكار احيمائير فى تشكيل الأساس الفكرى لمنظمة الأرجون الارهابية التى تزعمها مناحيم بيجن ـ ( المراجع ) .

فى الغرفة والمدعو ابراهام ستافسكى ، وبعدها بقليل على تسفى روزنبلات ، وهو شاب معروف بآرائه اليمينية المتطرفة . وبعدها بشهرين أعلن دافيد بن جوريون امام لجنة العمل الصهيونى المجتمعة فى براج : « توجد فى فلسطين جماعة تابعة للحركة الصهيونية تمثل جزءا من حزب كبير — ولا أعرف حجم هذا الحزب — وهى تتبع سياسة الاغتيال السياسى ، ولقد نفذت هذه الحركة بنجاح عددا من الاغتيالات » .

وقرر القضاء البريطانى براءة روزنبلات وأدان ستافسكى ؛ ولكن المحكمة العليا برأته فى النهاية لعدم كفاية الأدلة . وقد أثارت هذه القضية اهتماما كبيرا ولازالت تؤرق الضمير الاسرائيلى ؛ ذلك لأنها كانت فى صميم النقاش حول مصير الدولة ، فقد كان واضحا للجميع أن وراء هذه الجريمة الغامضة تقف رؤى متناقضة وهذا هو السبب فى أن الضحية الوحيدة لهذه الحادثة المأساوية كان المنظر للجماعة وهو آبا أحيمائير ، الذى قضى ثمانية عشر شهرا فى السجون البريطانية بتهمة « التحريض على الثورة ضد حكم الانتداب » (٥) . وبعد ثلاثة وستين عاما أعلنت أرملة رابين بعد اغتياله أن الجو المسمم بين المتدينين والعلمانيين وبين اليمين واليسار يذكرها بأيام قضية آرلوزوروف .

ولا يبدو أن الهوة بين الاتجاهات المختلفة لليهودية أو بين النظرات المتضاربة لكيفية توطين اليهود فى الأرض المقدسة سيتم التغلب عليها أبدا . ففى ١٠ فبراير ١٩٨٣ تجمع الآلاف من أنصار حركة ( السلام الآن ) أمام مكتب مناحم بيجين ؛ لادانة الاجتياح الاسرائيلى للبنان والمطالبة باقالة وزير الدفاع الجنرال آرييل شارون ، فقام المتطرفون اليمينيون بمظاهرة مضادة والقيت قنبلة يدوية على المتظاهرين اليساريين، فقتل أحدهم واسمه اميل جرينتسفايج وجرح عشرة آخرون ولم يتم معرفة المسئولين عن هذه الجريمة .

وفى ١٩٨٩ ظهرت مجموعة صغيرة اتخذت لنفسها اسم السيكاريين وحاولت احياء الحرب الأهلية بين اليهود ، مهددة كل من يبدو انه يخون

التنمية الوطنية ، فقامت بعدد من الهجمات الرمزية لتهديد بعض الشخصيات اليسارية . وهكذا تم احراق باب شقة مديرة أحد معاهد استطلاع الرأى ؛ لانها تجرات ونشرت نتائج استطلاع بين ان اغلبية الاسرائيليين يوافقون على اجراء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية ؛ وأحرقت سيارة الكاتب دان الماجور بسبب ما قاله بشأن قتل الأطفال الفلسطينيين . كذلك القيت قنبلتان حارقتان واحدة فى فيلا دوف تابورى عمدة بتاح تكفا لانه سمح بفتح دار سينما يوم السبت ، والثانية فى شقة عاموس شوكين صاحب جريدة ها آرتس لانه « اضر بالأخلاق العامة » .

وقد عبر الأديب عاموس عوز عن قلقه من هذه الاتجاهات التى راى انها تهدد الشعب اليهودى بأكمله فقال :

« هذه الجماعة المتعصبة التى تفتقر الى الاحساس أو الرحمة والتى ظهرت من أحد الأركان المظلمة لليهودية ، تهدد بتدمير كل ما هو مقدس وعزيز لتفرض علينا ديانة متوحشة ودموية ومجنونة . وهناك من يظنون خطأ بأن هذه الجماعة تعمل من أجل الحفاظ على سيطرتنا على الخليل ونابلس ، وأن هدفها هو مجرد اسرائيل الكبرى ، وأن هذا الهدف يبرر كل الوسائل حتى الدموية منها . ولكن شعار « أرض اسرائيل » ليس الا غطاء للهدف الحقيقى وهو : أن تفرض على دولة اسرائيل الشكل البشع والمشوه لليهودية الذى تتبناه . فاذا كانت تحاول طرد العرب ، فانما لتخضع بعد ذلك اليهود ولتفرض علينا جميعا اضطهاد أنبيائها الكذبة المتوحشين . انها تؤثر على طبيعة الحضارة اليهودية فتحت القناع الخارجى الوطنى لهذه الجماعة يختفى حزب الله يهودى قاس ومعاد للحرية » .

ومنذ ذلك الحين ، تضاعفت الحركات المتطرفة وزادت راديكاليتها وهى تدعو لاقامة اسرائيل الكبرى ، أى دولة الملك سليمان أو يوحنا هيرقان ، وهى على استعداد لمحاربة اليهود المنفتحين على الحضارات الأخرى أو الشعوب الأخرى . وفى الماضى اغتال السيكاريون الكاهن

الأكبر واليوم اغتالوا رئيس الوزراء وفى الحالتين تم ذلك باسم نفس المثل الأعلى وهو الانعزال ورفض الاختلاف ، والتاريخ يكرر نفسه : فإن معارك الأرثوذوكس ضد دور السينما فى القدس لا بد أن تذكرنا بمعارك الحشمونائيين فى المدينة المقدسة ، حيث تجرى فى سلام المسابقات الرياضية تحت تأثير الحضارة الاغريقية . ان المتحمسين لاسرائيل الكبرى ، يستخدمون لغة الصدوقيين الذين فرضوا السيادة اليهودية على الشعوب المجاورة قبل الميلاد بمائة سنة ، والمتدينون المعادون للصهيونية هم بشكل ما ورثة الفريسيين المتمترسين داخل الهيكل والمنادين بفرض تعاليم التوراة على كل مناحى الحياة . ونكتشف فى الانقسام بين اسرائيل والجماعات اليهودية بشكل يكاد يكون تاما المناقشات على أيام الملك هيرودس ، عندما كانت الدياسبورا تؤيد حكومة أورشليم ضد أغلبية سكان فلسطين الذين كانت سياسة الملك الرومانية لا تعجبهم .

وتوقفت هذه الصراعات الداخلية خلال سنوات المنفى الطويلة ، حيث لم يعد لها من معنى ، وكان على اليهود أن يعبئوا كل قواهم للمحافظة على استمرار بقائهم الروحى وعلى ايمانهم . فعندما وافق الحاخام الحكيم يوحنا بن زخاى (*) على الهرب من داخل القدس التى يحاصرها الرومان مختفيا داخل صندوق للموتى ليقوم بتأسيس مدرسة فى مدينة يافنيه الساحلية الصغيرة ، كان يعلن بشكل رمزى عن موت اليهودية القومية ؛ وأدى هذا الاعلان المسرحى الى ظهور شكل جديد للهوية . ففى يافنيه أولا ثم فى بقية مراكز الدياسبورا ، تحولت اليهودية الى حارس للرسالة الالهية وفصلت ما بين الايمان الدينى والزهو الوطنى ، وقيدت نفسها داخل الاطار الروحى . وبمجرد ما أعادت اليهودية الارتباط باقليمها الجغرافى ، عادت الخلافات القديمة الى الظهور دون أى تعديل .

---

(★) يوحنان بن زخاى : زعيم فرقة الفريسيين · دخل فى خلافات عديدة مع فرقة الصدوقيين · وقد حسم العديد من القضايا الخاصة بالشريعة اليهودية · وفى ظل الفترة التى شبت فيها الثورة ضد الرومان فى القدس خلال الأعوام ٦٦ـ٧٠ ، فقد دعا بن زخاى الى السلام · وقد أسس مدرسة دينية فى يافنيه بفلسطين اصبحت فيما بعد أهم مركز روحى لليهودية ـ ( المراجع ) ·



ديفيد بن جوريون حينما كان يدرس القانون فى قسطنطينية.



اليعازر بن يهودا، الذى يعود إليه فضل إحياء اللغة العبرية الحديثة.




أول طابع يحمل صورة هرتزل.



حاييم وايزمان
زعيم الصهيونيه
الرومانيه



أحد اليهود القوقاز الذين استوطنوا
فى فلسطين فى مطلع القرن العشرين.



الحاخام افراهام كوك زعيم الصهيونية الدينية.



مدرسو وتلاميذ المدرسة التلمودية فى الخليل فى عام ١٩٠٢.

منذ ألفى عام توقفت هذه المعارك بتحطيم اسرائيل وبالنفى ، وعلى أيامنا يأمل البعض أن تتوقف المعارك عن طريق التعاون بين الرجال ذوى النوايا الحسنة الذين سيمدون أيديهم الى بعضهم البعض عـلى الرغم من عشرات السنوات من الحروب ومن التعبيرات الحاقدة مـن المتطرفين من كلا الطرفين . وعودة هذه الصراعات فى ظل الهيكل يقابلها الأرثوذوكس فى الدياسبورا بكل برود ، فهم لا يعتبرون أن سنوات المنفى قد انتهت ، فانتظارا للخلاص ونهاية العالم يستمرون فى الولاء لحقيقة اخرى هى الجيتو والمحاصرة ، حتى يجد المسيح شعبه يوم اعلان الساعة مستعدا ويقوده فى المجد الى أرض الميعاد .

# العـــودة الى الجيتـــو

## او صعود الأرثوذوكسية فى فرنسا

يعتبر الحاخام حاييم يعقوب شلامى الضمير والسند الروحى للجماعة الصغيرة التى يقودها فى الحى الحادى عشر فى باريس ، وطوال مقابلتنا لم يتوقف التليفون عن الرنين : فالشابة التى تريد اعتناق اليهوديـــة تتساءل عن مصير طلبها ؛ ورب عائلة متعطل يبحث عن سند روحى ؛ وربة المنزل المتمسكة بإبعاد اللبن عن اللحم ، كما تقـــضى الشريعـــة ، تسأله التوجيه بخصوص منشفة الأدوات المخصصـــة للألبـــان والتى استعملتها دون انتباه فى تجفيف الأطباق المخصصة للحوم ... ويرد الحاخام بغضب أو بابتسامة أو بتركيز على كل السائلين .

ويتحدث الحاخـــام أولا عن الاختلاف : الاختـــلاف بين اليهـــود والجوييم ( الأغيار ) (*) ، والاختلاف بين اليهود واليهود ، وهو يستنكر ادعاء الجماهير التى تدعى أنها يهودية فى الوقت الذى تحاول فيه أن تتخفف من نير الرب . يقول :

(★) تعنى لفظة « جوييم » الأمم أو الشعوب ، وقد تطورت دلالة هـــذه الكلمـــة فأصبحت تطلق على غير اليهود ، وتنطوى هذه الكلمة على دلالات وظلال عديدة ، خاصة وأن الشريعة اليهودية تنطوى على تفاصيل عديدة ، تحدد بدورها طبيعة العلاقة التى يجب أن تسود بين اليهودى وغيره ، فتحرم هذه الشريعة على اليهود أن يقرضوا غير اليهود أية أموال قبل اعيادهم بثلاثة أيام ، وتحرم عليهم أن يقطنوا فى منازل غير اليهود ، وألا يسيروا أمام أى دور عبادة غير يهودية — ( المراجع ) .

« يجب أولا أن نضع التعريف لليهودى ، فقد تعرضت هذه الفكرة للتشوه بدرجة تستوجب اعادة تصحيح الأوضاع . ان الفرق بين اليهودى والأمم الأخرى نابع من التوراة الذى منحه الخالق للبشر منذ ثلاثة وثلاثين قرنا وقبله اسرائيل فى حين رفضته الشعوب الأخرى . ان اليهودى يشعر بالامتنان لمن منحه الحياة ومنحه العالم ومنحه هذه القطعة من الوجود . وتتميز بقية البشرية عن العالم اليهودى بأنها عندما تواجه الاختيار الاخلاقى المعروض على كل انسان ، تختار رغباتها الشخصية وترفض طاعة الله ، أما اليهودى فأهم شىء لديه هو أن طاعة الله تأتى قبل ارادة المخلوق . وبناء على هذه الفكرة الأساسية ، فاذا كنا فى هذا المنفى الذى استمر تسعة عشر قرنا نعتبر أنفسنا مازلنا يهودا ، فان ذلك يرتبط بعاملين : الأول — وهو اساسى — هو أن نخضع لارادة الله والثانى — وهو ثانوى — أن نواجه الأمم الأخرى . وفى الظروف المتقلبة للمنفى نحن معرضون لنسيان ارثنا وأن نختفى بالانصهار ، وهذا الانصهار له وجهان : أحدهما محرم عندما يتعلق الأمر بفقدان الولاء لله ، والآخر مسموح به بل مفروض وهو أن نشارك فى الجهد الثقافى والحضارى للبلد الذى نعيش فيه . هذا الفرق بين المحرم والمفروض لم يكن دائما واضحا وهكذا نشأ بين اليهود ذلك الخليط من اليهودية والوثنية ...

وظهرت حركات تفتقر الى الأساسيات فمن قائل ان المهم لليهودى هو أن يكون صهيونيا أو أن يكون انسانيا أو أن ينتمى الى البوند ... دون أية مراعاة لطاعة الله ! وهكذا نصل الى أشكال لا يمكن أن توصف بأنها يهودية ، فعندما نتحدث عن الليبرالية أو الالحاد أو العلمانية فما علاقة ذلك باليهودية ؟ ولماذا يكلف اليهودى الذى اختار هذا الطريق نفسه أن يعلن أنه قد تخلى عن شعبه ؟ أن يكون الانسان يهوديا يعنى أنه قد اختار حياة مبنية على التوراة وعلى طاعة الله قبل أى شىء ، واليوم يقال ان هؤلاء اليهود الذين حافظوا على ولائهم لله ، قد أصبحوا على الهامش وانهم يمثلون شريحة صغيرة للغاية وهنا على المرء أن يصمت فالكلمات لم تعد تعنى شيئا » .

وحديث الحاخام شلامى ليس جديدا بين اليهود الفرنسيين ، فمنذ زمن بعيد حاولت جماعة من الأرثوذوكس أن تثير المياه الهادئة للطائفة ؛ لتغلب فلسفة الاستبعاد والانعزال .

بعد أن طردوا من المملكة الفرنسية فى نهاية القرن الرابع عشر ، لم تستطع الطائفة اليهودية أن تتكون ثانية الا بعد الثورة الفرنسية ، التى انشأت افكارها التحريرية العظيمة عالما جديدا . وقد بدأ هؤلاء اليهود الذين اصبحوا مواطنين اولا يندمجون فى وطنهم الجديد ، باذلين الجهد رجاء ان يتم تقبل يهوديتهم الملونة بالأزرق والأبيض والأحمر . ولقد استطاع نابليون ببراعة ان يستغل رغبتهم هذه فى اذابة الاسرائيلى الفرنسى فى الوطن ، فقد حاول أن ينزع عن اليهودية القيود التى تكبلها زمنيا ؛ لتصبح « ديانة موسوية » منضبطة . ومنذ ذلك الوقت أصبح الحاخامات موظفين عموميين مهمتهم حسب نص المرسوم « أن يدعوا دوماً الى طاعة القوانين ، خاصة وقبل كل شىء فيما يتعلق بالدفاع عن الوطن ... وأن يجعلوا الاسرائيليين يعتبرون أن الواجب الوطنى واجب مقدس ، وأن يعلنوا لهم أنهم خلال فترة أدائهم الخدمة العسكرية يكونون معفين من أية ممارسات تتعارض مع أدائهم لهذه الخدمة » .

ولم يكتف الامبراطور بهذه القواعد التى تعمل على اضعاف نفوذ الحاخامات وتأثير الطقوس ، وانما أدخل اليهود ضمن نظام بوليسى شبيه بذلك الذى كان ينظم صفوف الكاثوليك والبروتستانت . وأنشأ كونسيستوار فى باريس وخمسة عشر كونسيستوار فى الأقاليم ، تضم معابد اليهود التابعة ، وكان دور هذه المعابد الجديدة أن تحارب الخزعبلات القديمة ، فعندما أصروا رغم كل شىء على الفصل بين الرجال والنساء أثناء الصلاة ، ثار الكونت نيكولا فروشو عمدة السين قائلا : « ان حاخاماتكم قوم جهلة تسيطر عليهم الخرافات وغارقون فى التلمود ويبدو أنه يسرهم الابقاء على جماعتهم فى حالة من الجهل المطبق » (١) .

ومنذ ذلك الحين دار صراع صامت بدرجة أو بأخرى بين التقليديين والأرثوذوكس فى صفوف اليهودية الفرنسية ، فقد حاول أنصار الديانة الجامدة والمحنطة أن يقاوموا انفتاح الحاخامات التابعين للمجمع أو

الكونسيستوار ولكن دون جدوى بصفة عامة ، فقد كانوا دائما أقلية، وكل ما استطاعوه هو أن تسمع شكاواهم دون أن يستطيعوا التأثير على الطائفة .

وفى ١٨٥٦ عقد المجمع المركزى مؤتمرا ضم كبار الحاخامات وعلى جدول أعماله : اعادة النظر فى برامج التعليم الدينى وانقاص الوقت الذى تستغرقه الشعائر الدينية وادخال استخدام الأرغن فى المعابد . واحتج المدافع الأول عن الأرثوذوكسية ، شلومو كلاين الحاخام الأكبر لكولمار ، على رياح الحداثة هذه ولكن دون جدوى .

وبعدها بقليل أرسل رسالة طويلة الى مؤسس مدرسة الحاخامات ببرلين يشكو فيها من خيبة أمله فى اليهودية الفرنسية : « هناك حاخامات — عددهم قليل حمدا لله — لا يحافظون على قدسية يوم السبت واذا كانوا لا يكررونها اليوم فالكل يعلم أنهم فعلوها علنا ، وآخرون يهاجمون التلمود علنا فى عظاتهم ، وآخرون يرفضون جميع الوصايا الحاخامية ، وآخرون يضيفون أو يحذفون أوامر ويهاجمون العادات المتبعة دون أن يوجه اليهم الكونسيستوار المركزى أى لوم . ولقد اضطهدونى لانى أرفض هذه البدع » (٢) .

وعلى الرغم من شكاوى الحاخام الأكبر ، تابعت اليهودية تغيرها واستمر المجتمع فى الانفتاح وبدأ مجلس الدولة وأكاديمية الطب والجيش يقبلون يهودا فى صفوفهم ، وتم قبول البارون جيمس دى روتشيلد قنصلا عاما للنمسا وشخص اسمه فرنان هالفين قنصلا عاما لتركيا. كتبت صحيفة الأرشيف الاسرائيلى بفخر : « استقبل الامبراطور والامبراطورة اليوم البارون جيمس دى روتشيلد فى سان كلو وتناول الغداء مع جلالتيهما ». وعند زواج جوستاف بن جيمس دى روتشيلد ، كتبت لونيفير ازرائيليت باعتزاز تقول : « لقد أرسلت كل من فرانكفورت وفينا ونابولى وانجلترا على الأقل سفيرا من هذه العائلة القوية التى يفوق بريق ذهبها صفا من الملوك » . وهكذا تداخلت اليهودية فى أرقى المجتمعات حتى وان اعتقد البعض ، على حد تعبير الشاعر هنرى هاينه ، أن هذا التحول كان « بطاقة الدخول » الى المجتمع الراقى . واعتنق أشيل فولد البروتستانتية

لكى يصبح وزيراً وتعمد چاك أوفنباخ ؛ لكى يزداد نجاحاً فى تمكين الامبراطورية الثانية من الغناء والرقص ولكن آخرين رفضوا تقديم هذه التنازلات ، من أجل نوع من الولاء الغامض . وكان الشاعر أوجين مانويل واحدا من هؤلاء فقد أسر اليه البعض بحسن نية أن اعتناقه المسيحية سيفيده فى تحقيق النجاح ... فكان رده أن كرر بتعال أنه غير مؤمن على الاطلاق وكان يكرر : « اعتناق المسيحية !! تصوروا أنهم تحدثوا فى ذلك ! وأنهم قالوا ان ذلك سيكون مفيدا لى ! وانه سيكون من حسن السياسة أن أتخلى عن دين لا أومن به لأدخل فى دين لا أومن به بدرجة أكبر ... ان دم ابراهيم الذى يجرى فى عروقى ليمنعنى من ذلك . ومع ذلك تغنى الشاعر باختلاط الثقافات قائلا :

ثلاثة شعوب منحتنى ما أعيش بفضله : الرومان واليونان وشعبى العبرانى القديم . روما علمتنى القانون ومنها أخذت الكتاب ، وأثينا علمتنى الجمال ، والقدس أعطتنى الاله .

وبقيت بعض المنغصات من آثار النظام القديم تؤثر على الحياة اليهودية : فقد أمرت الامبراطورة أوجينى بتعديل مخططات المعبد الجديد حتى لا يطل على شارع أوليفييه ( شارع شاتودان حاليا ) ويبقى مدخله من حارة لا فيكتوار ؛ وفى الجمعية الوطنية اعترض جول فافر على تعيين الحاخام الأكبر عضوا فى المجلس الأعلى للتعليم بصفته « خليفة جلادى المسيح المكمل لخطاهم » ... واعتبرت هذه المنغصات من بقايا ماض تم دفنه .

وبنهاية القرن التاسع عشر ، كانت اليهودية الفرنسية قد بنت معابدها الكبيرة على نمط الكنائس بما فيها الأرغن والكورس المختلط أثناء الاحتفالات الكبرى وارتدى الحاخامات الرداء الأسود مثل القساوسة . يتحدث جابرييل آستروك فى كتابه « لى بافيون دى فانتوم » (٣) عن والده حاخام معبد شارع بيفو بباريس فى نهاية القرن الماضى قائلا : « كان يجارى زمانه ، وكان يأسف لتخصيص يوم السبت للعبادة الاسرائيلية ، مما كان يضطر بعض المؤمنين الى الاختيار بين المعبد وبين متطلبات العمل » .

وفى الألزاس قاومت اليهودية طويلا رياح التغيير مقتفية خطى الحاخام الأكبر كلاين ، ففى قرى كثيرة ارتبط المعبد والمدرسة فى المحافظة

على ايمان الأجداد والابقاء على التقاليد المرعية . ولكن هذا العالم التقى الصغير اختفى فى خنادق الحرب العالمية الأولى ، فان جيلا من المتطوعين فى الجيش الفرنسى والمجندين فى الجيش الألمانى ، وصل الى الجبهـة قبل أن يتعمق فى تعاليم التوراة وابتعد خلال أربع سنوات عن المصادر الحية للتعاليم ، تخلى بعد ذلك نهائيا عن الطقوس التى لم تستطـع الاستمرار بعد تلك الكارثة الكبرى .

لقد أدت الحرب العظمى الى « تطبيع » وضع اليهود فى فرنسـا بشكل ما بعد الآلام التى أحدثتها قضية دريفوس ، فقد أدهش الولاء الكامل والشجاعة التى أظهرها الجنود اليهود الكثيرين من أعداء السامية الذين كانوا ما فتئوا يقولون بخيانة اليهود . ويشيد مـوريس باريس رئيس عصبة الوطنيين والمعادى القوى لدريفوس فى كتابه « العائلات الروحية المختلفة فى فرنسا » بهؤلاء المحاربين ويذكر عددا من أعمـال البطولة ويصل الى الاستنتاج « الرغبة القوية للاسرائيليين للانصهار فى روح فرنسا » .

وكان الرمز الأقوى دلالة على هذا الانصهار لليهودية فى فرنسا هو استشهاد ابراهام بلوخ الحاخام الأكبر لليون على جبهة تنتروكس فى الفوج فى أحد أيام السبت من عام ١٩١٤ ، فقد تناثر مائة وخمسون من الجنود الجرحى على أرض المعركة تحت القذف الألمانى الشديد وسعى الحاخام بين الجرحى محاولا مساعدتهم أو تخفيف آلامهم . وتصور أحد الجنود ذوى الاصابة الشديدة أنه قس كاثوليكى فطلب منه صليبا ... فما كان من ابراهام بلوخ الا أن بحث عن صليب ووجد واحدا وأحضره للجندى المحتضر ، وبعدها بثوان انفجرت قنبلة ألمانية وتناثرت أشلاء الجندى الكاثوليكى ومساعده اليهودى والصليب معا . كتب باريس : « ان صورة الحاخام العجوز وهو يقدم للجندى المحتضر علامة المسيح على الصليب لن تنمحى الى الأبد » . وبعدها رسمت الصـور وكتبت الأشعار وأقيم نصب لتخليد هذا العمل للحاخام الأكبر والذى اعتبر دليلا على الأخوة الدينية العظيمة المنتظرة .

وفى هذا الجو لم يعد هناك مكان لليهودية الأرثوذكسية ، وتروى قصة عن الحاخام الأكبر لفرنسا جاكوب أنه عندما بدا حياته فى مُلوز

حوالى سنة ١٩٢٠ ، زاره رئيس الطائفة وسأل الحاخام الشاب عن موضوع عظته القادمة مساء الجمعة ... فأجاب :

« سأتحدث عن قواعد الطعام الشرعى » .

ـ اياك أن تفعل ، صاح الرئيس ، ان مساعدى يمتلك جـزارة لا تلتزم بقواعد الذبح فى اليهودية ، وعلى اية حال ، فأغلب أعضاء الطائفة لا يتناولون الطعام الحلال .

ـ اذن سأتحـدث عـن السبت .

ـ الشابات ؟ لا يمكن أن تكون جاداً ، ان المعبد بأكمله سيثور ضدك .

ـ اذن سأتحدث عن تعليم الأطفال .

ـ ولكنهم يتعلمون جميعا فى المدارس العلمانية .

ـ اذن عم أتحدث ؟

ـ تحدث اليهم عن اليهودية ! » .

وفى مواجهة الأرثوذوكسية ، وجد الاسرائيلى الفرنسى فى الاحسان والتضامن المغزى الاجتماعى لديانته ، ففى يوم كيبور ( يوم الغفران ) ، يتوجه أعيان الطائفة لابسين الردنجوهات والقبعات العالية الى المعبد لأداء الواجب الدينى ، ويقدمون عطاياهم التى تذهب الى المحتاجين من أبناء الطائفة . وتحولت اليهودية الغربية الى حركة خيرية واسعة ، واصبح الهدف من قيام الطائفة فى بلدان التسامح هو أن تسارع الى نجدة الاخوان المضطهدين ، ونشأ العديد من المنظمات التى هدفها معاونة البائسين فى البلدان النائية . فقام الاتحاد الاسرائيلى العالمى بانشـاء المدارس فى شمال أفريقيا ، وقامت جمعية الاستيطان اليهودى بنيويورك بمساعدة المهاجرين من شرق أوروبا ، وضاعفت لجنة التوزيع الأمريكية من مساعداتها للمحتاجين ، وحتى فى روسيا قامت هيئة التنظيم ، البناء، العمل لمساعدة الشباب اليهـودى للتدرب على الحـرف والصناعـة والزراعة .

وجاءت الحرب والاحتلال والنقل الى معسكرات الاعتقال لتنهى هذا الوضع الهادىء ، فبعد الكارثة النازية كان لا بد من اعادة بناء اليهودية الفرنسية ووجد الكثير من اليهود الفرنسيين التعبير عن هويتهم عبــر الارتباط السياسى .

فالبعض ومنهم من اشتركوا فى حركة المقاومة وكان بعضـهم مــن المهاجرين الروس أو البولنديين ، اعتبروا الستالينية فجر عهــد جديد ؛ والبعض وجدوا فى الصهيونية التعبير عن خصوصيتهم . كانت الطائفة اليهودية تبحث لها عن مكان فى العالم الجديد الخارج من تحت الأنقاض.

أخرج ريشار ديمبو فى ١٩٨٤ فيلم ( الخطوة المائلة للمجنون ) والذى حصل على أوسكار احسن فيلم أجنبى بل وحصــل على جــائزة لوى ديلوك . وهو فيلم يتتبع مصير اليهود من خلال متابعته لحياة وتنقلات استاذ شطرنج سوفيتى ، واتبع المخرج شديد التدين قواعــد السلوك الدينى فى عمله ؛ فكانت الكاميرات تتوقف عن العمل مساء الجمعة لتعود مرة أخرى صباح الأحد وذلك احتراماً لقداسة يوم السبت .

لقد مر ريشار ديمبو بالمسار التقليدى للشبيبة اليهودية التى نشأت فى ظل اليهودية الكونسيستوريالية الفاترة ، ثم استهوتهـا المغــامرة الاسرائيلية فلما أصيبت بخيبة الأمل امتصها عالم الأرثوذوكسية . لقــد ولد لعائلة تقليدية ثم تطور فى عالم « غارق فى الحلم الكاذب للصهيونية» حسب تعبيره ، حيث أمضى اجازاته الأولى فى اسرائيل وعمره أربعــة عشر عاما وكان ذلك فى ١٩٦٢ . قال :

« كانت اسرائيل فى ذلك الوقت شيئا عظيما مختلفــة تماما عــن فرنسا ، ولكننى لم أشعر أنى فى بيتى دون أن أعرف لذلك سبباً . كانوا يحدثوننا فى الحركة الصهيونية التى كنت أنتمى اليها عن الشيوعية وعن حركة المقاومة وعلمونا أغانى وطنية ولكن شيئا فى داخــلى لم يستجب لذلك ، لم أتصور اليوتوبيا أو الجنة على هذا الشكل ، لم أتخيل الكيبوتز مكانا أعيش فيه . لماذا مررت بكل هذا دون أن أتــوقف ؟ أعتقــد أن

السبب فى ذلك كان أساسا ضحالة الأهداف ، فنحن لم نجد انفسنا فى قلب حركة تغير شاملة وانما نعيد أشكالا قديمة ، عملية احلال ! .

لقد أقيمت الكيبوتزات ، وماذا بعد ؟ اقامة كيبوتزات اخرى ، لقد فقد التاريخ معناه فبمجرد تحقيق الهدف يصبح العمل الوحيد هو الدفاع عنه وتكراره ، انها أقرب الى حياة النبات ، استمرار حياة وتكرار خلية بيولوجية . أما الحياة الانسانية فيجب أن يحركها مشروع جماعى أو مشروع روحى . لقد أحسست عندما كنت فى اسرائيل أن الحياة التى أريدها يجب أن أختبرها حيث لا توجد قيود أو حدود ، والمغامرة الوحيدة التى بلا حدود هى مغامرة الفكر أو المعرفة ، وهنا الحد الوحيد هو المدى الذى أصل اليه . لقد تعرفت بأستاذ فى البوجا ، وحتى حاولت تعلم اللغة الصينية ... ولكن الى جانب كتاب اللغة الصينية اشتريت أيضا كتابا عبريا ؛ لأنى احتفظت بالتعاليم العميقة للحاخام ليون اشكينازى ، الذى وضح لأولئك الجامعيين الذين يدعون أنهم يحسنون التفكير لمجرد أنهم يستطيعون قراءة كانط ، أن هناك مصدراً آخر للفكر وأن التوراة ليست مجرد كتاب قديم صعب الفهم ومملوء بقواعد السلوك ، وانما يحتوى نظرة متكاملة للانسان بكل أبعاده الجسدية والنفسية والاجتماعية والروحية ..

لقد فهمت أن المغامرة الداخلية تحتاج الى أخلاقيات والى معرفة ، والا سقط الانسان فى عبادة الأوثان أو ضاع فى جحيم المخدرات ، وفى نفس الوقت لم يخطر ببالى لحظة واحدة أن أطلب النصيحة من أى حاخام . وفى معابد الكونسيستوار التى كنا نغشاها فى طفولتنا لم أستمع أبداً الى ما يساعد على اخراجنا من حالة التخبط ، فحاخاماتنا كانوا يقومون بدورهم كحراس للتطبيع ولكنهم كانوا كلابا لا تنبح أبدا . وفى ١٩٧٢ وكان عمرى أربعة وعشرين عاما ، التقيت بالحاخام روتنبرج ووجدته معلما كالمعلمين القدامى انه لم يكن حاخام ! » .

كان الحاخام حاييم يعقوف روتنبرج الذى يتحدث عنه ريشار ديمبو هو الذى روج فى فرنسا للأرثوذوكسية الأكثر تطرفا ، وقد تلقى تعليمه

فى يشيفوت (*) بولونيا قبل الحرب ؛ مما منحه بمجـرد وصـوله الى باريس فى ١٩٦٤ سلطة أدبية لا تقاوم . وكان هذا الرجل ذو اللحية الرمادية والوجه النحيل والعينين البراقتين ، يبدو آتيا من عالم اختفى وحاملا رسالة أقوام بادوا . وكانت الأرثوذوكسية اليهودية لا وجود لها تقريبا فى ذلك الوقت فى منطقة باريس الكبرى أو الهكساجون ، فقد مر بها بعض الحاخامات المسنين الذين أفلتوا من معسكرات الموت وحاولوا أن يؤسسوا بها مدارس ويشيفوت ومعابد ؛ ولكن المهمة بلغت من الضخامة حدا دفعهم الى تجاوزها والتوجه الى اسرائيل أو الولايات المتحدة . وتولى الحاخام روتنبرج بدأب مهمة انشاء نواة الجماعة . ولقد أصبح معبد شارع باڤى وهو مبنى غريب الطراز تم بناؤه فى أوائل القرن قلعة الأصولية الدينية ، وكانت حفنة من العجائز يصلون حينئذ فى هذا المبنى الرحيب هربا من تلك المعابد فرنسية الطراز والتى تسمع فيهـا — ويا للهول ! — موسيقى الأرغن أثناء الاحتفالات الدينية ، وكأنهم بقايا قوم خرجوا من الجيتو (**) المندثر .

وعندما دخل ريشار ديمبو لأول مرة اليشيفا فى شارع باڤى لم يجـد هناك سوى ثلاثة من الطلبة ملتفين حول المعلم فاستقبلوه بحرارة ، فقد اعتبروه العلامة الأولى على العودة الجماعية للشعب اليهـودى الى الدين . ونظرا لمروره بالحركة الصهيونية واتصاله بالثقافات الأجنبية ، فان ديمبو كان يمثل لهذه المجموعة الصغيرة المنكبة عـلى النصـوص والعبادات عالما مجهولا وان رأوا فيه على الرغم من ذلك ظهور الارادة الالهية :

---

(*) اليشيفوت : كلمة عبرية مفردها « يشيفاه تعنى لغويا ( جلوس ) . ولكنها تطلق اصطلاحا على المؤسسات التعليمية المتخصصة فى الدراسات التلمودية ، ويدرس بها من يرغبون فى العمل كحاخامات — ( المراجع ) .

(**) الجيتو : ان مصطلح جيتو يعنى الحى الخاص باليهود ، وكان هذا الحى يحاط فى العصور الوسطى بأسوار ، ولم يكن من المسموح لليهود مغـادرة هـذا الحى الا باذن من الكنيسة ، وقد استخدم هذا المصطلح للمرة الأولى لوصف الحى اليهودى فى فينيسيا فى عام ١٥١٦ م . ويرى البعض أن هذا المصطلح مشتق من الفعل العبرى « جيط » الذى يعنى الطلاق ، كما يرى البعض أنه مشتق من الكلمة الألمانية Geheckler التى تعنى السور — ( المراجع ) .

يتذكر ريشار ديمبو : « دعيت الى مائدة الحاخام وكل مرة كان يطلب منى أن أحكى القصة ... لقد حدثت فى الصحراء حيث عشت ثلاثة أسابيع مع الطوارق ، أحرق طفل اصبعه وتلوثت الاصبع وبدأت تلتهب، فنظفت الجرح قدر الاستطاعة وأعطيت الصبى بعض حبات السلفا وكانت معى أنبوبة واحدة ولكنها سقطت من أمتعتى فى اليوم التالى . وهنا أخذت أبتهل الى الله قائلا انى لا اطلب شيئا لنفسى وانما فقط بجب أن أجد أنبوبة السلفا لانقاذ الصبى من الخطر ! وفى الصباح بينما كنت أتمشى فى منطقة صخرية ، توقفت دون سبب واضح واذا بى أجد أنبوبة السلفا تحت قدمى ! » وأكدت هذه القصة نجاح ديمبو فى وسط الأرثوذوكس فقد أعطت لجماعة المتشددين المتمترسين فى شارع باقى الأمل فى مستقبل مجيد ، اذ أثبتت أن الحقيقة الالهية يمكن أن تتجلى فى أبعد أركان الأرض .

وكان هذا الأمل مطلوبا جدا فى ذلك الوقت ، فقد كانت الأوساط اليهودية الرسمية تنظر الى الحاخام روتنبرج وجماعته الصغيرة بسخط كبير . يذكر الياهو عوزان الذى يدير اليوم مدرسة الجماعة الشعور بعدم الثقة والاستبعاد الذى كانت تعانى منه الجماعة الأرثوذوكسية ويقول :

« عندما وصل الحاخام روتنبرج الى باريس ، لاحظ أنه ينظر الى اليهود المتدينين وخاصة المنقطعين لدراسة التوراة على أنهم يتطفلون على المجتمع ، وقد شعر فورا بالمعارضة . لقد وافق الكونسيستوار على تعيينه حاخام ، لأحد المعابد فقط ، ولكن عندما أعلن أنه سينشىء يشيفا حيث يستطيع من أراد ، حسب ما يتيسر له ، أن يخصص وقتا لدراسة التوراة انفجر الموقف ... انه سيعلم طفيليين ! قال قائلهم . وفى ذلك الوقت لم يكن أحد يجرؤ أن يعلن أنه يخصص نفسه للدراسات اليهودية ! لقد عانى الحاخام روتنبرج فترة طويلة من العنف من الكونسيستوار فقد اعتبروه خطرا على استقرار اليهودية . ولقد ناضل حتى تصبح دراسة التوراة معيارا للرقى الاجتماعى بدلا من أن تكون عملا محتقرا . وفى النهاية قلب الأوضاع ، اذ أظهر أن دراسة التوراة

تطهر القلب والعقل وتمنح الناس الفرح ... واليوم بعد خمس سنوات من اختفائه ، تحقق له الانتصار حيث انقلبت الاتجاهات » .

وفى الواقع انه فى سنوات السبعينات كان ينظر الى الأرثوذوكسية اليهودية بصفة عامة على أنها حالة من الجنون الهادىء البرىء لجماعة صغيرة من عشاق الماضى . صحيح انها كانت تاريخيا موجودة باستمرار طوال القرنين الماضيين تقريبا ، الا أنه كان يبدو أنها مقدر لها ان تبقى دوما هامشية ومغايرة للمألوف .

حاولت الأجيال التى ولدت بعد الحرب ان تحقق مثلها العليا خـلال يهودية متفاعلة ، فقد أرادت التعبير باعتزاز عن يهودية بعيدة عـن المسارات الدينية ، ووجدت فى مساندة اسرائيل والدفاع عن يهـود الاتحاد السوفيتى والكفاح ضد معاداة السامية وذكرى المذابح والاشادة بالثقافة اليهودية ، وجدت فيها جوهر هويتها . ويكفى أن يعيد المـرء قراءة مجلات الطائفة لتلك الحقبة ليلاحظ كيف كانت الرغبة فى تحقيق خصوصية يهودية ـ فرنسية ، تمر عبر بناء أدب أو شعر أو مسرح يهودى . كانت هى الحقبة التى كان ايلى فيزيل يجتذب فيها الى محاضراته الشباب اليهودى المتطلع الى اعطاء معنى ليهوديته ، فكان يثير حماس جيل بأكمله باخراجه الى النور شعرا غيبيا ، وعبأ القوى الحية للطائفة من أجل صراع غير متكافىء لتحرير يهود الاتحاد السوفيتى وأعاد للحياة الأساتذة القدامى للحسيدية بحركة غامضة وعميقة . فما الذى بقى من كل ذلك ؟

واليوم اختفت اليهودية المتفاعلة باختفاء القضايا العظيمة ، فبماذا تتمسك ؟ ان هوية مبنية على الذاكرة لا يمكن أن تدوم طويلا فأى المعارك نخوض ؟ هل ضد الأب بيير العجوز الذى يثير فى نهاية العمر مخاوفه من « اللوبى الصهيونى » ؟ أو باتريك سيباستيان مؤلف سكتش سىء الحظ عن جان مارى لبين ؟ يا لها من أهداف هزيلة يوجدها مجتمـع تقسمه خطوط اللياقة السياسية !!

ان الفراغ الوجودى الذى غرقت فيه اليهودية الفرنسية يؤدى أحيانا الى تزاوجات غريبة وانحرافات مضحكة . ان الحركة المسماة « فى قلب

الاتصالات » تجأر بالشكوى كلما اتهمتها احدى أدوات الاتصال بأنها جماعة دينية ؛ ولكنها تتصرف كثيرا مثل هذه الجماعات : فانها تجتذب الذين أثرت الحياة على اعصابهم والضعفاء والمرضى وتقيم لهم جلسات علاج مزعوم عن طريق المحادثة وذلك مقابل ثمن غال ، كما تبيعهم أدوية الدجالين والكل مغلف بحديث مربك عن دور الارادة فى الشفاء .. ورئيسة الجماعة كلير نويه ، وهى ابنة أحد اليهود الذين أرسلهم النازيون الى معسكرات الموت ، تخلط بشكل عجيب بين النازية والسرطان ، وبالغت فى هذه الفلسفة المريبة الى حد أنها عقدت ( سيمينار ) فى آوشفيتز الذى انقلب بهذه الطريقة الى مكان لعلاج المرض وتهدئة الآلام ! وقد وجد كثير من اليهود فاقدى الاتجاه فى هذا العلاج بالكارثة النازية تعبيرا جديدا عن هويتهم .

يعتبر حاييم موزيكان مدير المجلس الممثل للمؤسسات اليهودية فى فرنسا أنه اذا كان هناك الكثير من التجديد الدينى فى الطائفة ؛ فانه يلاحظ من الناحية الأخرى مزيد من الانصراف عن الدين :

« ان اليهود الذين كانوا يعبرون عن هويتهم عن غير طريق الدين مثل تأييد اسرائيل أو التضامن مع اليهود المضطهدين أو تذكر التاريخ لا يرتبطون بالضرورة بالتعريف الدينى للطائفة ، وهناك خطر حقيقى فى أن يتعايش عالمان لا تفاهم بينهما جنبا الى جنب ، فمن جهة يوجد أولئك الذين يعتبرون اليهودية مجرد حقيقة دينية ، وأحيانا يكونون بعيدين عن روح التسامح تجاه الآخرين : فبعض المدارس تتصرف بعقلية القرون الوسطى ، حيث سحب كتاب لتدريس الانجليزية لأن به صورا لفتيات يلبسن « المينى جيب » ؛ ومن جهة أخرى يوجد يهود متدينون بشكل ما وتقليديون بشكل ما ويتبعون قواعد الدين من الذاكرة وعندما يتحدث اليهم المرء عن الدين الحق لا يفهمون ولا يتجاوبون ؛ ولذلك فانه من الممكن أن يبتعد عدد منهم عن الطائفة ... ولا أعرف ما اذا كانت الكلمة المعبرة عن ذلك هى التمزق أو الكسر أو الهوة ولكن يوجد على الأقل خطر عدم الفهم بين هذين العالمين ... يجب أن نفكر فى الوسيلة لتقريب هذين القطبين . نتحدث كثيرا عن وحدة الشعب اليهودي وهو تعبير

محبب وايجابى ولكن ماذا فعلنا لتحقيقه ؟ هل وضعنا برامج تثقيفية أو تعليمية ؟ هل قمنا بحملة لتشجيع الحوار والتسامح بين افراد الطائفة اليهودية ؟ ان العمل المتعجل والتركيز على الأهداف العاجلـة كثيرا ما ينسينا العمل من أجل المشروعات التوحيدية . وفى نظـر البـعض لا توجد مشكلة فالله موجود ولا شىء آخر يمكن أن يقال ، ولكن هناك الآخرون أى أولئك التائهون بشكل او بآخر . لقد كانوا على استعداد ، من أجل الدفاع عن اسرائيل وعن اليهود المهددين فى أى مكـان مـن العالم ، لحضور أى عدد من الاجتماعات والاشتراك فى كل المظاهرات وتوقيع البيانات والنداءات ، والنتيجة : اليهود قد انقذوا واسرائيـل قوية اليوم ، ونحن ماذا نفعل ؟ ان التحدى الكبير للقـرن الحـادى والعشرين ، سيكون تحديد مضمون للهوية اليهودية فى الدياسبورا .

ان الخاصية الجديدة لليهودية الفرنسية هى الاستقطاب الواضح بين اللامبالاة والأرثوذوكسية ، والوسط المائع من الذين كانوا يدعون أنفسهم يهودا ؛ لأنهم يتناولون وجبة مساء الجمعة من سـمك الشبوط المحشو أو من الكوسكوس ، يبتعد عن اليهودية التى أصبح لا يتعرف عليها ، ولو استمر هذا التوجه فلن يبقى أمـام اليهوديـة الفرنسية الا طريقان : اما الانصهار واما الانغماس فى تدين بلا تنازلات ، وهـو خيار أكثر حدة مما يفضله الكثيرون . ولعل الطريق الثالث وهو طريق الاعتدال والاخلاص ، كان هو الأحرى باعطاء معنى ومضمون ليهوديـة تبحث لنفسها عن هوية .

ولنرجع الى الأرقام حتى وان كان من المستحيل الحصـول على احصاء دقيق وعلمى . يقدر جان شـارل زربيب المسئول عـن ادارة الشباب فى الصندوق الاجتماعى اليهودى الموحد أنه من بين الخمسمائة الى السبعمائة الف يهودى فرنسى « أكثر من النصف ليس لهم أية علاقة بالطائفة ، والربع لهم علاقة بعيدة ( فهم يتوجهون الى المعبد فى حالات الولادة والوفاة ) ، ويكون الربع الباقى النواة الصلبة الطائفة » (٤) ، وهذه النواة الصلبة نفسها قابلة للمناقشة لأن جان — شارل زربيب يدرج ضمنها أولئك الذين يذهبون للمعبد مرة واحدة فى العام لحضـور

الاحتفال الكبير بيوم كيبور (*) . وتقدر كاترين جارسـون الصحافيـــة بمجلة لاكتواليتيه جويف أن عدد الأرثوذوكس الحقيقيين فى فرنسا يتراوح بين خمسة عشر وعشرين الف شخص ، وهو ما يقدر بحـــوالى اثنين بالمائة فقط من اجمالى عدد اليهود ، ولكن هذه النسبة تتجه الى الازدياد : ففى اليشيفوت أكثر من نصف التلاميذ يأتون من أوساط من غير المتدينين .

وهؤلاء اليهود التائبون مصادرهم متعـــددة ، فجيل بأكملـــه ممـــن صدمتهم خيبة الأمل فى مايو ١٩٦٨ راحوا يبحثون فى مكان آخر عـــن تحقيق الحلم الكبير الذى ضاع ، والبعض اكتشفوا طريقـــا جـــديدا فى البيزنيس والليبرالية الاقتصادية ، والبعض عادوا الى جذورهم اليهودية وانضموا الى اليشيفا . والبعض من أولئك الذين اجتـــذبتهم يومـــا ما التروتسكية او الستالينية أو الماوية أو اليسارية بألوانها ، وجدوا فى دراسة التلمود والتطبيق المتشدد للشريعة تعويضا عن خيبة الأمل . وفى مواجهة هذه العودة الى الدين ، يرسم الأساتذة على وجوههم علامات الذهول ويرون فيها معجزات من عمل الاله . ومع ذلك ، فأقرب شىء الى التفكير اليهودى الأرثوذوكسى هو اليسارية المتزمتة فخط التفـــكير واحد : تفكير موجه فى خطوط محددة والسير على القواعد الدقيقة ودون تفكير والانتماء الى جماعة صغيرة متميزة وتمتلك الحقيقـــة . وهؤلاء المتحمسون يناضلون كما فى السابق لتحقيق عملية تغيير حتمية ستؤدى الى انتصار هدفهم ، فبالأمس كانوا يناضلون من أجل التعجيل بالحكم الماركسى ونجاح الثورة العالمية ، واليوم يناضلون لتعجيل العودة المعلنة والحتمية للمسيح المنتظـــر .

انهم فى الحالين أصحاب المعرفة المبادرة والطليعة الظافرة لمخطط عظيم يتجاوزهم ابعادا . وكثيرا ما يظهر التناقض حيث لا نتوقعه ،

---

(*) يوم كيبور ( يوم الغفران ) أى يوم الكفارة . ويعد هذا اليوم واحدا من أهم الأعياد اليهودية ان لم يكن أهمها على الاطلاق ، وهو العاشر من شهر تشرين ( أكتوبر ) . ويبدأ هذا العيد قبل غروب الشمس من اليوم التاسع من تشرين ، ويستمر حتى غروب شمس اليوم التالى ، فمدته حوالى ٢٧ ساعة ، يجب فيها الصيام ليلا ونهارا وعدم الاشتغال بأى شىء ما خلا العبـادة ـ ( المراجع ) .

فالأرثوذوكس مثلا يثبتون حداثتهم بما يبدونه من براعة فى استخـدام الانترنيت والمعلوماتية ، والعالم الدينى يستخدم على نطـاق واسـع التسـهيلات التى توفرها التكنولوجيات الحديثة ، وقد أدخل الدراسـات التلمودية على الحاسب ذلك أن الدقة شبه العلمية للمعلوماتية تناسب تماماً الحاجة القوية للأرثوذوكس للعمل فى بيئة موجهـة ، فشاشـة الحـاسوب ترسـم حـدوداً لا يمكـن تخطيهـا ؛ ومثلمـا هـو الحال فى التقاليد الدينية يحدد سهم صغير الاتجاه الصحيح . وبالمثل ، فانه من الطبيعى والمنطقى والمنتظر أن أغلب اساتذة التلمود الذين لم يخرجوا من أوساط اليشيفا الضيقة يكونون من ذوى الخلفيات العلميـة أو الفروع الأكثر صرامة من فروع المعرفة الانسـانية ، وهم يجـدون التطبيق الحرفى للقواعد متمشيا مع ما تعودوا عليه .

ودون تخطيط مسبق ، وجدت يهودية نهاية القرن فى الأرثوذوكسية ما تصورت أنه هويتها المفقودة . ففى مواجهة العبارات المنغمة لكثير من الحاخامات التقليديين ، يجتذب التعصب بنظرته التبسيطية الوحيدة الاتجاه الشباب فاقد الاتجاه بسهولة . ويشعر الحاخام يتسحاق فايل مدير اليشيفا فى ( اكس لى بان ) بهذه الصحوة الدينية الجديدة : أن الآباء يدفعون مزيدا من الأطفال لترك الدراسة فى سن الرابعة عشرة وتكريس انفسهم للدراسات اليهودية .

وهذه الاتجاهات المتطرفة تمكنت من الظهور بسهولة اكبر بسبب أن غالبية يهود فرنسا هم من السيفارديين ( اليهود الشرقيين ) (*) الآتين من شمال افريقيا والذين كانت تقاليدهم الطقوسية اكثر حيوية .

---

(★) **السفارديون** : تشكل هذه الطائفة بالمقـارنة بالطائفـة الاشـكنازية اقليـة صـغيرة ، حـيث انهـا تضـم بيـن ١٢ ـ ١٥٪ من يهـود العـالم ، واصـل التسمية يرجع الى كلمة سفاراد ، وبينما يرى البعض أن اصل هذه التسمية مستمد من اسم مكان فى شمال فلسطين نفى اليه اليهود بعد السبى البابلى ، الا أن غالبية الباحثين ترى أن اصل هذه التسمية مستمد من كلمة « سفاراد » التى تعنى اسبانيا . وتطلق هذه التسمية على اليهود الذين انحدروا من الجاليات اليهودية التى طردت من اسبانيا والبرتغال فى عام ١٤٩٢ ، ثم عام ١٤٩٦ اثر محاكم التفتيش . وهاجر معظم هؤلاء الى جنوب اوروبا وشمال افريقيا وبلدان الشرق الأوسط .

ويطلق مسمى « السفارديين » حاليا على يهود البلدان العربية الذين هاجـروا الى اسرائيل فى نهايات القرن الماضى ، وخلال النصف الأول من القرن العشرين ـ ( المراجع ) .

يقول الحاخام جيرار زيزيك مدير يشيفا الطلبة بباريس : « لولا جماهير السيفارديين لما كانت هناك يهودية دينية فى فرنسا » .

وصحيح أن مجيء يهود أفريقيا الشمالية قد غير الطائفة اليهودية بعمق ، واذ جاءوا كمنفيين الى فرنسا التى لا يعرفونها ، فقد تلقوا صدمة ثقافية ، فكان مرجعهم هو اليهودية حيث وجدوا أنفسهم فى عالمها . ولكن احتياجاتهم الطقسية تجاوزت بكثير احتياجات الاشكنازيين ( اليهود الغربيين ) (*) وتدعمت من أجلهم بنية تحتية كبيرة من موردى الأغذية الكاشير والمؤسسات التعليمية والمعابد .

واليوم ، تسعون بالمائة من تلامذة اليشيفوت الفرنسيين هم من السيفارديين ، وصحيح أنهم يلبسون الردنجوت والقبعة السوداء على الطريقة الليتوانية ؛ ولكنهم من أصل مغربى وهى ظاهرة غريبة من اشكال التعبير عن الهوية ولكنها تدل على آثار صدمة الكارثة النازية . وحيث ان طوائف السيفارديين لم تتعرض الى الابادة الجماعية ؛ فقد جاءت أجيالهم التالية لتعوض اليهود الذين أحرقوا فى آوشفيتز . لقد ارادوا بذلك ان يملأوا الفراغ الذى سببته الابادة وأن يؤدوا واجبهم نحو قدر اليهود ، حتى بعد الحدث ، بتحمل نصيبهم من المأساة وتقمص دور الضحية .

وفى الوقت نفسه شعر المدرسون السيفارديون بعقدة نقص تجاه زملائهم الاشكيناز الأكثر تشددا ؛ فقد وجدوا فيهم مثلا أعلى للنقاء

---

(★) الاشكناز : يشكل الاشكناز غالبية يهود العالم ، فيشكلون ما يتراوح بين ٨٠ ـ ٨٥٪ من يهود العالم ، ويعود اصل هذه التسمية الى ما جاء فى الفقرة الثالثة من الاصحاح العاشر من سفر التكوين التى جاء بها : « وبنو جومر اشكناز وريفاث وتوجرمه » . وقد أطلقت هذه الكلمة للاشارة الى المجتمعات اليهودية الموجودة فى أعالى الفرات فى ارمينيا ، وقد استخدمت هذه الكلمة فى العصور الوسطى للاشارة الى الأراضى الأوربية التى يسكنها العنصر الجرمانى ثم اصبحت هذه الكلمة تشير الى المانيا ، ثم توسع استعمالها واخذ يعنى اليهود الذين يعيشون فى المانيا وشمال فرنسا وشرقها والنمسا وروسيا . واتسعت دلالة هذا المسمى ( اشكناز) بحيث اصبح يعنى كل يهود الغرب بما فى ذلك يهود أمريكا ـ ( المراجع ) .

الحقيقى ورفضوا اليهودية التقليدية الهادئة لأفريقيا الشمالية ، واندمجوا فى الأرثوذكسية اللتوانية الاكثر تطرفا .

يعتقد الحاخام زيزيك أن النموذج السيفاردى ما كان ممكنا ان يبقى بعد الانتقال قائلا :

« فى أفريقيا الشمالية لم تكن هناك مواجهة تقريبا مع العالم العربى اما هنا فالمواجهة مع الوسط المحيط قوية جداً ، مما يفرض اعطاءمضمون لليهودية وبالتالى يفرض ضرورة الدراسة ، لقد اكتسب موضوع الدراسة بعدا مركزيا . لقد عشت سبع سنوات فى كريت وقد لحظت أن مـن كانوا متدينين بشكل متوسط فى الدار البيضاء أو فى غيرها قد ازدادوا تدينا فى فرنسا ... لقد كان تناول الطعام الكاشير هناك هو عمل عادى ، أما هنا فمراعاة قواعد الطعام المطابق للشريعة او الراحة فى أيام السبت تستوجب وجود مضمون ومن هنا ضرورة الدراسة » .

يأسف البروفيسور يوسف فانتون مدير الدراسات العبرانيـة فى جامعة ستراسبورج لضعف الموروث السيفاردى :

« لقد خنقت اليهودية الأرثوذوكسية تلك الحرارة فى الصلاة وشعور الفرح بالحياة واليهودية الدائمة ! لقد حدث انفصام مع الماضى فى أفريقيا الشمالية بسبب الهجرة والمواجهة مع جو غريب ، ولم توازن السلطة الأبوية هذا الانفصام لأن الخلية العائلية قد ضعفت فى المجتمع الحديث . وهكذا توصل الأبناء الذين تعلموا فى بعض المدارس اليهودية الى ادانة يهوديتهم الأصلية فهم يقولون لآبائهم : « انكم كنتم تمارسون الطقوس دون فهم بطريقة روتينية ، أما الآن فنحن نرجع الى النص ونفهم ! » . وهكذا فبضربة واحدة تستبعد يهودية شمال افريقيا رغم أصالتهـا ، وهكذا اهملت كل الترانيم والعادات واللحظات المفعمة بالايمان التى كانت تمارس فى شمال أفريقيا لصالح النموذج الآتى من ليتوانيا » .

ولكن هذا « الاستبعاد » ليس نهاية المطاف فالمرء يغير ملابسـه ولكنه يبقى مخلصا للأساسيات ؛ لأن الجذور الثقافية للسيفاردية ترجع

بالطبع الى التوراة . كان الحاخام دانييل هيمان مدير يشيفا أيبينى سير سين يقول لى عندما يختار ابن لعائلة اشكنازية غير متدينة أن يكرس نفسه للدراسة التلمودية ، فان الدائرة المحيطة تعتبر ذلك كارثة ، بعكس العائلة السيفاردية التى تتقبل نفس الطلب بفرح وفخر .

ان الاختلاف بين التقليديين والأرثوذوكس فى صفوف السيفارديين ليس بارزا ، فهم يتقبلون بصفة عامة نظاما شديد التدين حتى لو أبعدتهم انشغالاتهم المهنية أو ظروف الحياة عن ممارسته بدقة . وعندما يحضر الى فرنسا حاخامات سيفارديون أرثوذوكس لالقاء محاضرات ، فان جمهور الحاضرين لا يقتصر على الأصوليين بل يحضر خليط ممن يريدون تلقى بعض الحكمة من هؤلاء الأساتذة . وحيث تختلط التقاليد مع الخرافات فلا مانع من أن يطلب البعض منهم بركة أو تعويذة لجلب الخير .

وهكذا نشأت تجارة حقيقية حول الحاخام المعروف باسم بابا مصالى (*) ، وهو مغربى توجه الى الأرض المقدسة حيث توفى فى ١٩٨٤ ، وقد حولت الدعاية صورة هذا العجوز المبجل الى ما يشبه أحد أصناف المياه الغازية ؛ فتجدها مصورة على الشمعدانات والتمائم ويحافظ أتباعه على أسطورته ويقيمون الاحتفال بمولده بشكل منتظم تماما .

ونسبت لبابا مصالى الكرامات ، حيث قيل انه بمجرد الصلاة يستطيع أن يشفى المرضى ويشفى النساء العاقرات من العقم ويحسن أحوال الفقراء . ومن كراماته حكى أنه كان فى مدينته تافيلاليت حاكم مستبد ، وأنه حضر يوماً ما الى جانب الحاكم فى أحد الاحتفالات الرسمية حيث كان الجميع يحيون الحاكم المرهوب بكل احترام ...

ولكن بابا مصالى لم يكتف بعدم تناول يد الحاكم الممدودة للسلام ، وانما أخذ يؤنبه على اساءاته للطائفة اليهودية فاستشاط الحاكم غضبا وقال : « سأنتقم لوقاحتك هذه يوماً ما » .

---

(★) ولد هذا الحاخام عام ١٨٩٠ فى المغرب ، وزعم أنه قادر على الاتيان بمعجزات مثل الشفاء من الأمراض . هاجر الى اسرائيل عام ١٩٦٤ ، واستقر بها فى مدينة « نتيفوت » فى عام ١٩٧٠ . وذاعت شهرته فى اتيان المعجزات ؛ مما حول مقر اقامته لمزار يحج اليه اليهود ، وكبار وحاخامات الاشكناز — ( المراجع ) .

ولكن بابا مصالى قال لأتباعه المرعوبين بكل هدوء : « سترونه عما قريب وهو يطلب العفو منى » .

وبمجرد رجوع الحاكم الى منزله سقط مريضا يرتعش بالحـمى ، وتعاقب الأطباء على فراشه دون جدوى وأيقن أن السماء تعاقبه لأنه أهان رجلا صالحا ؛ فأرسل رسولا الى بابا مصالى يرجوه أن يعفو عنه ويعد بعدم اضطهاد اليهود فعفا عنه ومنحه البركة فشفى الحاكم .

وهذا الفولكلور الغيبى مجرد شكل من التقليدية ويمكن أن ينسب الى كثير من علماء الدين ؛ ولكن هذا التقديس للحاخام المغربى يكتسب مغزى خاصا عندما نعرف أنه كان المعبر عن الأصولية الدينيـة الأكثر جهالة ، فقد حارب بضراوة محاولة الاتحاد الاسرائيلى العالمى انشـاء مدرسة فى مدينته تافيلاليت ؛ لأنه كان من المفروض أن توفر الى جانب تعليم اليهودية تعليما عاما لأطفال الجنوب المغربى ، يسمح لهم بتعـلم مهنة والخروج من دائرة البؤس . ولكن الاحتكاك بثقافات أخرى كـان يهدد بابعاد الأطفال عن اليهودية وتوعد بابا مصالى كل من يتصل بمندوبى الاتحاد بأسوأ مصير . وقد انتهز رجال الاتحاد غيابه عن المدينة فى رحلة واستأجروا منزلا فى تكتم وأنشأوا المدرسة ، وعند عودته ثار بابا مصالى وتوعد من أرسلوا أبناءهم الى هذه المؤسسة الشيطانية بأنهم سيموتون قبل انقضاء العام ! وأغلقت المدرسة أبوابها وكان على يهود تافيلاليت الانتظار قبل أن يتخلصوا من سيطرة الملا .

ان ذكرى بابا مصالى والاحتفال العظيم بها يسمح لبعض اتجاهات اليهودية السيفاردية بالارتباط بأشد التيـارات تشـدداً بين صـفوف الاشكيناز ، وخلال السنوات العشر الماضية ازدادت الطقوس تعقيدا والأرثوذوكسية نموا بين الاشكيناز والسيفارديين الذين اندمجوا معا .

ان هذا الاحترام الذى يكاد يكون مرضيا للشريعة اليهودية ، يؤدى الى الانكفاء على الذات واستبعاد كل من لا يتواءم بدقة مع المظهر الدينى المتشدد ، والمظهر الأكثر تكررا لهذا الاتجاه الجديد هو رفض التحاور والمغالاة فى التطرف ، وهكذا يتحول المتدينون الى أصوليين والتقليديون المسالمون الى علمانيين مناضلين . ان نموذج اليهودية الفرنسية يشوه

بسبب البحث اللاهث عن نقاء مفترض ، وعن أصالة يهودية متخيلة نابعة من قراءة عاطفية للتاريخ ! .

وبفضل هذا الايمان المتجدد يعمل الأساتذة الأرثوذوكس على تحقيق السيطرة على آليات الطائفة ، مستعينين فى ذلك بالقوات الجديدة المنضمة اليهم ، ومما يسهل لهم الأمر أن المثقفين المنفتحين على العالم يفتقدون الاهتمام بشئون الطائفة ويركزون على تمثيلها أمام الآخرين . وبالطبع ، فان الاشتراك فى ندوات أو برامج تليفزيونية أو تأليف الكتب أو نشر المقالات ، هى أنشطة تحقق رضاء عن النفس يفوق كثيرا ما تحققه مواجهة المشاكل الملموسة ، ولذلك فقد تركوا المحاكم والمجمعات الحاخامية لأولئك الذين يفرضون الانغلاق والانعزال .

ويأسف شامويل تريجانو مدير كلية الدراسات اليهودية ومؤلف عدة كتب عن مستقبل اليهودية الفرنسية ، كثيرا على هذه السيطرة للأرثوذوكس وهذا التشدد فى الهوية و « هذه العودة ليهودية الثمانينات التى تعنى الأرثوذوكسية المتشددة واستبعد نموذج اليهودية فى المدينة الذى وجد بعد الحرب العالمية الثانية ... ان لدينا الآن يهودية ذات « سرعتين » حيث يكون الشكل الأكثر تطرفاً هو القاعدة وهو مصدر السلطة » (٥) .

ويصل البروفيسور فانتون الى نفس النتيجة قائلا :

« حيث ان الأرثوذوكس ذوى الاتجاهات الليتوانية هم الأكثر انغماسا والأكثر نشاطا ، فقد استولوا على المراكز الحاكمة فى الطائفة ، وهناك راديكالية متزايدة خاصة فى شئون التعليم ، وقد حضرت اجتماعا لمديرى المدارس اليهودية وكان تسعون بالمائة منهم من الأرثوذوكس مما يحدد اتجاه مدارسهم » .

وفى الواقع ، أصبح تدريس المواد الدينية فى أغلب الأحوال من اختصاص الأشخاص الأكثر جهلا من خريجى اليشيفوت فى اسرائيل ، وهم ينشرون فى فرنسا الأيديولوجية الليتوانية المنغلقة على الثقافة الغربية . انهم يعلمون أجيالا من الطلبة أنه لكى تكون يهوديا فعليك اتباع نموذج الانعزال والتقوقع .

فى العام الماضى اصطدم استاذ التاريخ فى اثنتين من المدارس التقليدية الكبيرة فى باريس بجيش حقيقى من الحاخامات ، فقـد تجرأ وقال ان القانون اليهودى قد تطور على مر الزمن ؛ مما اعتبر فضيحــة فى نظر رجال الدين الذين يؤكدون أن شريعة الله لا تتغير . فتم الضغط عــلى الآباء لكى يحتجوا على جريمة اهانة الأرثوذكسية هذه ، بل وطـلب من التلاميذ الا يحضروا هذه الدروس الخارجة على الدين ، واضطـر الأستاذ الى التراجع واكتفى بتدريس تاريخ مدينة القدس فقط .

اما فى المدارس الأرثوذوكسية فالأمور أكثر صراحــة ، اذ يصرح الياهو أوزان مدير مدارس الطائفة الأرثوذوكسية التى تضم ثمانمائــة طالب فى باريس وضواحيها ان اختيار الطلاب يتم طبقاً لمعايير محددة تماما : فالأمهات يجب ان تكون رؤوسهن مغطاة كما تقضى التقاليد الدينية ولكن أهم من أى شىء آخر يجب الا تمتلك العائلة تليفزيونا .

يقول الياهو أوزان : « الكل يعرف الأضرار التى يسببها التليفزيون فهو يعطى الأطفال يوميا دروسا فى العنف ...

ونحن لا نرفض التليفزيون لأسباب دينية وانما لأسباب تعليمية . ونحن على صلة بزملائنا فى المدارس الأخرى ونعرف أن الأطفال الذين يقضون ساعات طويلة أمام الشاشة الصغيرة يكونون متعبين عندمـا يصلون الى المدرسة فى الصباح . واى عالم نفسى يواجه حالات العصبية عند الأطفال والارهاق والعدوانية وكذلك الرغبة فى الاقتناء التى تسببها الاعلانات ... ان التليفزيون يسبب كل هذه الأضرار ولكن من الصعب اقناع الآخرين بذلك وسيتهمنا البعض بالأصولية ! فمن السهل التهكم على موقفنا ... » .

ومن المؤكد أن بعض برامج التليفزيون ضررها مسلم به ، ولكن هذا الرفض العنيد للشاشة الصغيرة لا ينبع دائما من « أسباب تعليمية » ، فهذا الانفتاح على العالم فيه ابتعاد واضح عن طرق التوراة فى حــين تنادى الأرثوذوكسية بنبذ العالم واحتقار التعليم العلمانى .

يقول البروفيسور فانتون : « تعانى اليهودية من انقسام عميق هذه الأيام ، وأنا شخصيا أصبت بصدمة عندما عدت الى ستراسبورج بعد غياب سبعة عشر عاما ! لقد تركت طائفة متحدة ولكننى عدت لأجـد يهودية منقسمة تفصلها الحواجز ... » .

وفى ستراسبورج هذه وقف أحد الحاخامات يصيح من أعلى منبره أن اليهود الليبراليين أسوأ من النازيين :

« لأن النازيين كانوا يحرقون أجسادنا فقط أما الليبراليون فيؤذون أرواحنا » .

ويرى البروفيسور فانتون أنه من الواجب الوقوف ضـد هـذه الأرثوذوكسية العمياء ومقاومتها :

« ان هؤلاء القوم يمثلون يهودية مغلقة غير حقيقية ، ومن واجب اليهود أن يكونوا جبهة متحدة لادانة هذا النوع من الممارسة ، والذى لا يمثل على أية حال سوى ركن صـغير ممـا كانت عليه اليهوديـة الاشكنازية . انها ليست بالتأكيد يهودية بولونيا ذات التقاليد الحسيدية والتى كانت لها وجهة نظر منفتحة بالنسبة للصهيونية ، ومنفتحة بشأن تطور الهالاخاه (*) ، وعلى الخصوص لم تكن بهذا الميل للنسك والتقشف اللذين نجدهما فى يهودية اليشيفوت الليتوانى ، فضـلا عـن العـالم السيفاردى الذى كانت له أصالته » .

ولد الحاخام آلان ميشيل فى نانسى ، وبعد أن قضى عشر سنوات فى اسرائيل عاد الى فرنسا بهدف اقامة جماعة على غـرار المحافظـين الأمريكان الذين يحبذون تطوير الشريعة اليهودية ، وهو يذكر اليهودية ، التى كـان يعرفهـا فى أيـام طفـولته : « كـانت فى نـانسى

(*) تعنى لفظة « هالاخاه » الشريعة ، وينقسم الهالاخاه الى نوعين :
( أ ) « هالاخاه شبختاف » أى الشريعة المكتوبة والتى تمثلها التوراة وسائر أسفار العهد القديم ، (ب) « هالاخاه شبحال بيه » أى الشريعة الشفهية والتى تمثلها أقوال الحاخامات التى وردت فى التلمود ــ ( المراجع ) .

جماعة صغيرة قليلة التدين ، وكان عمى يمتلك جزارة تتبع التعاليم اليهودية فى الذبح وكان زبائنه مرتبطين به بحكم العادة فقط ، ومع ذلك فقد أفلس فى نهاية المطاف ... ثم انتقل للعمل فى جزارة لا تتبع هذه التعاليم وتبعه زبائنه وكأنهم لا زالوا يتبعون التقاليد ! وفى الواقع ، فان الجماعة التى عرفتها كانت بالأساس جماعة منفتحة وكان الجميع يعيشون على راحتهم مهما كانت آراؤهم وكيفما عاشوا يهوديتهم .

وبالطبع كان الحاخامات يفضلون أن يكون الناس متدينين فهذه هى مهمتهم ولكنهم كانوا يتحاورون مع الجميع ، أما اليوم فقد قرر الأرثوذوكسيون الجدد أن يستبعدوا اليهود الآخرين ... فاما أن يكون المرء نظاميا — أى يسير على نظامهم — والا فلا وجود له . ان المبدأ الذى تبنوه بشكل لا رجعة فيه هو السباق من أجل مزيد من التشدد وهذا السباق يستبعد أوتوماتيكيا كل من لا يوافق عليه . ان زعماء الجماعة يفضلون أن يكون هناك عدد أقل من اليهود على صورة النموذج الذى فى أذهانهم عن أن يكون هناك كثرة من اليهود المختلفين الذين يصعب توجيههم وقيادتهم . أنهم ينسون أن التحرر قد ألغى ضرورة تمسك المرء بيهوديته فقد أعطاه حرية الاختيار ، ولكن الأرثوذوكس يريدون بكل بساطة اعادة الجيتو . ان عشر سنوات من محاولة فرض الأرثوذوكسية قد أدت الى زيادة هائلة فى معدل اندماج اليهود فى مجتمعاتهم وتخليهم عن معتقداتهم الدينية ، فهناك نواة تقوى ولكن الأطراف تتباعد بسرعة غير عادية ! وقد يقول البعض انه لو لم يوجد هذا الخطاب الدينى المتشدد لزادت حركة الاندماج ؛ ولكننى لا أعتقد ذلك بل أعتقد أن العكس هو الصحيح تماما » .

منذ عهد بعيد كانت ميزة اليهودية الفرنسية أنها كانت طائفة واسعة ومنفتحة ومتسامحة حيث يجد الكل ذاته بداخلها . خلال قرن من الزمان لم تنجح الحركة الليبرالية حاملة علم اليهودية الحديثة فى فرنسا فى أن تطور نفسها فاذا كان بالامكان أن يكون المرء ليبراليا مع غشيانه للمعبد التابع للكونسيستوار ، فلماذا ينشىء كنيسا صغيرا للصلاة فى الجوار ؟

ومراعاة لكل هذه الحساسيات ، كان الكونسيستوار لا يعين حاخامات للطائفة الا من بين المتخرجين فى معهد الحاخامات فى باريس ،

ولكن أدى النقص فى الأعداد مع تفشى الاتجاهات التجهيلية الى قبول تسمية حاخامات من بين طلاب اليشيفوت وبالأكثر من اسرائيل . ويؤكد المؤرخ فيليب بوكارا المتابع للتغيرات فى الطائفة أضرار هذه السياسة قائلا :

« يوجد الآن حاخامات ذوو أفق ضيق بشكل مخيف لا يمتلكون اية ثقافة عامة ولا يتحدثون الفرنسية جيداً ، ولكنهم يحفظون التلمود عن ظهر قلب ولكن لا شيء اكثر من ذلك ... انها المرة الأولى التى أجد فيها جماعات تستحى من حاخاماتها وبدلا من أن يكونوا فخورين بشخص يفترض انه المتحدث باسمهم نجدهم يحجبونه عن الأنظار ! » .

يفسر الحاخام الأكبر ايمانويل شوشنه المدير لمعهد الحاخامات حتى ١٩٩٠ هذه الزيادة فى عدد الحاخامات البعيدين عن المسار التقليدى بازدياد عدد الجماعات الصغيرة قائلا :

« ان هذه الجماعات الصغيرة تستخدم شخصا تسميه حاخام لمجرد أنه يجيد قراءة التوراة أكثر منهم ، انهم يعتبرون حاخامات بالنسبة للجاهلين ... فمن الواضح أن شخصا تخرج من اليشيفا بعد دراسة عامين يعرف من التوراة أكثر من أغلب أبناء الطائفة ، ولكن لو سألته عن بعض قوانين الشريعة المحددة فربما تجد انه يجهلها . وعندما كنت مديرا لمعهد الحاخامات كان المبدأ الذى أتمسك به هو ألا يشعر أى حاخام متخرج فى المعهد بأى مركب نقص فى مواجهة شخص درس فى اليشيفا لمدة ثلاث سنوات ، بل كان من الضرورى أن يعرف أكثر لأننا كنا نهتم كذلك بتوفير ثقافة عامة ، الشيء الذى لا غنى عنه لشخص مطلوب منه أن يقود جماعة ... » .

يدرس رافاييل اليهودية وعلى الرغم من أنه متخصص فى العمل الدينى ، الا أنه يرفض الالتحاق بمعهد الحاخامات لأنه يعتقد أن النص وحده هو المهم والباقى مجرد تزويق ، يقول :

« فى المعهد توجد موضوعات مختلفة ليست جميعها ذات علاقة بالتوراة فيجب اتقان القدرة على الحديث وكيفية تنظيم جماعة ... ويمكن أن تكون هناك فائدة لهذه الدراسات ولكن توجد هناك أوجه نقص لا يعانى منها من درسوا فى اليشيفا ، وعلى أية حال ، فالحاخامات الكبار أصحاب السلطة فى الموضوعات الدينية لم يتخرجوا فى المعهد وانما فى اليشيفوت ! » .

يقول روجيه بيرج مؤلف كتاب تاريخ الحاخامية الفرنسية (٦) : « لا يكفى أن يكون الحاخام اليوم قادرا على القاء العظات ، وانما عليه كذلك أن يتقن العمل الاجتماعى ، وأن يكون موجها للشباب ، وموجها فى السجون أو فى الجيش ، وعليه أن يتواءم مع المظاهر الجديدة للعلاقات اليهودية — المسيحية أو مع العلاقات بين الطائفة اليهودية والسلطات العامة ، ذلك لأن تسيير الأمور الادارية والمالية للطائفة يؤثر على نشاط من يشغلون وظيفة الحاخام وكذا على استمرارهم فى الوظيفة » ، وهى جميعها واجبات يقشعر منها الشبان الأتقياء المتخرجون فى اليشيفوت ؛ لأنها تتطلب منهم اتصالا دائماً مع العالم الزمنى ومتابعة أنشطة وأعمال قد تشغلهم عن دراساتهم المقدسة . وهكذا نصل الى الوضع غير المعقول ، حيث نجد أن اليهودية الفرنسية فى اتجاهها المتزايد نحو الأرثوذوكسية تجد صعوبات متزايدة فى العثور على حاخامات حقيقيين ، فالأرثوذوكسى لا يهتم بالجماعة التقليدية ، ولا يشغله أن يقود الأطفال والشباب حتى يكسبهم من الطلاء اليهودى ما يحميهم لحد ما من تأثير الاحتكاك بالمدينة . والنتيجة أن الأرثوذوكسية تقف كجزيرة معزولة تقاوم وتبقى المعابد مهجورة .

فى ١٩٨٧ دعا الناخبون الكبار المائتان والسبعة والعشرون للكونسيستوار (*) — وهم من الحاخامات وكبار المسئولين بالطائفة — يوسف سيتروك الى أن يصبح الحاخام الأكبر لفرنسا وبذلك أدخلوا

---

(★) تشير هذه الكلمة الى « المنظمة اليهودية الفرنسية » التى تأسست فى عام ١٨٠٨ بموجب أوامر السلطة الفرنسية ، وكان الغرض من تأسيسها أن تشكل حلقة وصل بين اليهود وبين السلطات الفرنسية — ( المراجع ) .

فى مؤسستهم العتيقة حامى حمى الأرثوذوكسية وان كان هو ينفى عن نفسه هذه الصفة حيث يقول :

« انى أفضل وصف « الملتزم » بدلا من الأرثوذوكسى ؛ لأن الحاخام الذى لا يعطى القدوة ولا يعظ عن طريق المثال الذى يعطيه بالتزامه الأخلاقى والاجتماعى طوال حياته لا يكون جديرا بحاخاميته . فبمجرد أن يلبس طيلسان الصلاة يتعهد اليهودى الا يسىء الى جاره ، لأن حدود التزامه أمام الله هى وجود الآخر . ولذلك فالأرثوذوكسية بوصفها تعبيرا عن التعصب المتشدد بعيدة تماما عن موقفى » (٧) .

ولكن عند اعادة انتخاب الحاخام الأكبر فى ١٩٩٤ ، صرح جان كان رئيس المجلس التمثيلى للهيئات اليهودية فى فرنسا أيامها وبكل وضوح :

« يثار النقاش داخل الطائفة بين أنصار التحديث وأنصار العودة الى الجيتو أو بين أنصار التسامح وأنصار الانغلاق » (٨) ، لقد أحيت هذه الانتخابات الصراع بين المتدينين والمعتدلين الذين رأوا فى الحاخام الأكبر خطرا يهدد استقرار الطائفة ، وقد تمت اعادة انتخابه فى جو مشحون بالتوتر . وقد وجه اللوم للحاخام الأكبر لأنه قاطع مدارس الطائفة بادخال ابنائه فى مدارس أرثوذوكسية ، ولأنه أيد بعض اليشيفوت المتطرفة ، ولأنه قطع الجسور مع المثقفين ومع العالم الجامعى . والواقع أن كل التشققات زادت بعد أن جلس على رأس الكونسيستوار رجل يدافع عن ايديولوجية أولئك الذين ظلوا دائما خارج الكونسيستوار .

على الرغم من أن الحاخام ليون اشكينازى يعيش حاليا فى اسرائيل ، الا أنه يتابع عن كثب كل تقلبات الطائفة اليهودية الفرنسية، وهو يؤكد على التباعد بين الطائفة فى مجموعها وبين مجموع الحاخامات الذى يتجه أكثر فأكثر نحو الأرثوذوكسية ، يقول : « يقف على رأس الطائفة اليهودية، بحسب تعريف الكونسيستوار، حاخامات يختارون طريقا مشابها لطريق اليشيفوت الذى يسير حسب النموذج القديم لبلاد أوروبا

الوسطى أو البلدان الاسلامية ، وهذا يقود الى يهودية الجيتو فى طائفة كان المفروض أن تكون جزءا لا يتجزأ من المدنية الفرنسية » .

وأما فى رأى جابرييل فادناى مدير لجنة العمل الاجتماعى الاسرائيلى فى باريس ، فانه اذا كان الكونسيستوار قد أصبح أكثر ارثوذوكسية فانما حدث ذلك تحت ضغط المؤمنين الذين يطالبون بمزيد من الأصالة :

« على أية حال فهذه هى العقلية الحالية ، فالحركات الدينية أكثر نشاطا هذه الأيام حيث رأى الناس المثل العليا للمدينة وهى تتهاوى ، لقد كانوا يتعلقون بالثروة أو الاستهلاك ثم جاءت الأزمة فأرادوا التمسك بقيم حقيقية . وعليه ، فأولئك الذين ينتمون لحسن حظهم للعالم اليهودى وجدوا أن لديهم قيما يمكنهم الرجوع اليها ودراستها . هناك عودة الى المنابع الأصلية فى كل الديانات وكل الثقافات وكذلك فى اليهودية ، وأجهزة الكونسيستوار لا تفعل اكثر من مسايرة هذا التطور » .

وهو تطور مثير للدهشة فقد توجهت شابة كانت أمها قد اعتنقت اليهودية فى الخمسينيات بمعرفة كونسيستوار باريس إلى مكاتب الكونسيستوار ؛ لتحصل على شهادة بديانة أمها لتستخدمها فى عقد زواجها هى ... ولكنهم رفضوا اعطاءها الشهادة ، حيث انهم اعتبروا أن اعتناق أمها لليهودية باطل ! وبكل جدية شرحوا لها الأمر :

« أنت تفهمين ولا شك أنهم فى أيام ما بعد الحرب تلك كانوا يقومون بالتهويد دون مراعاة كل القواعد الدينية » .

ومع ذلك ، فان الأرثوذوكسيين يعتبرون الكونسيستوار قلعة اليهودية المتهاوية . تقول ربة عائلة متدينة من الحى التاسع عشر بباريس : « كان وصول الحاخام الاكبر لفرنسا الى منصبه يعطينا إملا فى تغيير الأمور ولكن انتخابه لم يعط الثمرة المرجوة ، لقد القى خطبا جميلة ولكن لم يحدث أى شيء ذى مغزى فى نهاية المطاف .

كان المتدينون يعتقدون انه سينظف الكونسيستوار من الاتربة المتراكمة ... ولكن شيئا لم يتغير ، اننا نشعر باليأس حاليا لأن أجهزة الكونسيستوار يشغلها أناس لا يريدون لأى شىء أن يتحرك ! » .

وعلى الرغم من أن الحاخام الأكبر لفرنسا يبذل محاولات مشكورة ليبقى القائد الروحى لكل يهود فرنسا مع استمرار الضغط عليه من اليمين ، فان تعاطفه الواضح مع الأرثوذوكسية يسمح للعناصر الأكثر تشددا أن ترفع رأسها . وهناك حملة غريبة من الخطابات المجهولة المصدر تظهر فى صفوف الطائفة اليهودية فالمسئول عن احدى المؤسسات يوصف بأنه دودة ، ومناضل صهيونى يشبه بعماليق العدو اللدود للشعب اليهودى فى التوراة ، وحاخام متسامح يوجه له التهديد .. يقول الحاخام جيل برنهايم والذى كان مرشح اتجاه الانفتاح لمنصب حاخام فرنسا الأكبر : « ان الطائفة المثالية حسب وصف هذه الخطابات هى طائفة مغلقة لا تتحمل تيارات الهواء النقى التى تخلق التجديد ، فلكى تسيطر على الناس يجب أن تمنعهم من التفكير وان تستبعد كل من يحاول ذلك » (٩) .

وبعيدا عن هذا الاضطراب تنمو الأكاديميات التلمودية المنطوية على ذاتها فى كل أنحاء البلاد ، فى باريس ومارسيليا وستراسبورج وغيرها .

أسس الحاخام دانييل هيمان اليشيفا فى ١٩٧٨ فى ابيينى سير سين فى المنطقة الباريسية ، وبها حاليا خمسة وسبعون طالبا متفرغا والبعض منهم سيلتحقون بالجامعة بعد بضع سنوات وآخرون سيتابعون أبحاثهم فى المراكز الاسرائيلية . وعلى الرغم من أن بعض الحاخامات والمدرسين قد تخرجوا فى ابيينى ، فانه ليس من أهداف اليشيفا أن تكون مصنعا لتخريج المهنيين ، فالتوراة يجب أن تقود الانسان الى الله وليس الى ادارة شئون الطائفة . ان مدرسة للحاخامات هدفها تكوين قادة تمثل انحرافا من وجهة نظر الحاخام هيمان ؛ لأن المواجهة المستمرة مع النصوص هى التى ستصنع أساتذة المستقبل . فى بولونيا فى القرن الماضى

كانوا يختارون حاخامات المستقبل من بين أحسن عناصر اليشيفوت ، ولشرح فلسفته هذه قص على هيمان انه فى أحد الأيام توجـه رئيس للطائفة لمقابلة مدير احدى الأكاديميات التلمودية المشهورة وطلب منـه طالبا معينا ليشغل وظيفة حاخام ، ولكن الشـاب المختار صرخ قائلا : « ولكنى أخاف من تحمل هذه المسئولية ... » .

ـــ وكان الرد : « انه لهذا قد وقع عليك الاختيار فلو كان لديـك الطموح أن تصبح حاخام لما تم اختيارك » .

أنشأ الحاخام يوشع جرونشتين يشيفا فى نيس منذ ثلاثة عشر عاما، ويصف هذا الأستاذ الســابق للرياضيــات الذى اعتنـق اليهوديــة الأرثوذوكسية تطور الشبيبة التى يجتذبها طريق الدين المتشدد :

« فى وقت ما كان الناس يكتفون بحضور المحاضرات ولا ينتقلون الى مرحلة الدرس الحقيقى ، ولكن الكثيرين يفضلون اليوم الانغمـاس فى النص مرة واحدة ، فقد فهموا انه من الضرورى اعطاء الوقت الكامـل للدراسة لمدة سنتين أو ثلاثة لاستيعاب الأساسيات ... وليس الهدف من الدراسة هو العمل حاخام ، فهذه ليست دراسـة مهنية وهـؤلاء الشباب ينوون متابعة مهن متنوعة ، فعلى سبيل المثال لدى طلبة كانوا يدرسون المعلوماتية أو القانون ثم قطعوا دراستهم المهنية لبعض الوقت. ومع ذلك ، فالكثيرون منهم سيذهبون بعدها الى اسرائيل ؛ لأنهم قد ازدادوا تدينا وهذا يفرض عليهم نظاما للحياة يصعب المحافظة عليه فى فرنسا».

ويؤكد الحاخام جرونشتين احدى خصائص اليهودية الأرثوذوكسية الفرنسية : وهى انتقال الأكثر التزاما من معتنقيها الى بلدان أخرى مثل اسرائيل أو الولايات المتحدة أو انجلترا ، حيث الجماعات الأرثوذوكسية أكثر تنظيما ويتخلون بذلك عن تدعيم يهودية أرثوذوكسية نظـامية فى فرنسا .

تؤكد الصحافية الدينية كاترين جارســون : « لم يتمكن اليهـود الأرثوذوكس فى فرنسا من تحقيق حياة يهودية منظمة كالتى توجـد فى

البلاد الأنجلوساكسونية ولعل ذلك يرجع الى اجتماع العقلية السيفاردية مع العقلية الفرنسية :

تسود الفردية الزائدة مما منع التجمع وبالتالى اقامة البنية التحتية. فعدد المدارس قليل وكذلك اليشيفوت أما عملية التسوق « الكاشير » فمشكلة حقيقية ! والأرثوذوكس لا يتناولون اللحوم التى تجيزها أجهزة الكونسيستوار ولا يوجد مطعم يستطيع رجل أعمال أرثوذوكسى أن يدعو عملاءه اليه ... ولا توجد أحياء كبيرة تضم المتدينين كما هو الحال فى انجلترا أو أمريكا ، هذا هو السبب فى أن غالبية من يحققون « تيشوفا » يرحلون ...

وحتى عندما يبقون فان أبناءهم يرحلون بعد أن يشبوا عن الطوق ».

وترى كاترين جارسون أن عدم قدرة الأرثوذوكس الفرنسيين على أن يفرضوا أنفسهم او أن ينتظموا سببها قلة خبرة السيفارديين بالمبارزات داخل صفوف اليهود ، تقول :

« ان السيفارديين لا يمتلكون خبرة الصراع داخل الطائفة اليهودية، ففى أوروبا الشرقية كانوا معتادين علي الصراع ضد الليبراليين وضد الشيوعيين وضد اعضاء البوند وضد الصهيونيين ... لقد كان هناك تضاد وتعلم الناس أن يكرهوا بعضهم البعض وأن يستبعدوا بعضهم البعض . ولم يكن شىء من هذا موجودا فى أفريقيا الشمالية والنتيجة أن اليهودية الفرنسية الأرثوذوكسية الناتجة عن هذه الخلفية أهدأ كثيرا والطف كثيرا من مثيلاتها فى الطوائف اليهودية فى البلاد الأخرى . ولكن الجانب السيىء هو أنه ينقصنا نحن الأرثوذوكس لكى نبنى انفسنا ونتوحد ... وجود سلطة توحد التيارات الدينية المختلفة وتعطيها وزنا وتسمع مطالبها » .

وفى الواقع ، فعلى الرغم من تجاوزاتها فان الأرثوذوكسية الفرنسية لا تصل الى مستوى مثيلاتها الأمريكية أو الاسرائيلية ، حيث نجد اصولية من المستوى الثانى . ان انغلاقها لا يقارن أبدا بما يحدث فى

القدس أو بروكلين ، فالجيتو هنا موجود فى الخيال فقط . نحـن هنـا نلعب لعبة تقليد الأمثلة الكبيرة دون ان تكون لدينا الوسائل لذلـك : فلا أحد هنا يريد حقيقة أن يعيش فى أحياء منعزلة ، ولا أحد يفكر فى الانعزال عن العالم الزمنى ، ومن يفكرون بهذا الشكل يرحلون ليعيشوا فى مكان آخر . فى فرنسا يفرض العالم العلمانى نفسـه على عـالم المتدينين عن طريق العمل والتعليم ، فرفض الجامعـة ، وهـو أحـد المبادىء الكبرى للأصوليين اليهود ، لا يمكن تقبله بسهولة فى باريس الكبرى . وعلاوة على ذلك ، فان نفوذ التيارات الأرثوذوكسية داخـل الكونسيستوار يثبت انه حتى الأكثر عنادا يرفض أن يتخندق فى عـالم مواز ويأخذ فى الاعتبار الجماعة المنظمة .

وكان من الممكن لهذه الأوضاع أن تكون فرصـة للأرثوذوكسـية الفرنسية لكى تخلق من هذا الوضع غير العادى حلا مبتكرا . ولكن مع الأسف ! فان الأرثوذوكس الفرنسيين ليسوا سعداء بظروفهم الخاصة تلك وينظرون بحسد ناحية النماذج الأكثر تشددا ، وبشىء من الصـبر سينضمون الى تلك النماذج العظيمة ... وهنـاك بعض الشواهـد المحزنة على ذلك ، فمنذ عهد قريب نشأت محكمة حاخامية أرثوذوكسية بالكامل وهدفها الواضح أن تمثل قوة دينية الى جانب الكونسيستوار . ومن ناحية أخرى ، لا يوجد بديل للشباب الذى يجتذبه الايمان العميق ، حيث لا توجد لدينا حركات أرثوذوكسية حقيقية وفى نفس الوقت منفتحة ومتسامحة — مثل الأرثوذوكسية الجديدة الأمريكية ، كذلـك لا يوجـد أساتذة كبار التأثير يمكنهم ايقاف هذا السباق نحو الانغلاق ، واعطاء الأرثوذوكسية الفرنسية أسلوبها الخاص . وقد يكـون سبب هـذا الانغلاق كامناً فى رحيل ذلك الجيل من الحاخامات الذى كانت له اليد العليا فى عقد الأربعينيات ، والذى كان يدعو الى الانفتاح على المجتمع .

وهذا الفراغ يفرض على المؤمنين أن يتطلعوا الى قارات أخرى ، وأن يتخذوا نماذج منقولة عن جماعات مختلفة تماما ولكنها المرجع الوحيد أمامهم . ان الأرثوذوكسية الفرنسية يمكن أن تتعرض فى المستقبل لكل الاغراءات الصادرة من الأصوليات الواردة من الخارج .

## لنتقابل العام القادم فى أورشليم
### ( أو اسرائيل كما ترى من فرنســا )

يبلغ جويل الرابعة عشرة وهذا الطالب فى مدرسة عقيبا اليهودية فى ستراسبورج ، يعتبر اسرائيل دون أدنى شك قلب اليهودية النابض وبلاد العهد الألفى ... ! وفجأة وجد عالمه ينهار بضربة واحدة فقد عاد الى منزله منذ وقت قريب وهو فى غاية الاضطراب : فقد عقد مدرسه مقارنة بين الصهيونية والنازية ! قال المدرس :

« ان الصهيونية كانت السبب فى حدوث كارثة الابادة على الشعب اليهودى ، ومع ذلك ففى أيامنا هذه يتصرف الصهيونيون بطريقة لا تقل سوءا عن النازيين فى أيامهم ... » .

واعتقد الأب أن ابنه لا بد قد أساء فهم كلمات المــدرس فتوجــه لمقابلته ولدهشته البالغة سمع نفس العبارات المزعجة ، فاتصل بمدير المعهد محتجا وقائلا ان مثل هذه العبــارات لو قيلت فى مدرســة غير يهودية ، لترتب عليها الاحالة الى مجلس تأديب وربما الفصل . وقــد وعد المدير الذى تضايق بعض الشىء بمعاقبة المدرس ... ثم لم يتخذ اى اجراء .

بدأت رؤية جديدة مصدرها العالم الأرثوذوكسى تشق طريقها داخل الطائفة اليهودية الفرنسية ، وهى انكار شرعية دولة اسرائيل على أساس

دينى ، فباسم المسيح المنتظر والذى وحده « سيرفع الراية أمام الأمم ليجمع المنفيين من اسرائيل ويلملم الأشلاء المبعثرة ليهوذا من أركــان الأرض الأربعة » (١) ، ينظر الى الصهيونية على أنها أيديولوجية مفسدة تعمل على تعطيل مشروعات الاله لتخليص شعبه . وطبقا لهذه الرؤية يعتبر الاسرائيليون جماعة من غير الأتقياء المستعدين للتخلى عن ارثهم وعليه ، فمكان الشعب اليهودى الحقيقى هو فى معابد الدياسبورا . فى وقت ما كان الاسرائيليون يعلنون بفخر انتماءهم الى كيان قــومى ويرفضــون الارتباط بيهودية المنفى ، ولكن الأوضاع قد انقلبت فاليــوم يرفـض المتدينون فى الشتات أن يربطوا أنفسهم بمغامرة الدولة .

ومع ذلك ، فالطائفة اليهودية الفرنسية قد اتخذت موقفا موحــدا بعد قيام دولة اسرائيل ، فباستثناء بعض الفئــات الهامشيــة مــن الأرثوذوكسية المعادية للصهيونية والصهيونية المتطرفة ، كانت اليهودية المنظمة تؤيد بكل ارتياح حكومة اسرائيل المنتخبة ديمقراطيا .

ان حاخامات الكونسيستوار لهم تقاليد طويلة من التأييد لتوطــين اليهود على أرض اسرائيل ، ووجدت الصهيونية فى مراحلهــا الأولى التأييد لدى أعيان اليهودية الرسمية ، وقد عبر البارون ادمــون دى روتشيلد مبكرا عن هذا الاتجاه بدعمه المالى لانشاء مستعمــرات فى فلسطين .

اذا كان المؤرخون يجمعون على أن موقف حاخامات فرنسا تجاه أفكار تيودور هرتزل كان فاترا ، فان السبب فى ذلك هو أنهم يقيمون الصهيونية بمعايير اليوم . وفى الواقع ، فانه لم يكن واردا فى تفكير قادة الطائفة هؤلاء أن يشجعوا أتباعهم على الهجرة من البلاد ، اذ لم يتصور أحد التنفيذ الفورى للتحية القديمة التى يتبادلونها فى عيد الفصح وهى : « لنتقابل العام القادم فى أورشليم » ، وكل ما فى الأمر أنهم كانوا يشجعون توطين موجات اليهود من أوروبا الشرقية الذين يعانون من البؤس ومن معاداة السامية . وفى ١٨٩٧ أرسل الحاخام الأكبر لفرنسا زادوك كان خطابا للمؤتمر الصهيونى الأول فى بال يقول فيه صراحة : « أن عــدم

متابعة الحركة الصهيونية باهتمام لهو من قبيل الأنانية المفرطة » . كذلك كان خلفه ألفريد ليفى يرى فى مساعدة المستعمرات اليهودية فى فلسطين نوعا من أعمال المساعدة الأخوية الكريمة قائلا : « ان اليهود الفرنسيين يفهمون أن اخوتهم فى الدين المضطهدين هؤلاء ليس لهم الا رغبة واحدة هى أن يجدوا لهم موطنا فى هذا البلد ، فلسطين ، الذى تربطهم بـه العديد من الذكريات الدينية ... وهم يتمنون لاخوتهم فى الدين النجاح فى تحقيق هذه الرغبة ويأملون أن تساعد بلادنا العزيزة فرنسا البلـد الذى تزدهر فيه الحرية والعدالة على تحقيق هذه الرغبة » ، أما اسرائيل ليفى الحاخام الأكبر لفرنسا حتى عشية الحرب العالمية الثانية ، فقد أصدر فى ١٩٢٥ نداء مؤثرا من أجل المساعدة الخيرية جاء فيه : « اننا نريـد تكوين لجان فى كل جماعة وأن تعمل دعاية نشطة فى كـل الأوسـاط الاسرائيلية ؛ حتى تمثل اليهودية الفرنسية بشكل مشرف فى فلسـطين اليهودية » .

وهكذا تبنى حاخامات الكونسيستوار موقفا مختلفا عن الجناحـين المتطرفين ، فان أنصار الاندماج والأرثوذوكس — لأسباب متعارضة — كانوا يرفضون بشدة هذه القومية الجديدة . كان الاسرائيليون ، وقـد اقتنعوا بأن زمن الاحتقار قد ولى وأن أبواب المجتمع بـاتت مفتوحـة أمامهم ، يريدون المساهمة فى حركة التقدم ، ثم جاءت الصهيونية لتذكر هؤلاء السادة ذوى القبعات العالية أنهم ينتمون لنفس الشـعب الذى ينتمى اليه ورثة جيتو الشرق البؤساء ، وأن فرنسـا ما هى الا وطـن اكتسبوه بمحض الصدفة . أما الأرثوذوكس فقـد أغضبتهم الخطـب النارية للرواد المصممين على تخطى السلطة الالهية .

وبصفة عامة كان مغزى الصهيونية وأهدافها غيـر مفهـومين ، فالشاعر أندريه سبير الذى كان يؤيد بحماس صهيونية على الطريقـة الفرنسية فى أوائل القرن ، يحكى عن الجو السائد فى اجتماعات اللجنة الوطنية للدراسات الاجتماعية والسياسية فى ١٩١٧ بشأن « المشكلـة الفلسطينية » ، قائلا ان الخاصية الاثنية التى أقامتها الصهيونية كانت تقلق أصدقاء اليهودية . تساءل أستاذ القانون الدولي العام لابراديـل

قائلا : « ما العناصر التى تريدون توطينها فى فلسطين ؟ هل هى العناصر الأحسن والأكثر نشاطا ؟ اذن ستحرمون الشعوب التى تمارس الحرية من هذه العناصر اليهودية التى كانت موجودة بينها ونحن لا نوافقكم على هذا . وبهذا الفهم لا تكون الصهيونية الا شكلا من أشكال معاداة السامية ونرفض أن تكون معاداة السامية مبدأ فرنسيا . اننا ننوى أن نحتفظ بأولئك الذين استقبلناهم فى بيوتنا وكانوا بالنسبة لنا مصدرا للثقافة والغنى » (٢) .

ومع ذلك ، استمرت الصهيونية فى بناء نفسها وكان لفرنسا مكان بارز فى تاريخها . ففى غرفة من أحد فنادق شارع كامبون كتب تيودور هرتزل (*) كتابه الأساسى « الدولة اليهودية » ، وفى باريس عاش ماكس نورداو (**) أحد أبرز الدعاة للصحوة القومية اليهودية ، وفى باريس أيضا ، فى الصالة الخلفية لمقهى البانثيون ، أسس فلاديمير جابوتنسكى حركة الصهيونية التصحيحية(***) ، التى كان هدفها الأبعد هو انشاء دولة يهودية على ضفتى الأردن .

---

(★) **تيودور هرتزل** « مؤسس الحركة الصهيونية · ولد فى المجر ثم انتقل الى فيينا حيث استأنف تعليمه العلمانى ، وحصل على شهادة فى القانون ، وبعد أن اشتغل فى المحاماة فترة قصيرة انتقل الى عالم الأدب والصحافة · وقد بدأ يواجه مسألة أوروبا اليهودية بعد أن قرأ كلاسيكية « كارل ايوجين دو هرنج » : المسألة اليهودية كمسألة حضاره وعادات العرق ·

وبعدما زادت حدة معاداة اليهود فى النمسا ، كتب كتابه المعروف « دولة اليهود » وطرح حل اقامة دولة يهودية ، ذلك الحل الذى يمثل الأساس النظرى والاطار التنظيمى للحركة الصهيونية — ( المراجع ) ·

(★★) **ماكس نورداو ( ١٨٤٩ — ١٩٢٣ )** :

يعد نورداو بمثابة مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية · وقد تلقى فى صباه تعليما تقليديا ثم درس فيما بعد الطب حتى حصل على درجة الماجستير فى عام ١٨٧٥ · وكان من أبرز قادة الفكر الصهيونى فى أوروبا · وقد دعا فى عام ١٩١٩ الى تهجير ستمائة ألف يهودى أوروبى الى فلسطين غير أن مطلبه قابلته المنظمة الصهيونية بالرفض ·

توفى نورداو فى العاصمة الفرنسية باريس فى عام ١٩٢٣ ، ونقل رفاته الى تل أبيب فى عام ١٩٢٦ — ( المراجع ) ·

(★★★) **الصهيونية التصحيحية** : صهيونية استيطانية ذات ديباجة فاشية · واجهت المؤسسات الصهيونية تحديا من الداخل ادى الى حركة انشقاق قادها فلاديمير جابوتنسكى ( ١٨٨٠ — ١٩٤٠ ) زعيم ما يسمى بالتيار التصحيحى · وطالب هذا الاتجاه بضرورة مراجعة السياسة الصهيونية واصلاحها · وهذا التيار تعبير عن محاولة بعض العناصر الصهيونية من شرق أوروبا أساسا أن تطرح جانبا الهيمنة العمالية على عمليات الاستيطان ، وحاول قادة هذا التيار تأسيس مؤسسات استيطانية مستقلة — ( المراجع ) ·

ولكن فى فرنسا حتى الشبيبة التى أثارتها فكرة الإحياء القومى ، لم تختر الهجرة وانما التفت حول فكرة النضـال داخـل الشتـات ، فتضافرت الصحف والجمعيات والخطب لتأييد يهود فلسطين فى جهودهم، دون أن يخطر ببال هؤلاء الصهيونيين الفرنسيين أن يلتحقوا بالرواد فى صحرائهم الحجرية .

فى الأيام الأخيرة من عام ١٩٤١ وفى القاعة المليئة بالدخان فى أحد مشارب مدينة ليون ، تأسست حركة الشبيبة الصـهيونية التى قامت بنشاط سرى وكثيف طوال مدة الحرب . وعلى الرغم من المصـاعب ، نظمت الحركة اجتماعات وفصولا لتعليم العبرية والتاريخ ، كما قامت بدعاية سياسية مكثفة وأنشأت نظاما للانقاذ أمكن عن طريقـه تهريب ألفى طفل الى سويسرا حيث أقاموا فى ريف جنيف ، تحت رعاية الاتحاد الصهيونى ، كيبوتزات حقيقية تدربوا فيها على حياتهم المستقبليـة فى فلسطين .

بعد حرب ١٩٤٨ ، كانت الصهيونية قد غيرت شكلها فقـد أصبح واضحا أن فرنسا لم تعد الملجأ الآمن الذى كانوا يظنونه وحيث أصبحت دولة اسرائيل تمثل المستقبل والأمل لليهودية التى نجت من الحل النهائى ( النازى ) (*) . وفى ١٨ مايو ١٩٤٨ ، احتفلت الطائفة اليهودية بباريس فى فيل ديف بانشاء دولة اسرائيل ، وفى هذا المكان المشحون بالمعانى العاطفية حيث كان يجمع اليهود المقبوض عليهم فى العاصمة قبل ست سنوات ، كان العلم الجديد الذى يحمل نجمة داود يعنى أكثر من أى شىء آخر رمز الدوام .

---

(*) استعمل النازيون كلمة « الحل النهائى » للتعبير عن انهاء مشكلة اليهود فى المانيا ثم فى البلاد الأوربية المفتوحة . وقد كان التفسير الشائع لهذا التعبير أنه يعنى ابادة اليهود فى معسكرات الاعتقال وغرف الغاز الخ . الا أن كتاب « الأساطير المؤسسة للصهيونية » لروجيه جارودى يوضح أن الأرجح هو أن ما كان يعنيه زعماء النازى هو « التخلص » من اليهود ولذلك لم يكونوا يمانعون كثيرا فى تركهم للبلاد ومما يشير الى صحة هذا التفسير القصة التى أوردها ايمانويل هيمان فى الفصل الثامن من هذا الكتاب عن أن زعماء الصهيونية فى المجر كانوا يتفاوضون على « مبادلة » مليون يهودى فى المعتقلات بشاحنات تساعد الألمان فى مجهودهم الحربى وكان هذا هو الاقتراح الأول لأدولف أيخمان ، الا أن الصفقة فشلت لرفض الأمريكان توريد السيارات المطلوبة . ( المراجع ) .

ومع تدفق حركة الهجرة اليهودية من فرنسا الى اسرائيل ، فقد اكتفت الطائفة فى مجملها بأن تؤيد من بعيد بناء الدولة الجديدة ثم منجزاتها ولكن دوافع هذا التعاون تغيرت ، فلم يعد الأمر هو المسارعة كما فى الماضى لمساندة يهود بؤساء يبحثون عن ملجأ وانما الدفاع عن بلد يرغب المرء فى اعلان الارتباط به . وأيا ما كانت الحكومة فى القدس ، فإن اليهودية الفرنسية عبرت بفخر عن تأييدها للشرعية ، وأيدت السياسة الاسرائيلية علانية ودون تحفظ .

وتغير كل شىء بعد اتفاقات أوسلو عام ١٩٩٣ ، اذ أصبح من الضرورى اما تأييد واما معارضة حكومة رابين واختيار أحد المعسكرين دون مواربة .. وشجع هذا الحوار الأرثوذوكس على اعلان معارضتهم الصريحة لدولة تبتعد كثيرا عن التوراة ، ولقى هذا الخطاب قبولا لدى الشبيبة التى اجتذبها التشدد الدينى . وهكذا بدأت الروابط الأخيرة فى التحلل فى صفوف يهودية فقدت الكثير من تماسكها بسبب تفتت القضايا الكبرى التى كانت تلتف حولها من قبل .

وبالتأكيد ، فان اليهودية المنظمة لازالت محافظة على تقاليدها الصهيونية وتؤيد بقاء اسرائيل ، وعلى الرغم من ميوله الأرثوذكسية ، فإن الحاخام الأكبر لفرنسا ، جوزيف سيتروك ، ينتهز أية فرصة متاحة ليؤكد تضامنه مع اسرائيل فى خطب رنانة تصل الى حد الخلط بين الشعب اليهودى والاسرائيليين . وبعد هزيمة فريق كرة القدم الفرنسى أمام فريق اسرائيل فى المباريات التمهيدية لكأس العالم ، أعرب عن رضائه بطريقة مندفعة وبخفة ظل : « لقد تغلب داود على جوليات ، وقد تأثرت الطائفة بذلك بعمق . ان اليهود فريق عظيم ، واستنتاجى الروحى من ذلك هو أنه ان كان ذلك ممكنا ، فكيف يمكن أن نشك فى مجىء المسيح المنتظر ؟ » ومن ناحيته ، يعلن هنرى هايدنبرج رئيس المجلس التمثيلى للمؤسسات اليهودية فى فرنسا رغبته فى تدعيم الحوار بين اسرائيل ويهود الشتات قائلا :

« انني مقتنع بأن الطائفة لن تستطيع المحافظة على هويتها اليهودية وأن تنقل ارثها التاريخي والثقافي للأجيال اللاحقة دون أن يكون لها نقط ارتكاز عميقة باسرائيل » (٣) .

وفي نفس الوقت تزداد الأمور تعقيدا ؛ لأن بعض المثقفين الاسرائيليين لم يعودوا يخفون استياءهم تجاه دياسبورا متنوعة الاتجاهات ويعلنون رغبتهم في قطع نهائي للصلات بين اسرائيل والشعب اليهودي ، فقد أعلن الأديب الاسرائيلي أ. ب. يهوشع (*) أمام الجمعية العامة للمجلس اليهودي العالمي المنعقد في أورشليم في يناير ١٩٩٦ الآتي : « نحن لم نعد بحاجة اليكم ... لننا لسنا بحاجة لنقودكم لأننا في مجتمع تزداد فيه ثروة الطبقة الوسطى بسرعة كبيرة . اذا كان أحد منكم يريد المجيء الى اسرائيل فأهلا ، ولكننا لا نريدكم أن تهاجروا الينا فهذا البلد مزدحم جدا بالسكان ويزداد ذلك كل يوم . كذلك لسنا بحاجة الى نفوذكم السياسي فاسرائيل دولة ذات سيادة تستطيع أن تحل مشاكلها الخاصة بنفسها دون مساعدة » (٤) .

وهو اعلان بهت منه أعيان الدياسبورا هؤلاء الذين يسخرون كل جهودهم اليائسة لتدعيم الروابط الآخذة في الاهتراء بين اسرائيل والشعب اليهودي . صحيح أنه لا يوجد في باريس الكبرى العداء العنيف للصهيونية الذي تظهره الحركات اليهودية المتطرفة في أمريكا أو الأحياء الأصولية في القدس ، فالأرثوذوكسية الفرنسية تتخذ موقف اللامبالاة بالنسبة لاسرائيل . يشهد بذلك الياهو عوزان مدير المدارس الأرثوذوكسية قائلا :

« مشكلة اسرائيل ؟ نحن لا نتحدث عنها في دوائرنا ولا نحدث الأطفال عنها ، انها ليست ضمن برامجنا ولا مناقشاتنا . وبالطبع عندما

---

(★) ولد ا٠ب يهوشع الذى يعد واحدا من أبرز الأدباء المعاصرين فى اسرائيل فى مدينة القدس عام ١٩٣٧ . درس فى الجامعة العبرية خلال الأعوام ١٩٥٨ ـ ١٩٦١ بقسم الفلسفة واللغة العبرية وادابها . وكتب عددا من القصص والروايات من أهمها : « فى مواجهة الغابات » ، و « العاشق » و « مستر مانى » ـ ( المراجع ) .

نسمع أن بعض النواب هناك يطلبون منع قراءة بعض الصلوات فى المدارس لأن هذا يمثل اضطهادا دينيا ، فان ذلك يدفعنا للبكاء .... ولكن نحن فى فرنسا لا نتدخل فى ذلك » .

ويشرح الحاخام دانييل هيمان مدير يشيفا ايبينى سير سين السبب فى معارضة الأرثوذوكسية للدولة اليهودية بشكل مطلق فيقول :

« ان شولحان عاروخ (*) ، أى القانون ، يقف ضد المغامرة الصهيونية بالشكل الذى تمت به ، فليس هناك مبرر على الاطلاق للدخول فى حرب ضد العرب لزرع يهودية علمانية ... كان حاييم فايتسمان أول رئيس لدولة اسرائيل يعتبر أن اليهودية الأرثوذوكسية هى تراب الشتات أو بقايا المنفى وأن على الشعب أن ينفضها عن كاهله ، وأعلن أن الأمة اليهودية الجديدة لن تختلف عن أية أمة أخرى ! لقد انقسم الصهيونيون منذ البدء الى قسمين : أولئك الذين كانوا يريدون التطبيع بين الأمم عن طريق العلمانية والنظام النيابى ، وأولئك الذين يريدون قبل كل شىء أن يسكن الشعب فى أرض اسرائيل ، وكان هذا الصراع دائما مثارا فى المؤتمرات الصهيونية . وفى اسرائيل كون هذان التياران اليمين واليسار ، فاليمين لم يكن لديه فى أى وقت مشروع لانشاء مجتمع وكل ما اهتم به هو الأرض ، أما اليسار فقد اهتم بأخذ مكان بين الأمم وبالتمثيل فى الأمم المتحدة ، وبالتأكيد هذا البرنامج يفترض وجود أرض ولكن هذه مجرد وسيلة . واليهودية الأرثوذوكسية تعارض هذين التيارين : فلا يوجد شىء اسمه تطبيع الجالوت ( المنفى ) ، ونحن لسنا فى الجالوت باختيارنا ولن نخرج منه لمجرد رغبتنا فى ذلك . اذن ، هل نناضل من أجل الدولة لتحقيق تطبيع سطحى ؟ هل يجب أن نصبح علمانيين لنخرج من الجالوت ؟

---

(★) تعنى هذه الكلمة ( المائدة المنضودة ) ، وهو اسم كتاب يحتوى على خلاصة احكام الشريعة اليهودية . ألفه الحاخام يوسف كارو ، أحد حكماء صفد فى القرن السادس عشر ، وينقسم الى اربعة أجزاء . وقد اعتاد اليهود السفاراد اتباع النص الأصلى للكتاب بينما يتبع الاشكناز النص وفقا للتعديلات التى أضافها حاخاماتهم لتتماشى مع تقاليدهم - ( المراجع ) .

بالطبع لا . لقد كان الأرثوذوكس دائما وراء الآخرين بعض الشيء فنحن مرتبطون بأرض اسرائيل ، ولكن ليس من أجل الاهداف التى اختارتها الصهيونية ... انى لا أشعر بأن اسرائيل هى نهاية الجالوت فنحن لم نكسب شيئا لقد رحلنا المشكلة ، لقد خلقنا جيتو كبيراً ، وبدلا من أن نكون تابعين للقيصر أصبحنا تابعين للأمريكان أو لأى مراجع أخرى » .

ويرى الحاخام جيرار زيزيك مدير يشيفا الطلبة بباريس أن الدولة ليست سوى مؤسسة انسانية لا أهمية لها . ويعتقد رافاييل وهو مدرس للمواد اليهودية أن وجود الأرثوذوكس باسرائيل ، يحمى البلاد من الانتقام الالهى الخطير الذى تسببه قلة التقوى لدى الصهيونيين . يقول :

« فى بلد مقدس يجب التصرف بقداسة ، ومع الأسف ! فان سكان اسرائيل لا يتصرفون دائما بقداسة واذا لم نحترم هذه الأرض ، فان هذه الأرض ستلفظنا ... لقد حدثت فيضانات وزلازل فى بعض الأماكن ونشعر بيد الله وراء ذلك . لقد بدأ المنفى فى الماضى بهذه الطريقة ، فقد عصى اليهود توجيهات التوراة ولفظتهم الأرض ! أما اليوم فهناك نوع من التوازن ولهذا لم تلفظ الأرض سكانها بعد » .

ويعتقد السينمائى ريشار ديمبو كذلك أن قداسة أرض اسرائيل تستحق احتراما غير عادى ومصيرا خاصا :

« أعتقد أنه اذا كانت العودة الى أرض اسرائيل تعنى أن نقيم دولة تكون الأكثر أممية بين الأمم ، دولة تعبر عن نفسها باطلاق صاروخ فى الفضاء فان هذا يكون أمرا لا معنى له ولا يهمنى . أن تعيش على هذه الأرض يعنى أن تحترمها ، لو كانت هذه أرضى فان هذا يعنى أن على أن أفعل ما لا يستطيع الآخرون أن يقوموا به ، واذن فلنفعل ذلك ، ولكن هذا لا يعنى بناء جيش . لو أن لاسرائيل هدفاً ومغزى ، فانه يجب أن يكون اقامة دولة تؤكد ضرورة تجاوز فكرة الدولة وأن حديث الأبدية هو الشىء الوحيد الذى له أهمية » .

وكما هو واضح ، فان العالم الأرثوذوكسى يعبر عن عدائه للصهيونية بأشكال مختلفة ؛ ولكن هناك دائما فكرة محددة وراء هذه الخطابات : ان المسيح المنتظر وحده هو المؤهل لاعادة شعبه المتفرق الى أرضه ، وبحسب هذه النظرة ، فان اى تنازل مع دولة اسرائيل يعتبر انحرافا . ومع ذلك ، ففى مواجهة الحقيقة وضرورات الوضع كان لا بد من التساهل ، فأغلب أساتذة الأرثوذوكسية اليوم يقولون انه حيث ان مرحلة العودة المنتظرة للمسيح المنتظر قد بدأت ، فاننا نمر الآن بمرحلة انتقالية ؛ مما يفسر — ويبرر — عودة جزء من الشعب اليهودى الى أرضه . ومن الطبيعى أن هذا لا يغفر ذنوب دولة علمانية أكثر من اللازم ، ولكنه ، على الأقل ، يفسر من وجهة نظر النصوص ، سكوت السماء غير المفهوم وغير المقبول عن محاسبة يهود جربوا أن يأخذوا بأيديهم شئون مصيرهم القومى .

ولتأكيد نظرية عودة المسيح المنتظر ، استخرج الحاخامات من أوراقهم القديمة تقليدا يقول ان المسيح المنتظر سيعود قبل يوم السبت أى قبل اليوم السابع ، وفسر بعض الحكماء أن اليوم السابع فى هذه النبوءة يعنى الألف السابعة من التاريخ اليهودى . وحيث اننا نقترب بهدوء من نهاية الألف السادسة من التاريخ اليهودى ، فان هذا يعنى أننا دخلنا مرحلة الاضطرابات السابقة على عودة المسيح المنتظر وهى مرحلة قد تطول نسبيا بالمقاييس الانسانية ... فكل ما علينا الآن هو أن نصبر قليلا لمدة مائتين وأربعين سنة لنصل الى فجر العام ٦٠٠٠ !

وفى انتظار عودة المسيح المنتظر أوقف الأرثوذوكس التاريخ ووجدوا ملجأ فى اليهودية الغيبية الغارقة فى الماضى . وفى ستراسبورج ينتقد البروفيسور يوسف فانتون مدير قسم الدراسات العبرانية فى الجامعة هذه التقوى المرتبطة بعصر انقضى فيقول :

« ان عالم اليشيفوت الليتوانى هذا لا زال يعيش روحيا فى عالم الشتيتل ، انها عقلية الشتيتل (*) التى لم تفهم حتى الآن المشروع

(★) شتيتل : كلمة بيديشية تعنى « بلدة صغيرة » ، وتعنى أيضا تجمعات اليهود فى شرق أوروبا — ( المراجع ) .

الصهيونى ، انه لا يمل من تكرار الكليشيهات القديمة التى صيغت أيام ظهور الصهيونية، انهم يتجاهلون نجاح الصهيونية ووجود دولة اسرائيل، فى حين أن المنابع المحيية لليهودية التوراتية التى يدافعون عنها لا توجد فى فرنسا أو أمريكا وانما فى اسرائيل ! والمعروف أن المشروع الصهيونى هو الذى سمح باقامة الأكاديميات التلمودية بكثافة فى اسرائيل ! » .

وعلى العكس من العالم الأرثوذوكسى ، تنجذب شبيبة حركة « بيتار » (*) الى الصهيونية المتطرفة : فباسم التقاليد والدين تدعو الى تمجيد القوة والروح النضالية اليهودية . وتحافظ جماعاتها فى باريس وضواحيها ونيس ومارسيليا على شعلة القتال وحلم اسرائيل الكبرى على ضفتى الأردن ، وتستمد طقوس الحركة من التقاليد العسكرية بما فى ذلك تحية العلم والنشيد العسكرى :

من الهوة والوحل والتراب
بالدماء والعرق
سيظهر جنس جديد
فخور ونبيل وقاس

والبطل المعلن لهذه الحركة الوطنية اليهودية يدعى يوسف ترامبلدور (**) المناضل العنيد للصهيونية ، الشجاع بين الشجعان ،

---

(*) اختصار للعبارة العبرية « بريت ترومبلدور » أى حلف ترومبلدور ، وهو تنظيم شبابى صهيونى تنقيحى قام فى بولندا عام ١٩٢٣ ، وكان هدفه اعداد اعضائه للحياة فى فلسطين بتدريبهم على العمل الزراعى وتعليمهم مع التركيز على العبرية والتدريب العسكرى وعلى تلقينهم ايديولوجية واضحة التأثر بالأيديولوجيات الفاشية التى كانت سائدة فى أوروبا آنذاك ، ويدين بيتار عقاءديا بأفكاره الى جابوتنسكى .
وفى بيتار تشكلت الكوادر الأساسية لمنظمة الارجون الارهابية ـ ( المراجع ) .

(**) يوسف ترامبلدور ( ١٨٨٠ ـ ١٩٢٠ ) : زعيم صهيونى أصبح رمزا للجيل القديم من الصهاينة الرواد الذين جاءوا الى فلسطين . ولد لأب جندى فى الجيش الروسى ذهب الى مدرسة دينية قبل أن يدرس طب الأسنان ، وقد أثرت عليه أفكار تولستوى ، وامتزجت بالأفكار الصهيونية ، حيث بدأت تتبلور لديه فكرة المستعمرات الصهيونية المسلحة . وهاجر الى فلسطين عام ١٩١١ ـ ( المراجع ) .

والذى سقط يكلله المجد دفاعا عن المستعمرات اليهودية . وكان قد التحق عندما كان عمره أربعة وعشرين عاما بالجيش الروسى فى الحرب ضد اليابان عام ١٩٠٤ ، وسرعان ما أصبح هذا الشاب الطويل ذو الرأس الحليق والوجه الجامد الملامح البطل لكتيبته ، الذى أنقذ العلم من أيدى العدو ، والذى اختطف قنبلة على وشك الانفجار وطوحها فى اتجاه العدو . وقد جرح فى احدى المعارك وأدى ذلك الى بتر ذراعه اليسرى ، ولكنه عاد الى ساحة القتال بمجرد شفائه من العملية ، وعندما أبدى زملاؤه حزنهم لمصيره ، تحداهم واحدا واحداً لمنازلته ليثبت لهم أنه حتى وهو بذراع واحدة مازال أقواهم جميعا .

وداخل هذا الجندى الشجاع كان يوجد يهودى عميق الالتزام ، فعندما أسره اليابانيون نظم داخل السجن دروسا فى الصهيونية لزملائه المعتقلين من اليهود ليعدهم للهجرة إلى فلسطين بمجرد الافراج عنهم . وبالفعل بانتهاء الحرب ترك المقاتل الشجاع بالجيش الروسى امبراطورية القيصر وتوجه للدفاع عن أرض الموعد . وفى أوائل الحرب العالمية الأولى اقترح تكوين كتائب يهودية لتحارب الى جانب الحلفاء وتطرد الأتراك من فلسطين ، وسافر الى الاسكندرية لاقناع البريطانيين بقبول مساعدة جيش من المتطوعين اليهود . وفى الاسكندرية التقى بفلاديمير جابوتنسكى المناضل والمنظر الصهيونى ، الذى كان ، فى مقابل ترامبلدور المقاتل ، رجلا ذا أحلام لا حدود لها : فقد أعلن أن تركيا كانت على وشك الانهيار وأن الحرب ستعيد رسم خريطة الشرق الأوسط ، وأن على اليهود ألا يتغيبوا عن التغيرات الكبيرة التى توقع حدوثها ، وأن عليهم أن يشاركوا فى الانتصار ؛ حتى يمكنهم المشاركة فى جنى الثمار واعادة بناء الوطن القديم على أرض الأجداد . ولكن كانت هناك لدى الحلفاء اعتراضات كثيرة على وجود ما يشبه جيشاً يهودياً ، وكل ما اقترحوه فى أول الأمر على هؤلاء الشجعان هو تكوين فرقة متواضعة من قادة البغال لتموين الجيوش المحاربة فى الدردنيل ، وقد ثار جابوتنسكى على هذه الاهانة الموجهة الى رغباته القتالية ولكن ترامبلدور هدأ من غلواء الكرامة الجريحة لرفيقه قائلا :

« لا أهمية لمكان توجيه الضربة الى تركيا فكل الجبهات تقـــود الى صهيون ! » .

وفى ١٩١٧ تم أخيرا تكوين الفرقة اليهودية التى تمنوها طويلا وأمكن لليهود بعد ما يقرب من ألفى عام أن يحاربوا مـــرة أخـــرى من أجـــل القـــدس .

ومع انتهاء الحرب لم يعرف تر امبلدور الهدوء والراحة ؛ فقد كان هناك تهديد بعودة المذابح الى روسيا فعاد الى هناك لتكوين جماعات الدفاع الذاتى ؛ ولكن جهوده فشلت بسبب قيام الثورة . وعند عـــودته الى فلسطين علم أن هناك تهديدا من الجماعات العربية المسلحة للمستوطنين فى الجليل فتوجه فورا الى أخطر المواقع بقرية تل حى ، وفى أول مارس ١٩٢٠ سقط جريحا خلال احدى الهجمات العنيفة وكانت كلماته الأخيرة قبل الاحتضـــار :

« ما أعظم أن يموت المرء من أجل الوطن ... ! » .

وبعدها بثلاث سنوات تكونت فى ريجا عاصمة لاتفيا رابطة شباب يوسف ترامبلدور والتى عرفت بالاسم المكون من الحروف الأولى وهو « بيتار » . وقد انضمت اليها العناصر الأكثر حماسا من الصهيونيين فى كل المراكز اليهودية فى أوروبا الوسطى حتى بلغ أعضاؤها عشية الحرب العالمية الثانية ثمانين ألف شاب . وبوصفهم يمثلون نواة جيش يهودى للمستقبل ، كان أعضاء بيتار يقسمون اليمين أن يكرسوا حياتهم لاعادة احياء الدولة اليهودية ويدعون لاحتقار « كلاب اليســـار » ، ويسيرون بخطوات عسكرية فى شوارع الأحياء اليهودية . وكرمز حى اختاروا لهم رئيسا الرفيق القديم لترامبلدور وهو فلاديمير جابوتنسكى الذى وجـــد نفسه ــــ لدهشته الكبيرة بالتأكيد ــــ محلا لتقديس حقيقى . وأصبحت بيتار البوتقة التى تكونت فيها أبرز عناصر اليمين الاسرائيلى ، ومن بين صفوفها خرج رجل مثل مناحم بيجن ، وتلهم ايديولوجيتها آخر السلالة بنيامين نتنياهـــو .

واليوم يتدرب شباب هذه الحركة فى فرنسا على القتـــال ضـــد الفاشيين وجماعات النازيين الجدد الصغيرة البازغة . يقول جاك كوبفر رئيس الليكـــود فى فرنســـا الذى يضـــم تكوينات اليمـــين الاسرائيلى شارحاً فلسفته فى بضع كلمات : « ان مهمتنا هى محـــاربة المعـــادى للسامية وأن نعلمه أننا لم نعد فى الأربعينات وان اليهودى يستطيع أن يحارب وأن دولة اسرائيل قائمة ... نعلمها له بالكلمات وندخـــلها فى رأسه بالمطارق . لم يعد اليهودى هو الذى يخشى أن يلبس الطاقية بل المعادى للسامية هو الذى سيخاف أن يعبر عن مشاعره (٥) . ان شبابنا يحبون الرياضة كثيرا ! » وهذا هو ما اكده لى دون توسع فى التعليق .

ويجهز ستيفان أوليل المسئول عن بيتار ، الشباب للمعارك قائلا : « ان الهدف من التدريب هو تعويد اليهود ابتداء من سن الرابعة عشرة على الدفاع عن انفسهم بصفتهم يهودا ، وكل فرد لدينا مـــدرب على القيام بمهمة محددة فى حالة قيام مظاهرة معادية للسامية ... ان وظيفة بيتار هى الدفاع عن الشعب اليهودى ، فلو كان هناك تهديد من أى اتجاه تجدنا هناك وتجدنا مستعدين لأى احتمال » .

وحتى الثمانينيات كان النشـــاط الرئيسى لبيتار ، موجها بالفعل ضد معاداة السامية . يقول جان بول دريه والذى كان مسئولا حتى سفره أخيرا الى اسرائيل عن فرع الطلاب بالمنظمة ويدعى تاجار ، وعاش تلك الفترة حيث كانت المنظمة تفرض احترامها على المجموعات الصـــغيرة المعادية صراحة للسامية بسلاح التخويف :

« كان الصراع ضد اليمين المتطرف أيامها عبارة عن صراع مستمـــر ضد مجموعات صغيرة هامشية ... كانت هذه الحركات تقوم من وقت لآخر بالتخويف ، فكنا نرد بابراز المخالب ونقوم بغارة تأديبية على احدى الكليات ؛ وكان هذا يكفى لارجاع هؤلاء المعادين للســـامية الى الصف وانهاء المشكلة لبضعة شهور . ولكن الأوضاع تغيرت الآن فقد تحول اليمين المتطرف الى جزء من تيار سياسي واسع بقيام الجبهة الوطنيـــة

وأصبحت المعركة تدور على المستوى القومى فهى تخص المجتمع الفرنسى فى مجموعه » .

وفى تلك السنوات لم يكن دفاع بيتار عن اليمين الصهيونى صراعا من المرتبة الأولى . يقول جان بول بريه انها كانت « تقريبا مرحلة خلت من الصراع السياسى داخل الحركات الصهيونية فى فرنسا » ، فقد كان هناك عمليا هدف مشترك وهو الدفاع عن كيان دولة اسرائيل وكان هناك أعداء مشتركون : منظمة التحرير الفلسطينية والبلدان العربية والاتحاد السوفيتى المعادى للسامية والمعادى للصهيونية ثم انهار هذا الاجماع .

يذكر جان بول دريه : « حدث التغير ببطء ، وبعد حرب لبنان فى ١٩٨٢ حدث شرخ فى صفوف الشعب اليهودى وظهر خلاف سياسى يهودى — يهودى ... وعلى نطاق العالم وقف البعض يندون بشدة باجتياح الجيش الاسرائيلى للبنان ، بل تجرأ بعضهم وأعلنوا أنهم يخجلون من كونهم يهودا ! وفى باريس قامت مظاهرة للشباب أمام السفارة الاسرائيلية احتجاجاً على حرب لبنان . وفى اسرائيل بحث من عارضوا سياسة حكومة اليمين عن اتصالات فى كافة أنحاء العالم واستخدموا الشتات اليهودى كصندوق رنان لتكبير معارضتهم لحكومة بيجين . وخفت هذه الاصطدامات قليلا بعد انتهاء حرب لبنان ولكنها اشتدت مرة أخرى بدءا من ١٩٨٧ والانتفاضة ... وهكذا خلق اليسار الاسرائيلى شرخاً داخل صفوف الشعب اليهودى لأسباب سياسية صرف ، لقد تجاهلوا مبادئنا دون أن يهتموا بالنتائج ، غير أن ردود الأفعال التى تفجرت بعد مقتل إسحاق رابين كانت بالغة الحدة . وقد حاولنا مناقشة من أيدوا موقف ايجال عامير قاتل رابين بغرض اقناعهم بأنه ليس من الممكن بأى حال من الأحوال تأييد هذه الجريمة .

وإذا كان جان بول دريه قد اختار العيش فى اسرائيل الا أنه يرفض بشدة شكل الدولة الذى اقترحه اليسار :

« ما المبادىء التى تدفعنى للهجرة الى اسرائيل » اذا استمعت لأقوال شخص مثل بيريز يعدنا بأن اسرائيل ستكون فى المستقبل مركزا لشرق أوسط مزدهر ؟ ماذا يفيدنى هذا ؟ لو وضعت الحجج الاقتصادية امامى فى الميزان لفضلت البقاء فى فرنسا ؛ أريد أن أعيش فى دولة يهودية ، فى دولة أنشغل بما يحدث بها يومياً ، فى دولة أعيش فيها فى حالة تداخل دائم مع المحيطين بى ؛ لأننا نعيش معا نفس المشاكل ونفس المشاعر ونفس الاحباطات ونفس الأوهام ونفس التقاليد ... ان ما يهمنى هو أن أعيش فى بلد يحافظ على القيم التى احتفظنا بها لثلاثة آلاف عام ، بلد قائم على أساس ثقافتنا وفى وسط شعب مستعد للدفاع عن قيمه وان يحيى المجتمع الذى بعثره الرومان فى أنحاء العالم » .

وكما هو واضح ، فان معنى الصهيونية الفرنسية نفسه يتغير ، ويتم حاليا استيراد الخلافات الاسرائيلية وتتحول الطائفة الى حيز مغلق تجرى فيه دون طائل الصراعات السياسية التى تجرى فى القدس . وهكذا تركز كل نشاط بيتار منذ ١٩٩٣ حول معارضة العملية السلمية وحكومة اليسار ، فقد عارضت الحركة كل الوزراء وكل أعضاء الكنيسيت الذين عبروا عن مواقف غير دينية أو متعاطفة مع الفلسطينيين، الى درجة الشوشرة على أحد الوزراء الاسرائيليين عند زيارته لباريس .

يقول جاك كوبفر : « لقد تغير الخطر اليوم ففى الماضى كان مصدره المحتمل عدوان مادى من اعداء السامية ولكن مصدره اليوم هو حالة الترهل وفقدان النخاع الشوكى ، حالة فقدان الهوية لليهودية يدفع اليها اليساريون الذين يريدون الهروب من اليهودية ... » .

وتؤدى هذه المعارضة « لليسارية » الى العودة للقيم الروحية ، ومن هنا موقف بيتار : داخل العالم الأرثوذوكسى الفرنسى لا يمثل التيار الصهيونى بشكل نظامى ، فتوجد فعلا حركة للشباب تسمى ( بنى عكيفا ) وهى تربط منذ نصف قرن بين الصهيونية والدين ؛ ولكن خطها التقليدى لم يعد يناسب التوجهات الجديدة للقومية المسيانية . ويشرح دانيل ليفى الذى كان حاخام كريملان بيسيتر وهو يدرس اليوم باحدى مستوطنات يهودا والسامرة هذا الفراغ بقوله :

« ان الصهيونية الدينية (*) تكاد لا توجد خارج اسرائيل ، فأولا هناك جهل بنظرية الصهيونية الدينية فى فرنسا ومؤلفات الحاخام كوك (**) غير مترجمة للفرنسية ، وأولئك الذين يريدون العودة الى الدين يغلقون على أنفسهم ويعيدون خلق الجيتو ، ولكن بصفة خاصة نحيث ان الصهيونية الدينية هى حركة فاعلة ، فان الناس يرحلون الى اسرائيل ! ان المتدينين غير الصهيونيين يبقون فى فرنسا ولكن المتدينين الصهيونيين يكونون كوادر تهاجر الى اسرائيل ... » .

وتواجه بيتار نفس المشكلة ، فاذا كان تحريك ارادة الشباب يعنى رحيلهم ، فان هذا يعنى ضرورة تكوين وتعبئة كادرات جديدة للحركة باستمرار . يقول جاك كوبفر :

« ان ميزة بيتار تكمن فى أنها حركة صهيونية حقيقية بمعنى أنها عندما تتقوى فان شبابها تكون لديهم قوة دافعة كبيرة وهذا يؤدى الى هجرتهم لاسرائيل . وخلال السنتين الأخيرتين رحل مائتان وثلاثون من شبابنا ... (٦) » .

ومع ذلك ، فاليمين الاسرائيلى المنظم جيدا مستمر فى فرنسا كما أن طابعه الدينى آخذ فى الازدياد ، فمنذ عامين تقرر — احتراماً لقداسة يوم السبت لدى اليهود — نقل أنشطة بيتار من يوم السبت الى الأحد ، تحت ضغط الشباب الذين يريدون احترام عطلة السبت ، ويعى جاك كوبفر هذه الحقيقة جيداً :

---

(★) لا تختلف الصهيونية الدينية عن نظيرتها غير الدينية الا فى التفاصيل ، فكلتاهما تحاول تبنى الافكار الدينية التقليدية ومصطلحات الدين اليهودى بعد تفريغها من كل الزام خلقى مع تاكيد بعدها العرقى . ولانجاز هذا الهدف اعاد المتدينون صياغة الشريعة اليهودية على نحو يتماشى مع عملية الاستيطان اليهودى . ويعبر الحاخام كوك عن الفكر الدينى الصهيونى خير تعبير — ( المراجع ) .

(★★) الحاخام كوك : ولد كوك فى شمال روسيا عام ١٨٦٥ م . تلقى فى صغره تعليما تلموديا - وحين بلغ الثالثة والعشرين من عمره أصبح حاخام . وفى عام ١٩٠٤ ، هاجر الى فلسطين وأصبح حاخام ليهود يافا . وفى عام ١٩١٤ سافر الى أوروبا للاشتراك فى الاجتماع الكنسى العالمى ممثلا عن أجودات يسرائيل . وشغل منصب كبير حاخامات الطائفة اليهودية الاشكنازية فى فلسطين منذ عام ١٩٢١ وحتى وفاته فى عام ١٩٢٥ م . ( المراجع ) .

« لقد كان أعضاء بيتار دائما تقليديين دون التركيز على الشعائر .. واليوم أصبحت الحركة اكثر تدينا بفضل الشباب الذين ينضمون اليها، ولكن هذا يتمشى مع تقاليدنا فبيجن كان يحترم يوم السبت ودرس فيه النصوص مع الحكماء والحاخامات ... ان جذورنا عميقة الارتباط بالتوراة والتى منها نستمد مطلب العودة الى أرض اسرائيل ، وكذا فكرة العدالة الاجتماعية وفكرة الشعب اليهودى الفخور بنفسه والقادر على القتال والدفاع عن أرضه » .

وتختلف هذه الحركة عن الأرثوذوكسية اللاصهيونية وتوجه كل هجومها الى اليسار ، يقول جاك كوبفر :

« ان مشكلتى ليست مع الأرثوذوكس وانما مع كل أولئك المتجهين الى اليسار الذين اخذوا عن ماركس مسيانية منحرفة ، مع أولئك المخدوعين الذين يعتبرون أن اهم شىء يفرحهم ، هو أن يسمعوا انه قد أقيم فى اسرائيل معسكر للاجازات يضم يهودا وعربا معا ... وهم فخورون بذلك لغبائهم ! ان الجميع ينادون بالسلام ولكن أعتقد انى ادافع عن السلام اكثر من أولئك القوم ! انهم يؤيدون عملية يسمونها عملية السلام ؛ ولكنها عملية تصفية اسرائيل .

ما دور أعضاء حزب العمل اليوم فى الحركة الصهيونية ؟ ماذا يفعل فى هذا المعسكر من يؤيد عملية تهدد تحرير أرض اسرائيل ومركزية القدس ؟ ، ومن يعارض ما يسميه الأصولية كما لو كانت الأصولية اليهودية تقتل ؟ ، من يعتبر ان دولة اسرائيل يجب أن تكون دولة مثل غيرها ؟ ان هؤلاء القوم لم يعودوا يحلمون ولم تعد لديهم ارادة ... يجب انتزاع روح الجيتو من بعض الاسرائيليين وخاصة من حزب العمل، لقد تخلصوا من الجيتو بأجسامهم ولكنهم لم يخرجوا الجيتو من انفسهم ! انهم مازالوا أشباه يهود محتاجين للحماية ، انهم فى حاجة الى موافقة العم سام والى التصفيق فى الأمم المتحدة ، انهم محتاجون الى جائزة نوبل ، انهم محتاجون أن يكونوا محبوبين . أما انا فلا يهمنى أن يكون الشعب اليهودى محبوبا انى أريده فقط أن يكن محترماً » .

هذه المعركة ضد اليسار فقدت الكثير من مبرراتها بانتخاب نتنياهو، فانتصار الليكود قد دفع اليمين الصهيونى الى داخل المؤسسة الحاكمة وعليه الآن أن يؤيد الحكومة القائمة . ولكنه رغم ذلك يتابع نشاطه الثابت من أجل اسرائيل الكبرى : ففى شهر أغسطس من كل عام تخترق قافلة من الحافلات يهوذا والسامرة ، حاملة ألفين من يهود فرنسا الى مدينة حبرون (الخليل) ، حيث يلوحون بأعلام اسرائيل الزرقاء والبيضاء أمام السكان الفلسطينيين المستفزين، حيث يعتبرون أن من واجبهم أن يؤكدا الوجود اليهودى ويعبروا عن تصميم يهود الشتات على عدم التخلى عن الأرض المقدسة . ثم يقومون بالترنم أمام اليشيفا وملفات التوراة المقدسة التى أخرجوها من صندوقها الثمين ، وبعدها يستقلون الطائرة عائدين الى باريس حيث الحياة الآمنة ...

# أبـواق صـهيون

## ( أو الأرثوذوكس فى أسرائيل )

توجد فى القدس اكاديمية تلمودية تؤهل طلبتهـا لمهمة خاصة ، هى إعداد الكهنة الذين سيقومون بالخدمة فى الهيكل الكبير عند اعادة بنائه انهم لن يرتدوا الرداء الكهنوتى الأبيض لأنهم ليسوا من قبيلة كوهين التى لأبنائها وحدهم شرف الخدمة فى بيت الاله عندما يقف بكل مجده على جبل صهيون ، وسيكتفون بدور الموجهين لخدام الرب .

وللاستعداد لهذه الأيام المجيدة يعكف الحاخامات عـلى دراسـة نصوص التوراة ؛ لاستخراج أدق التفاصيل لكيفية أداء الطقوس الالهية كما كانت تمارس فى مملكة اسرائيل منذ ثلاثة آلاف عام . وبكل الصبر والعناد يعيدون صياغة أدوات العبادة ، ويجمعون الأوانى النحاسيـة لتلقى دماء الذبائح وكئوس حفظ السوائل المقدسة وأبواق النداء فى الاحتفالات ... وعلى بعد خطوتين من حائط المبكى أقيم متحف صغير لعرض أدوات العبادة هذه على الجماهير المتلهفة ، ويأمل الحاخام مناحم ماكوفر الأمين على هذه المجموعة العجيبة ، أن يقوم يوما باخراج هذه الأدوات من دواليب العرض الزجاجية ؛ لينقلها الى الهيكل بعد اعـادة بنائه ويقول :

« عـلى النـاس أن يقومـوا ببنـاء الهيكـل ، وهى احـدى ( الوصايا الالهية ) ، ولا يجب أن ننتظر معجزة الهية ؛ ولـكننا لا نهتم

« ان احدى الوصايا الرئيسية للتوراة هى احترام الأبناء للآبـاء ، تقول الوصية الخامسة : « أكرم اباك وأمك لكى تطول أيامك عـلى الأرض » ... أما عند الأرثوذوكس فأول شىء يطلب من المراهق القيام به كشرط لعودته الى الدين فهو أن يقطع كل ارتباطاته العائلية اذا اعتقدوا أن أبويه بعيدان عن التدين . ومن ثم ، فالحاخام وهو وحده الذى يمثل السلطة والذى يتخذ كل القرارات ، ان هـؤلاء الشبـاب يتعرضون لعملية غسيل مخ حقيقية ! انهم يخضعون لنظام صارم فى المعاهد الدينية حيث يتعرضون لكل أنواع الضغوط النفسية ، وخلال أسبوع واحد يتغيرون تغيرا كاملا ويخرجون وقد فقدوا ذكاءهم ولم يعد ممكنا التعرف عليهم » .

والبروفيسور يعرف عما يتحدث ، فابنه هو شخصيا قد قطع علاقته بعائلته بعد أن قرر أن يسير طبق قواعد التوراة . وان كان لا يتحدث عن مأساته الشخصية الا انه يلوح بخطاب وصله من بالتيمور : « لقد فقدت أربع بنات وثلاثة أبناء أصبحوا جميعا من اللوبافيتش وتزوجوا من لوبافيتش ومعهم اثنان وعشرون حفيداً من اللوبـافيتش ، لعلـه فيروس أصاب أبنائى وازواجهم ، ولكن ليس من المؤكد أنـه أصـاب الأحفاد . لم احضر أيا من زيجاتهم ولا اى ختان ، وعندما كنت بالصدفة موجوداً عند ولادة أحد الأحفاد طلب منى مغادرة المكان ، لقـد حرمت لسنوات من رؤية الأحفاد ولكنهم بدءوا يكبرون الآن ، وأكبرهم سيحتفل بعيد ميلاده الثامن عشر ولا توجد قوة فى العالم ولا حتى المسيح المنتظر نفسه تستطيع منعه من ترك والديه والحضور لزيارتى » .

وهذا النوع من الشهادات يصل يوميا الى دان مالر ، ففى عشية مقابلتى معه وصله نداء تليفونى من أم لصبى عمره سبعة عشر عامـا وقع فى حبائل حاخام متطرف . ولقد بدأ المراهق بلبس طاقية ، ثم فرض على العائلة تناول الطعام الكاشير وتزداد اشتراطاته كل يوم ، ولكـن هذه الممارسات لم تجلب له السعادة فبعد أن كان طالبا مجدا ذا طبيعة منفتحة ومحبوبا ومحبا للرقص ، أصبح منطويا على نفسـه صمـوتا وضائعاً ...

بالوسائل السياسية التى يمكن أن تتحقق بها هذه النبوءة عمليا ؛ ولكننا نستعد فقط لذلك الحدث » .

وتقتصر هذه الفولكلورية الساذجة بعض الشىء حاليا على عرض مجموعة متنوعة من الأشياء التى تجتذب اهتمام السياح المهتمين بتاريخ التوراة ، أو اعطاء المدرسين فرصة شرح درس عن التاريخ القـديم للمدينة المقدسة ، ولكن الحاخام ماكوفر لا يشك لحظة واحدة فى أن الجامع ذا القبة الذهبية والمقام على نفس الصخرة التى أقـام عليهـا الملك سليمان مركز العبادة العبرانية فى التاريخ القديم ، هذا الجامـع سيدمر ليقام مكانه هيكل القدس الجديد المعاد بناؤه بكل فخامته .

يرى البروفيسور دان مالر أن افتتاح هذه اليشيفا التى يقوم كـل تعليمها على اعادة بناء الهيكل الثالث ، يكشف حالة الهذيان التى تسيطر على العالم الأرثوذوكسى فى اسرائيل . منذ خمسة عشر عاما يخصص دان مالر جراح التجميل الشهير وزوجته صوفيا ، كل وقت الفراغ لديهما وجزءا كبيرا من جهدهما لجمعية مناهضة القهر الدينى ، وهذه الجمعية التى تعادى الدين صراحة لها ثلاثة أهداف : دفع الكنيسيت الى اتخاذ اجراءات تحد من المغالاة فى فرض الدعوة الدينية ، وكشف حقيقة العالم الأرثوذوكسى أمام الرأى العام ، ومساعدة العائلات التى تتعرض لقهر دينى . ولقد حقق البروفيسور مالر نجاحات كبيرة بجهوده كان مـن أهمها اقرار البرلمان الاسرائيلى قانونا يمنع الدعاية الدينية فى المدارس والجيش ، فحتى ١٩٨٦ كان دعاة الأرثوذوكسية يتصيدون فرائسهم فى فصول المدارس أو كانتينات الثكنات وكانوا يستطيعون دون اية مساءلة أن يدفعوا العناصر الضعيفة الى الالتحاق باليشيفا . ومنذ ذلك التاريخ أصبح فى امكان المدافعين عن حرية الفكر أن يعتمدوا على القانون لكبح جماح الأصوليين .

واليوم ، ينحصر الكفاح اليومى للبروفيسور مالر على الأغلب فى مساندة واسداء النصح للعائلات الممزقـة ، فإن التوبة كثيراً ما تؤدى إلى حفر هوة بين الآباء والأبناء ، يقول :

« وطلبت منى هذه المرأة الملتاعة النصيحة فهى تخشى أن تفقد ابنها نهائيا ان هى لم تسايره حتى النهاية فى اتجاهه المتشدد . وبدأت بالرجوع الى مواد القانون لأعرفها بحقوقها القانونية ، فمن حقهـا أن تمنع هذا الحاخام المتطرف من الاتصال بابنها القـاصر ، ثم أرسـلت الجمعية فورا الى الشاب مدرسا تقليديا متعمقا فى دراسة التلمود يمكنه أن يكشف له طريقا أكثر تعقلا لممارسة الدين ، ولا شك فى أن هذا الشاب سيصل قريبا الى طريق الدين القويم ... ومع الأسف ! فكثيرا ما نصل الى هؤلاء الشباب بعد فوات الأوان ، اذ أنهم كثيراً ما يخفون تجنيدهم لمدة طويلة بناء على نصيحة الحاخامات انفسهم ! فهؤلاء المرسـلون كثيراً ما يعملون فى الخفاء ويطلبون من الشبـاب ألا يخبروا عائـلاتهم « لأنهم لن يفهموا » وعندما يكتشف الوضع يكون من الصـعب على الضحية التراجع » .

ويعرض على دان مالر ملفات مملوءة بالخطـابات والشـهادات وقصاصات الصحف وجميعها تحكى مآسى عائلية على خلفية دينية ، لأن تطبيق الشريعة اليهودية على نحو متشدد فى نهايـة قرننا العشرين ، لا بد أن تنتج عنها مآس غير معقولة ويصعب الافلات من نتائجها .

ان الديمقراطية الاسرائيلية رهينة فى براثن رجال الدين ، فإن اللبس المحيط بالفكرة الأيديولوجية « للدولة اليهودية » يؤدى الى سيطرة الهيكل على السلطة الزمنية . وبعض هذه المظاهر يتخذ طابعاً فولكلوريا ليس له نتائج هامة ، مثل اجازة يوم السبت والعمل يوم الأحد أو استخدام نجمة داود الحمراء بدلا من الصليب الأحمر ، ولكن اشكالا أخرى من حـالة الانصهار بين الدين والدولة تضغط بثقلها على حياة المواطنين ويصعب تقبلها فى أمة حديثة .

ونظراً لأن الحاخامات يسيطرون على أوضاع الحالة المدنية للمواطنين، فانه لا يمكن دفن الميت الا بعد اعلان انتمائه الدينى ، حيث ان المدافـن مقسمة بدقة حسب الأديان ، بل انه خصصت مدافن خاصـة للحالات الملتبسة مثل الذين يعتبرون أنفسهم يهودا ولكن الحاخامات لا يعترفون

بهم . والأمر أسوأ فيما يختص بالزواج ، فالمحدون عليهم السفر الى الخارج ليتموا الزواج ، والطلاق يتم حسب الشريعة اليهوديـــة بارادة الزوج وحده . ولو تخلى الرجل عن زوجته دون أن يطلقها ، فانه يمكنه أن يتزوج بأخرى وينجب منها أطفالا شرعيين فى حين يعتبر أبناء الزوجة غير المطلقة من رجل آخر أبناء غير شرعيين ، ومثل هذا الوضع لا يهم فى الشتات حيث ينظم القانون المدنى الأوضاع ، أما فى اسرائيل فمثل هذه الحالة تعتبر خروجا على الدين . وكثيرا ما تســمح المحــاكم الحاخامية التى تتحيز عادة للرجال ، بالزواج الثانى للرجــل — دون قيامه بتطليق الزوجة الأولى — لأسباب واهية مثل رغبته فى انجــاب وريث ذكر أو أن شكل الزوجة لم يعد جذابا أو أنها لا تجيــد الطبخ . بل ان الحاخامية الكبرى لاسرائيل قد نشرت قائمة سوداء تتضمن أربعة آلاف اســم لمواطنين ومواطنــات شرفــاء لن يســمح لهم بالزواج : لأن اسلافهم مشكوك فى يهوديتهم ، أو لأنهن نساء متهمات بالخيانــة الزوجية ، أو انهم ينحدرون من نسل الكهنة وهؤلاء تسرى عليهم بعض القيود فى الزواج ، هذه بعض المبررات لهذه القائمة العجيبة . ويسمح الزواج المــدنى فى أى بلد ديمقــراطى بالالتفاف حــول التعقيــدات الأرثوذكسية ، ولكن هذا النظام غير موجود فى اسرائيل وكل محاولة لادخاله تواجه بصراخ الحاخامات بأن هذا معناه فقدان الهوية اليهودية. وتضطر السلطات القضائية العليا أحيانــاً للتدخــل لوقف المخــالفات الصارخة التى تنتج عن التطبيق الأعمى لقوانين الشريعة ، فقد نقضت المحكمة العليا بحكم اعتبره النائب العام زيف فــاينر « ثوريا » قراراً لمحكمة تل أبيب الحاخامية فى قضية طلاق ، حيث اعتبرت أن فيه اعتداء على أبسط مبادىء العدالة . فحيث ان الشريعة اليهوديــة لا تعطــى الزوجة فى حالة الانفصال الا المبلغ المتفق عليه فى عقد الزواج كمؤخر الصداق ، فقد حرمت احدى السيدات من نصيبها من الثروة التى حققتها هى وزوجها أثناء حياتهما المشتركة . وقد قضى الحكم المدنى بقســمة أكثر عدالة مما أغضب السلطات الحاخامية وكذلك الحــزب الوطنى الدينى ، وبعد الانتخابات الأخيرة أعلن الرجل الثانى فى الحزب شاؤل ياحلوم : « اننا ننوى تدعيم الحاخامية فى كل ما يتعلق بشئون الزواج

والطلاق والدفن ، وستعمل على احترام قداسة يوم السبت ، لقــد منحت المحكمة العليا نفسها من السلطات أكثر مما يجب ... » .

ان نمو العالم المتدين فى اسرائيل يؤدى كذلك فى الحياة اليومية الى مزيد من المتطلبات للأرثوذوكس ، فمنذ بعض الوقت زودت أتوبيسات شركة دان الثلاثة آلاف بلوحة كتبت عليها الصلاة الخاصــة بأخطــار الطريق ، وقامت شركة ايجيد المنافسة بتعيين « استشارى أرثوذوكسى» لمراجعة الاعلانات المكتوبة على السيارات بكل دقة ! وأخطر من ذلك التدخل فى الحفائر الأثرية : فيجب اتخاذ كل الحيطة حتى يستطيــع الأثريون التنقيب فى جبانة أثرية فيعملون سرا وأثناء الليل والا قــامت قائمة العالم الأرثوذوكسى بكامله ! فعندما اكتشفت جبانة أثرية قــرب بوابة يافا بالقدس فى يناير ١٩٩٣ تظاهر ثلاثون ألف متدين ضد هــذا التدنيس للمدافن القديمة ، فالأجساد يجب أن تبقى فى راحتها الأبديــة لحين يوم القيامة الموعودة .

وهناك مطالب أخرى للمتدينين تتحقق بدرجات متفاوتة : فطائرات شركة الخطوط الجوية ( العال ) لا تعمل أيام السبت وذلك فيما يخص الركاب فقط ، اذ يبدو أن قوانين الشريعة لا تهتم بطــائرات نقــل البضائع ؛ وتجرى عمليات الاجهاض الممنوعة سرا ؛ ويجرى التشريح سرا فى المستشفيات ... فالمجتمع المدنى يقاوم .

ودان مالر يعتبر الأرثوذوكسية مرضا روحيا حقيقيا ، ويشرح فكرته بأن يقص على كيف لجأت اليه شابة عمرها ثمانية عشر عاما هاربة من أسرتها بعد عده أيام من التسكع فى أماكن مختلفة ، فاتصل بوالدتهــا تليفونيا لطمأنتها وكان كل ما سألت عنه هذه السيدة الأرثوذوكسيــة عندما ابلغت عن ابنتها الغائبة هــو : « وهــل تتنــاولون الطــعام الذى تحله الشريعة اليهودية ؟ » !! .

وكثيراً ما يؤوى آل مالر فى الفيلا الجميلة التى يسكنونها فى أحــد أحياء تل أبيب الراقية شبابا هاربين من الدين ، وفى اسرائيل لا يتحدث أحد عن تخلى كثير من شبيبة الأوساط الدينية عن الايمان ومع ذلك ،

فالأمر يجب أن يقلق التربويين والعلماء النفسيين : فهؤلاء الشباب ينتقلون الى عالم يجهلون عنه كل شيء ، فهم لم يدرسوا لا الرياضيات ولا التاريخ ولا الجغرافيا ، وهم يدخلون العالم الزمنى دون أى تدريب ودون أية امكانية للعثور على عمل . طلب شاب عمره ثمانية عشر عاما تـرك اليشيفا من دان مالر أن يريه جبلا :

« أعرف أنه توجد جبال فقد قرأت عنها فى التوراة ولكنى لم أر جبلا من قبل ... » !! .

وتعطل هذه الأوضاع كثيرا عملية اعادة الادماج فى المجتمع ؛ مما دفع الأرثوذوكس السابقين الى تأسيس جمعية للمساعدة المتبادلة ؛ لـكى تعرف الهاربين من التوراة بمبادىء الحياة اليومية وأطلقوا على جماعتهم اسم ( هليل ) ، وهو حكيم عاش فى القرن الأول قبل الميلاد وتقول التقاليد انه كان يختصر تعالم اليهودية فى عبارة واحـدة من سـفر اللاويين : « أحب قريبك كنفسك » .

واذا كان هناك شباب يتخلون عن اليشيفوت بشكل منتظم ، فـان الهجرة الدينية تغذيها باستمرار ، وفى رأى دان مالر فان يهود الشتات يتجهون الى ارسال أبنائهم المنحرفين أو المدمنين الى المدارس التلمودية :

« وهكذا يحلون مشاكلهم العائلية دون أن يعلم المحيطـون بهـم بالأمر ! ولكنهم يبعثون الينا بمشاكلهم ... انهم يدفعون مبالغ كبيرة للتخلص مما يؤرقهم ؛ ولكن بدلا من ارسال نقودهم الى المستشفيات أو المؤسسات الأخرى المفيدة ، فانهم يدعمون التطرف الدينى » .

ويعتبر ارسال الأبناء المضطربين الى المدارس الدينية مصدر راحة نفسية لكثير من الآباء فى الشتات ، أفلا يعطى العالم الأرثوذوكسى صورة جميلة عن الصفاء والدراسات المتعمقة والحكمة ؟ انها مجرد واجهـة متفائلة وخادعة وفى الخلفية توجد جماعات متباينة تضـم عصاتهـا ومنحرفيها، جماعات تشتمل كغيرها على اللصوص والمزورين والنصابين.

يقول دان مالر : « ولكن الحريديم » (*) أو « من يخافون الله » يخفون هذه الحقائق ، اذ ان لهم قانونهم الخـــاص ومحـــاكمهم الخاصـــة . والأرثوذوكسي الذى يتعرض لاعتداء من أرثوذوكسي آخر ليس له الحق فى الشكوى للبوليس، بل ان عليه أن يلجأ للمحاكم الحاخامية وأية مخالفة لهذا القانون الصارم لها عقوبتها الرادعة ، فهو يعتبر متعاونا مـــع السلطات ويستحق الحرمان الدينى ، وهذا الحرمان معناه ألا يتحدث اليه أحد من جماعته أو يسير الى جانبه أو يبيعه شيئا ، بل انه يمنع حتى من دخول المعبد ، ويعلن اسمه على الطائفة بنشره فى لوحات علنية ... ويستمر هذا الوضع اللعين ربما سنوات حسب خطورة التهمة ، بل ان البعض يفرض عليهم ترك البلاد » .

وتنشر الصحافة الاسرائيلية بانتظام نتائج هذه الأحكام المخجلة ، وفى أبريل ١٩٩٦ أصابت لعنة الحاخامات الأرثوذوكس امرأة اتهمـــت « بالتعاون » مع السلطات القضائية وطردت بناتها مـــن مدرســـتهن الدينية ... ولماذا كل هذه الشدة ؟ لأن السيدة تجرأت وشكت زوجها للسلطات القضائية ، بعد أن اكتشفت أن هذا المدرس التقى المنتمى إلى جماعة ( بينى براك ) يعتدى جنسياً على بناته شخصياً !! .

كان اليهود يعيشون فى الشتات منطوين على أنفسهم فى الجيتـــو أو الشتيتل او حارة اليهود ، وكانت علاقاتهم بالعالم الخارجى ضعيفة . فحتى نهاية القرن التاسع عشر كانت اغلبية اليهود البولنديين يتحدثون باليديش (**) ولا يتقنون البولندية ؛ أما يهود شمال أفريقيا فالقليل منهم كانوا يتقنون العربية ، ففى نشاطهم المهنى كانوا يتحـــدثون الفرنسية

---

(★) الحريديم : تعنى هذه الكلمة اليهودية ( المتدينون المغالون فى التشـــدد ) ، والذين يعادون الصهيونية ويكفرون الدولة ويعيشون فى عزلة جيتويه ، وهم ليســوا كالمتدينين العاديين اذ يرتدون ملابس سوداء ، وغطاء رأس اسود ، ويطلقون لحاهم ، ويعيشون فى جو القرون الوسطى ويتحدثون الييدش — ( المراجع ) .

(★★) تعد لغة الييدش التى يستخدمها بعض اليهود والاشكناز حتى الآن من بين السمات المميزة لهم ، وهذه اللغة خليط من المانية العصور الوسطى والسلافية ، وتكتب بالحروف العبرية — ( المراجع ) .

أما فى المنزل فكانت لهم لغتهم اليهودية ــ العربية (*) . أما المجتمعات المسيحية أو المسلمة المحيطة بهم والتى كثيرا ما كانت معادية ، ودوما كانت تنظر اليهم باحتقار(**)، فقد كانت بشكل طبيعى تمثل لهم الشر وتضع أمامهم حائطا لا يمكن تخطيه ، ويمنع أولئك الذين قد يدفعهم الفضول من محاولة التسلل الى الخارج للتأكد مما اذا كان العشب هناك أكثر اخضرارا .

فى اسرائيل ، لا يسكن الى جانب الأرثوذوكس أناس معادون للسامية، ولا يمنع اغراءات العالم الخارجى وجود قوم سيئى النية يعيشون وراء حائط الجيتو ، فهؤلاء القوم غير الملتحين والذين لا يلبسون الطاقية هم يهود كذلك وحتى أن كانوا مختلفين فانهم يشبهونهم رغم كل شيء ، لقد سقطت الحواجز المادية ، وبذلك فقدت لغة الانطواء والخصوصية الكثير من مبرراتها ، ولحماية نفسه ، يضطر العالم الأرثوذوكسى الى الانطواء فى حمى قواعد أشد صرامة وأشد تطرفا ؛ لأنها الضمان الوحيد لاستمرار هويته الدينية دون مساس ، لقد نشأت جيتوات جديدة أكثر انغلاقا نظرا لازدياد خطر الاندماج فى البيئة المحيطة . وأحيانا تعود الكليشيهات القديمة الى الظهور وذلك من باب السهولة أو الكسل الذهنى أو الروتين التاريخى ، فالأستاذ كوبى آمستر المستشار القانونى لعصبة معاداة التشهير وهى جمعية أرثوذوكسية ، قد وجد من المناسب أن يتحدث عن « الأعمال المعادية للسامية » (١) عند حديثه عن الهجوم الأيديولوجى الذى يتعرض له المتدينون فى اسرائيل .

من ضواحى تل أبيب ( بينى براك ) ، مدينة يسكنها مائة وأربعون الفا جميعهم من الأرثوذوكس ، وفى يوم السبت توضع حواجز فى الشوارع لمنع السيارات من اقلاق الراحة فى اليوم المقدس ...

---

(*) اليهودية العربية : استخدم اليهود بعد دخول الاسلام للبلاد العربية المطعمة ببعض الكلمات العبرية . وكانوا يكتبونها بالحروف العبرية . وشاعت هذه اللغة فى أوساط يهود العراق واليمن ـ ( المراجع ) .

(**) يخالف الباحث فى هذا الموضوع الحقيقة التاريخية اذ يرى معظم الباحثين المتخصصين فى دراسة تاريخ يهود البلاد العربية مثل جزء لا يتجزء من المجتمعات الاسلامية وانهم نعموا فيها بالتسامح ، بل وتقلدوا فيها ارفع المناصب السياسية والاقتصادية ـ ( المراجع ) .

ولكن هذا الطلاء البراق يخفى مجتمعا جامدا غير متسامح وعنيفاً ، ففى أواخر ١٩٩٥ أحرق كشك الصحف فى احد الشوارع الرئيسية والسبب هو ان البائع تجرأ وعرض الى جانب الصحف الأرثوذكسية الصحف القومية الهامة ! لم يكن الأمر يتعلق بمجلات تنشر صورا اباحية مثلا ، ولا حتى مجلات نسائية قد تظهر بها اعلانات لملابس نسائية ، وانما كان الموضوع هو بيع الصحف اليومية العادية ولا أكثر فقد طلب من البائع وقف عرض هذه الصحف العلمانية فرفض ، فهدد ولكنه أصر على موقفه ، فأحرقوا الكشك !

والأرثوذوكس لا يترددون فى الخروج من أحيائهم لفرض أخلاقياتهم على الآخرين ، فقد احرقوا بعض محطات الأتوبيس حيث كانت عليها اعلانات بها صور لنساء بملابس ليست بالقدر الكافى من الاحتشام ، كما القيت قنبلة على احد متاجر الجنس فى أورشليم ، نظرا لأن التساهل فى موضوعات الجنس هو احد الاهتمامات الخطيرة لهؤلاء الممووسين بالأخلاق الحميدة ، ولنتأمل تصريح بن شلومو النائب فى الكنيسيت من حركة شاس :

« اذا كان ستمائة وثلاثة جنود قد قتلوا خلال حرب لبنان فالسبب فى ذلك هو التسيب الجنسى للمجندات » .

ويأخذ البعض على عاتقهم أن يفرضوا احترام قوانين التوراة كما يفهمونها وهم يذرعون شوارع بينى براك وبقية الأحياء الأرثوذوكسية فى مدن اسرائيل ، مستخدمين العنف والتخويف والتشهير سلاحا لهم . وميليشيا الأخلاق تراقب الجميع ومهمتها المحافظة على مظاهر التزمت الأخلاقى : هل أطالت هذه السيدة المتزوجة الحديث قليلا مع رجل غريب ؟ اذن يرسل خطاب بدون توقيع لزوجها يدين هذا الفعل الفاضح ، هل يبيع هذا المتجر اطعمة مشكوكاً فى مطابقتها للشريعة ؟ اذن تتتابع التهديدات لصاحب المتجر وترفع اللافتات التى تدين هذا العمل غير الأخلاقى .

وتعتبر جماعة يد-الاخوان ذراعاً اخرى واكثر عنفا من أذرع الايمان ، وهى تمتد الى المتدين الذى يخالف القواعد حتى فى شئون الحياة الخاصة ،

فلو تبين أن أحـد سكان حي بيني براك يمتلك تليفزيوناً الذي هو مصدر كل الشرور ، فالضغط الذي سيتعرض له سيرجعه بسرعة الى الطريق القويم . أعرف سيدة لديها الشجاعة الخارقة أن تحتفظ بتليفزيـون في شقتها وعندما تخرجه من الدولاب الذي تخبئه فيه ، فانها تتابع البرنامج وعينها ملتصقة بالشاشة والصوت يكاد لا يسمع ؛ لأنه لو سمع الجيران الصوت فقد يبلغ أحدهم يد الاخوان !

وحينما اقدم شاب يبلغ من العمر عشرين عاماً على بعض التصرفات الطائشة من فرط فضولة لمعرفة ما يدور في العالم الخارجي ، جـذبت تصرفاته أنظار حراس الفضيلة . وحينما ذهب الى السينما فقد خلع الجلباب الأسود ولبس بدلا منه الجينز إنه لم يضايق أحداً ولكنه استمع في الغرفة الصغيرة التي استأجرها الى موسيقى دنيوية وجمع كتبـاً ليست ذات أهمية في الأدب والفلسفة بل ربما قليل من التاريخ ، وهجم على الغرفة الفقيرة أعضاء من يد الاخوان وكسروا الأسطوانات واتلفوا الكتب واعتدوا على الشاب ... وكان عليه اما الخضوع واما الهرب ؛ فترك بيني براك بلا عودة .

والتعصب الديني ليس مجرد تصرف للجماعات العدوانية المنظمـة لفرض الارهاب ، وانما يبدو انه شيء يغرس منذ الصغر ، ففي « رامات جان » كان الصغير شاي وعمره ثماني سنوات تلميذاً بمدرسة دينية ، الى أن نقله أبواه الى مدرسة حكومية بسبب ضيقهما مما تعلمه المدرسـة للطفل ، ولم تكن احدى الميليشيات هي التي اعتدت على الطفل وكسرت له نظارته وجرحته في وجهه ونعتته بالخائن ، وانما كان زملاؤه السابقون ذوو السنوات الثماني هم الذين قاموا بذلك !

ولا يقتصر هذا التعصب المخيف على العالم الخارجي ، فالمدارس الحاخامية الصغيرة تكره بعضها البعض وتحتقر الواحدة الأخرى وتلعن وتهاجم بعضها البعض ؛ بسبب خلافات دينية تكاد لا تتميز من بعضها البعض . واحيانا تنفجر الخلافات وتتحول الى أعمال عنف ، وكانت واحـدة من ابشع هذه الهجمات تلـك التي ارتكبت أثناء المعركـة الانتخابية في ١٩٨٤ ، حيث هاجمت عصابة مسلحة بقضبان حديديـة

عضو البرلمان الأرثوذوكسى مناحم باروش ذى السبعين عاما داخـل المعبد حيث كان يصلى فنقل الى المستشفى وقد كسر له ضلعان ... وكان المهاجمون من حسيديى الجور والسبب انه أشيع أن باروش قـد تهكم على حاخامهم !

وتسود حالة من التنافر الداخلى فى أوساط الطوائف الأرثوذوكسية ، فلـو أرادت ابنـة أحـد اتبـاع حاخـام فيشـنتس أن تتـزوج ابن احد أتباع حاخام بلتس لقامت مناحة فى العائلتين ، مع أن الرب واحد والطقوس متشابهة والتقاليد كذلك ولكن ما أهمية ذلك ؟

ان شكل الشترايمل — القبعة الفرو التى يرتديها الأرثوذوكس — يختلف قليلا وتفصيل الردنجرت يختلف بعض الشىء وهذا يكفى لجعل الآخر مختلفاً . ومنذ وقت قريب تزوج حفيد آبراهام شابيرا وهـو أحد الشخصيات الهامة فى حزب آجودات يسرائيل وحسيدى من الجور ، من آنسة تنتمى لفئة اخرى فقطع الآباء والأجداد علاقاتهم بهذا المارق المتحرر أكثر من اللازم .

وحتى اليشيفوت تمارس الانعزال : فالطلبة الجدد الخارجون من أوساط يهودية غير أرثوذوكسية يوضعون فى معاهد مخصصة للذين اعتنقوا اليهودية حديثا حتى لا يعدوا بعاداتهم الحياتية الأنقياء الخارجين من الأوساط الأرثوذوكسية ! ولو أراد هذا الغريب ان يتزوج فالأغلب انه لن يجد سوى انسانة مثله ؛ لأن أبواب العائلات التقية لا يمكن أن تفتح له : فالتوبة لا يمكن أن تمحو البقع السوداء لماض من الخطايا !

والأرثوذوكس يمارسون الانعزال على أسس اثنية كذلك ، فقد نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت (٢) قصة أطفال من اليهود الشرقيين أرادوا استكمال دراستهم فى يشيفا يديرها الحسيديون من براتسلافا ؛ ولكنهم رفضوا جميعا ، فنصحهم الحاخام اليزير برلان المسئول عن عودتهم الى الدين بأن يتقدموا بطلباتهم مرة أخرى ، ولكن باستخدام أسماء عائلات قريبة من أسماء اليهود الأوروبيين ... فاتبعوا نصيحته وقبلوا هذه المرة .

وهناك شيء واحد يوحد الأرثوذوكس وهو حقدهم العميق على دولة اسرائيل ، وان كانت هذه الكراهية تقل عند الأجيال الجديدة ، والسبب لهذا التعارض العنيف واضح : وهو أن الانسان قد وضع نفسه باقامته للدولة بديلا للمسيح المنتظر الذى هو وحده القادر على اعادة بنى اسرائيل الى أرض الأجداد . ويضاف الى هذا الخطاب الدينى الصرف خطاب غامض يختلط فيه هيرتسل مع بن جوريون ورابين وبيريز وحتى نتنياهو فى دوامة من الكلمات تخلط أحداث التاريخ ووقائعه وعصوره . والعدو لم يعد عدو السامية — وهو عنصر غير موجود فى اسرائيل — بل « اليهودى اليسارى » وتحت هذا المسمى العائم يصنف اليهودى البعيد عن القواعد الدقيقة للأرثوذوكسية ، وعليه يتبلور كل الخوف من العالم الخارجى وكل الأساطير المزوجة بالكراهية والخوف والرعب الذى كانوا يشعرون به فيما مضى تجاه القوزاق المستعد للهجوم على الجيتو .

قص على أحد رجال الدين وعيناه تبرقان بالزهو كيف أنه فى احدى المظاهرات اليسارية فى تل ابيب ، قام رجل بتوزيع ساندويتشات جامبون على المتظاهرين ... ولكن هذا الاستفزازى الذى تجرأ ووزع لحم الخنزير على اخوته اليهود ، مات مسحوقا تحت حطام منزله الذى اصابه صاروخ سكود أطلقه صدام حسين أثناء حرب الخليج !

« تقول الجيمارا (*) أن من يدفع الشعب الى المعصية ، لا يجوز العفو عنه ... » هكذا ختم هذا العليم بارادة الله حديثه ! .

والشخصية التاريخية التى تتركز عليها كل كراهية هؤلاء الأرثوذوكس هى تيودور هرتسل نفسه ، وتسرى اشاعات غريبة فى اليشيفوت حول مؤسس الصهيونية السياسية : فيقال ان نسخ كتابه الدولة اليهودية قد خضعت للرقابة على أيد مجهولة ، وان المؤلف قد اقترح فى خاتمة الطبعات الأولى من الكتاب اعتناق اليهود جميعا للكاثوليكية فى الوطن الجديد الذى سيجتمعون فيه ...

---

(*) تعنى لفظة « الجيمارا » شروح الحاخامات لنصوص « المشنا » التى تشكل لب التلمود — ( المراجع ) .

صحيح انه قبل أن يختار حلا قوميا للمشكلة اليهودية فقد فكـر هيرتسل فى اعتناق المسيحية على نطاق كبير : « ان فكرة اجراء عملية تنصير عامة كانت نصفا جد ونصف هزل ... كنا نعتزم تعميد الأطفال اليهود قبل ان يدركوا معنى التنصير ، وكان يمكننا على هذا النحـو الاندمـاج فى اوسـاط الشعـوب الأخرى » . هكذا كتب هرتسـل فى مذكراته الخاصة ، وعندما ذكر هـذه الفكرة الجنونية أمـام اصدقائه كان ردهم هو الضحك منه وسرعان ما تراجع عن هذه الحملة الغريبة ، وبعد سنتين من ذلك خلال عمله مراسلا صحفيا فى باريس ، أبرق فى ٣١ اكتوبر ١٨٩٤ إلى صحيفته فى النمسا بخبر اعتقال ضابط يهودى بتهمة الخيانة ... وهكذا انقسمت فرنسا لسنـوات طويلة حـول قضـية دريفوس ، مما أعطى هرتسل فكرة حل سياسى للمشكلة اليهودية ، وهكذا ولدت الصهيونية .

ان فكرة أن هرتسل قد تلاعب فى وقت ما بفكرة اعتناق اليهـود للمسيحية قبل أن يصبح رئيس الصهيونية بغير منازع ، تثير غيظ الرجال ذوى الملابس السوداء ، انهم لا يهتمون بتداخل التواريخ ولا بالتطور العشوائى احيانا للأفكار ، ولا بظهور احداث قد تغير مجرى الحياة فهم غير معتادين على دراسة التاريخ ولا مناقشته . وعلى أيـة حـال ، فشخصية هذا الشاب المتأنق الذى ترجع اصوله إلى فيينا تثير اشمئزازهم، وهم لا يتصورون أن اليهود قد استطاعوا تحقيق حلم العودة الى صهيون، تحت قيادة هذا الاشتراكى البعيد كل البعد عن عالم التلمود .

وبالمثل ، لا يشعر الأرثوذوكس بالعطف على اسحق رابين ضحية التعصب الصهيونى حتى ولو بدات احاديثهم المتكررة بلا نهاية بالعبارات : « جريمة بشعة ... عار وبقعة سوداء فى حق الشـعب اليهـودى بأكمله ... ولكن ... » .

ولكن ! ولكن رابين كـان من أولئك الذين فتحـوا النيران فى ٢٢ يونيو ١٩٤٨ على سفينة الألتالينا التى حملها « الارجون » ، منظمة مناحم بيجن ، بالسلاح ووقفت فى عرض البحر قبالة شاطىء تل أبيب . لقـد قدر بن جوريون أن هذا السلاح سيقوى جماعة من المتحـزبين الذين

سيعرضون شرعية حكومته للخطر فاستخدم السلاح ضدهم ... وأدت هذه الحرب الأهلية القصيرة بين اليهود الى قتل أربعة عشر من منظمة الارجون واثنين من الجيش النظامى ، ولا يتردد الأرثوذوكس اليوم فى القول بأن الرب هو الذى وجه يد قاتل رئيس الوزراء فى ٤ نوفمبر ١٩٩٥ ، الى اليهودى الذى شارك فى قتل يهود آخرين قبل ذلك بخمسين عاما ...

« يجب الا ننسى المبدأ « من قتل يقتل » ... ان يد الله فوق الكل، وحتى هتلر كان أداة فى يد الله ! وفى التوراة يقول الرب لنبوخذنصر (*) ملك بابل الذى هدم الهيكل الأول : « أنت خادمى » . ان الرب يستخدم الأشرار عندما يكون من الضرورى معاقبة الشعب اليهودى » .

ان المتحدث بهذا الكلام يدعى موشيه كاوفمان وهو انسان هادىء وأب لاثنى عشر طفلا ، وقد أعطانى درسا خاصـــا فى التاريخ عـــلى طريقته ، فعند قيام دولة اسرائيل وتهجير شباب افريقيا الشماليـــة احضر هؤلاء الشباب صبيانا وبنات ، انتزعـــوا من أتقى العـــائلات ووضعوا مختلطين فى أفخم فنادق الـــكوت دازور والأدرياتيكى ، حيث انغمسوا فى الرذائل وقضى على ايمانهم الدينى وعندها فقط فتحـــت أبواب اسرائيل العلمانية لهم ... وكان من الممكن أن تواجه هـــذه القصص المضحكة وذات الطابع الأخلاقى المنافق بهز الأكتاف ، لولا أن قائلها هو أحد المدرسين الأكثر نفوذا فى بينى براك .

ان دولة اسرائيل يتركز فيها حسب رأى الحاخام كاوفمان ، كـــل الشر الموجود فى العالم ، فهو يدين بلا تردد ولا قبول للطعن صهيونيى الأمس وصهيونيى اليوم ، ورواد تعمير الصحراء ورجال الأعمال الشطار فى المدن ، والساسة المنافقين ورجال المبادىء المثاليين . وهو يوضح بكل جدية أن اللصوص فى هذا البلد هم اكثر لصوصية من اى مكان آخر والغشاشين أكثر غشا والقتلة أكثر قتلا ، ومن الطبيعى أن الحكماء على هذه الأرض يكونون كذلك اكثر حكمة من أى مكان آخر على سطح

---

(★) اسم بابلى « نبو حامى الحدود » ، وهو ابن نبو بلاسر وخليفته فى الجلوس على عرش مدينة بابل ، وحكم الامبراطورية فيما بين النهرين وسوريا ، وكان أبوه قد اسس الدولة البابلية الجديدة سنة ٦٢٥ ق.م منهيا بذلك حكم الدولة الأشورية . وقد حكم نبوخذنصر ثلاثا وأربعين سنة ومات سنة ٥٦٢ ق.م . - ( المراجع ) .

الأرض . يقول : « فى اسرائيل تكون الغرائز الحسنة والسيئة أكثر قوة ، فاليهودى يتوحد مع الرب ولذلك فارادته ورغباته تكون أكثر قوة وعندما يسقط اليهودى فانه يسقط الى أعماق أبعد ... » .

كان بعض حاخامات أوائل القرن يستخدمون هذا الخطاب لادانة الصهيونية الناشئة ، فكان أغلب الأرثوذوكس يعتبرون أن مبدأ العودة الى فلسطين ، هو قمة الانحراف والمشروع الجهنمى الذى اخترعه يهود مصممون على تخريب اليهودية . وفى الشتيتل والجيتو قبل الحرب العالمية الأولى اعتبر الرؤساء الروحانيون أن حركة الاحياء السياسى خطر على روح الدين وحليف للاشتراكية والفوضوية والشيوعية والبوندية وجميع الاتجاهات الثورية العلمانية التى كانت تغلى داخل المجتمع الأوروبى ، وفيما عدا بعض الاستثناءات القليلة كان أساتذة الأرثوذوكسية يعتبرون الصهيونية من عمل الشيطان ؛ لأن الله وحده هو القادر على أن يحقق الخلاص بمعجزاته .

وفى ١٩٠١ تأسست فى كوفنو بليتوانيا جمعية المدافعين عن الايمان ، والتى كان هدفها انتزاع الأفكار المؤدية الى قلب التقاليد من المدارس الدينية وبصفة خاصة « الهرطقة الصهيونية » ، وفى السنة التالية أصدر رؤساء الجماعات الحسيدية كتابا تحت عنوان رأى الحاخامات أعلنوا فيه : « لقد قام بعض الكذبة فى وسطنا ... أن مضمون الفكرة الصهيونية ليس الا تخريب ديانة موسى واسرائيل » .

والأساس الآخر لمعارضة الحركة القومية اليهودية كان الرغبة فى المحافظة على الحياة التقليدية ليهودية أوروبا الوسطى ، فقد كان هذا العالم فى حالة تغير تحت تأثير حركة التحديث : فاليشيفوت هجرت واليديش تخلى عنه الشباب الراغب فى التحرر . وفى تعداد ١٨٩٧ فى روسيا أعلن سبعة وتسعون بالمائة من اليهود أن لغتهم الأم كانت اليديش وانخفضت هذه النسبة فى بعض المناطق الى أقل من خمسين بالمائة فى ١٩٢٦ (٣) وفقدت العائلات الحاخامية الكبيرة نفوذها : فالأجيال الجديدة تخلت عن الجلباب الأسود وحلقت ذقونها ، وبدت

الهجرة فى تلك الظروف بمثابة الضربة القاصمة لمجتمع مخلخل ، وبذل الحاخامات كل جهودهم للابقاء على اليهود داخل الشتيتل ، أى ذلك الاطار المعروف الذى يمكن الاطمئنان اليه .

فى ١٩٣٠ أجاب يهودى رومانى عجوز على ألبرت لوندر عندما سأله ان كان يريد الهجرة الى فلسطين : « لقد قضيت ثلاثة وسبعين عاما أتملق الأوروبيين ، فليذهب غيرى ليتملق العرب ! » (٤) .

وحتى السفر الى الولايات المتحدة كان مدانا من وجهة نظر الحكماء ولكى يقنعوا أتباعهم بعدم السفر الى العالم الجديد ، كانوا يكررون أن اليهودية الأمريكية تقوم على ثلاثة مبادىء : الطعام غير الحلال وعدم احترام السبت واتباع الأخلاق غير الحميدة .

وبنفس المنطق كان الأرثوذوكس يعتبرون كل تقدم فى اتجاه التحرر شيئا ملعونا ، فالانفتاح على العالم وتسامح الأمم ارتبط بـه الانـدماج وفقدان الهوية والابتعاد عن أداء الواجب نحـو الله . وعندما فرح يهود المجر فى أوائل القرن التاسع عشر بظهور أضواء فجر عهد جديد من الحرية ؛ أعلن حتام سوفير (*) حاخام بريسبورج رفضه لهذا الفرح ، قائلا ان هذا اليوم يشبه يوم هدم المعبد ، ولشرح هذه المقولة لسامعيه قص عليهم حكاية ... قام أحد الملوك يوما بنفى زوجته لأنه مل معاشرتها ، فعاشت المرأة المسكينة وحدها فى كوخ حقير ومرت الأعوام ، وفى أحد الأيام جاءها رسول ليبلغها بأن الملك برحمته الكبيرة قرر أن يبنى لهـا قصرا فبكت الملكة لدى سماعها تلك الكلمات ؛ فقد فهمت أنه لو كـان الملك يريد ارجاعها الى القصر لما بنى لها أجمل المنازل ، وأن كرمه هذا انما يعنى أن سنوات النفى ستمتد طويلا (٥) .

وعندما ظهر تهديد النازية ، كان القادة الدينيون على درجة مـن الخوف من فقدان الهوية اليهودية أفقدتهم القدرة على تنظيم أنفسهم ،

---

(*) حتام سوفير ( ١٧٦٢ ـ ١٨٣٩ ) : ولد الحاخام سوفير فى مدينة فرانكفورت ، وتلقى فى صباه تعليما دينيا مكنه فيما بعد من تولى منصب كبير الحاخامات فى المجر . تزعم الحاخام سوفير الاتجاه اليهودى المتشـدد فى مواجهة الاتجاهات اليهودية الليبرالية التى دعت الى التحرر من التقاليد ـ ( المراجع ) .

بشكل يسمح لهم بالهروب من الابادة الجسمانية التى كان التهديد بهـا يتكرر فى الخطب البرلينية . وفى ١٩٣٧ ، أى قبل قيام الحرب بسنتين وبعد اربع سنوات من سيطرة هتلر على ألمانيا ، وقف حاخام مونكاتش فى الكاربات يتحدث عن الصهيونية فى احدى عظاته قائلا : « انهم يشجعوننا على الذهاب الى فلسطين حتى نضمن البقاء ! ولكننا نحن المؤمنين أبناء المؤمنين نفضل أن نحرق بالنار أو أن نتقطع قطعا قبل أن نتخلى عن كلمة أو حرف من نصوص حاخاماتنا أو التوراة المقدسة » (٦) ، وكأنه كان يتنبأ بالكارثة ! .

ولا يصفح رجل كبير السن أفلت محطما من معسكرات الموت عن انعدام الوضوح المأساوى هذا ، فقد كان يفكر فى الرحيل الى فلسطين قبل بدء الحرب بعدة أسابيع هربا من أوروبا المخلخلة ، ولكنه قابل حاخام رادزين ، أحد كبار الحسيديين فى عالم ما قبل الحرب ، والذى كان يمر بالقرى لاختيار التلاميذ لليشيفا ، وقد عبر عن اعجابه به وأمره بعدم ترك بولونيا ، والذهاب فى أول الفصل الدراسى القادم الى رادزين لإستكمال دراسته التلمودية ... وفى أول الفصل الدراسى كانت بولندا قد اختفت من الوجود واليهود يخضعون للقانون الالمانى . يقول بكل مرارة :

« هكذا تلاحظ الى أية درجة أصابهم العمى ! » .

وتمثل الكارثة النازية وكذلك وجود دولة اسرائيل مشكلة مستعصية للأرثوذوكس اذ كيف يفسر غياب الله ؟ وكيف تفسر حالة العمى التى أصابت القادة الروحيين ؟ وكيف يمكن قبول انشاء الدولة اليهودية كنتيجة لعملية الابادة ؟ ويختصر الحاخامات الأرثوذوكس الاجابة عن هذه الأسئلة التى لا اجابة لها بالتمسك بنظرية لا يمكن الدفاع عنها وهى : انهم قد تعرضوا للابادة كعقاب من الله لمعصيتهم لأوامره ، ومحاولتهم فرض ارادتهم الذاتية على قدرهم ... هكذا يصلون الى النتيجة أن الأطفال الذين ألقى بهم فى أفران الغاز كانوا سيصبحون مذنبين ويستحقون العقاب ، وينتشر هذا الخطاب المضلل والمخيف أكثر وأكثر اليوم بل يسمع فى معابد تقليدية ، مما يكشف عن تاثير أصولى متغلغل ينشر هذه الخرافات .

ويعتقد الحاخـــام دانييل هيمان والذى درس طويلا فى اليشيفا فى اسرائيل ، أن المشروع الصهيونى هو الذى أدى مباشرة الى « الحـــل النهائى » يقول :

« لم تنقض خمسون سنة على محاولة الشعب اليهودى أخذ مقاديره بيديه والتخلص من المنفى ، الا وقد اختفى نصف الشعب اليهودى ، الشىء الذى لم يحدث أبدا طوال التاريخ ! » .

وبعد خمسين عاما من انشاء الدولة يبدو هذا الرفض المطلق للدولة أمرا مضحكا ، فهناك أربعة ملايين ونصف يعيشون على أرض الأجداد ، والأرثوذوكس أنفسهم يستفيدون من المؤسســـات والبنى الموجـــودة بالدولة التى يدينونها ، ولكن الواقع يفرض نفســه وقـــد تعلم المتدينون الأصغر سنا أن يتعايشوا مع الدولة .

ومنذ ما يقرب من عشر سنوات ، روع الحاخام هيمان بدخـــول الحاخام اليزير مناحم شاخ الى معترك السياسة وهو ممن يعتبرون من المراجع الروحية العليا ، فسأله ان كان من الأجدى له أن يبقى داخـــل اليشيفا بدلا من مواجهة العالم الخارجى فتلقى منه الرد التالى المبنى على البراجماتية السياسية :

« عندما كانت جماعتنا تضم مائة الف شخص كان من الممكن لنا أن نبقى بالخارج ، ونفس الوضع عندما كنا مائتى الف ... ولكننا نمثل اليوم كتلة تقترب من خمسمائة الف شخص وهـــؤلاء الناس يطلبـــون حقوقهم ، انهم يدفعون الضرائب ولا يريدون أن يبقوا مهمشين بعد الآن ويحتاجون الى من يمثلهم فى الكنيسيت ، وبالتالى علينا أن نشترك فى الانتخابات أى أن نعمل بالسياسة » .

فى أوائل السبعينيات عندما كان دانييل هيمان يتابـــع دراساتـــه التلمودية فى اسرائيل ، كان بعض الآباء يضطـــرون الى أن يعيشوا على الخبز والزيتون ؛ ليتمكنوا من دفع نفقات تعليم أبنائهم فى اليشيفا : «وكانت المدرسة العلمانية المواجهة مجانية ! وعندما ازداد عـــدد الجماعـــة الأرثوذوكسية رفضت هذا التمييز ، فاحتاجت الى نوابها الذين عبروا

عن مطالبها . ولم يكن جمهور اليشيفوت يشترك فى الماضى فى التصويت فقد كانوا يعلمون أنهم لن يحصلوا على حقوقهم فما الفائدة ؟ أما اليوم فقد انتهت هــذه العقلية ، ان أبنائى وأبناء من كانوا يدرســون معى لا يقبلون هذا الوضع » .

يعتبر دخول الأرثوذوكس المتطرفون عام ١٩٧٧ الى حلبة السياسة النشطــة بمثابة ثورة كبرى ، فابتداء من ذلــك التاريخ بــدأت عملية « صهينة » بطيئة للجماعات الدينية (٧) وقبل ذلك كان أى نواب لهم فى الكنيسيت يكتفون باتخاذ موقف المعارضة على طول الخط ، ولكــن ابتداء من حكومة مناحم بيجن بدأت الجماعات الدينية تدخل فى التشكيلات الوزارية ، بعد أن أحسوا بأهمية دورهم الترجيحــى بين الأحــزاب الكبرى . ولأول مرة لم يعد تأييد حزب المفدال ، وهو الحــزب الوطنى الدينى ، كافيا لضمان الأغلبية فى الكنيسيت ، وأصبحت الأصوات الأربعة التى حصلت عليها المنظمات الأرثوذوكسية المتطرفة ضرورية لضمــان استمرار رئيس الوزراء بيجن فى مركزه ، وقد أعطوه هذا التأييد برضاء تام حيث بدا لهم زعيم الليكود كرجل يحترم القيم الدينية : قال أحــد المسئولين من حزب آجودات يسرائيل فى الكنيسيت : « لأول مرة عندنا رئيس وزراء يهودى وليس من غير اليهود ! » .

وعلى الرغم من تأييد الأحزاب الدينية لأول حكومة اسرائيلية يمينية، فانها رفضت المشاركة فى الوزارة مما أظهر مدى عدم ثقتها فى الدولة العلمانية ، وتراجعت هذه الأحزاب عن موقفها المعارض فى عام ١٩٨٤ أى عندما تولى حزب شاس للأرثوذوكس السيفارديين وزارة الداخلية ، وبعدهــا بأربع سنوات فعل حزب آجــودات يسرائيل نفس الشىء ، واشترك فى وزارة الوحدة الوطنية التى كونها اسحق شامير ؛ فأسندت اليه وزارة الدولة للعمل والشئون الاجتماعية ، وبعدها وزارتا دولة أخريين بعد الأزمة الوزارية فى ١٩٩٠ .

وحاليا ، يشترك الجمهور الأرثوذوكسى بشكل جماعى فى الانتخاب، فى حين كان فى السابق لا يتحرك للمشاركة فى تسيير شئون الدولــة ،

وهذا الموقف أعطى جماهير المتدينين أهمية انتخابية ولا يتخلف المرشحون عن تملق هذا الحاخام أو ذاك من ذوى النفوذ . وفى ١٩٨٨ توجه آرييل شارون رجل الليكود القوى يطلب الدخول الى القاعة التى كان يجتمع فيها تسعة من الحاخامات أعضاء مجلس كبار رجال التوراة وهو الهيئة العليا لآجودات يسرائيل ، وبعد الوقوف لمدة عشرين دقيقة بالباب سمح له بالدخول ولكن بشروط ، قيل له : «سيستقبلك الحاخامات ولكن يجب أن تشرح قضيتك لهم خلال ست دقائق لا أكثر وان وجهت لك أية أسئلة أجب عنها ، ثم تغادر القاعة ! » .

وخلال الحملة الانتخابية الأخيرة وجد شمعون بيريز أنه من المفيد أن يحاول استرضاء رجل مثل بابا باروخ ابن الحاخام بابا المصلى الذى ولد فى مراكش وأصبح رجلا مباركا فى نظر اليهود السيفارديين ، وأحاط رئيس الوزراء زيارته بالاهتمام الاعلامى الكافى باشتراك كاميرات التليفزيون .

واشترك الأرثوذوكس أخيرا فى سباق انتخابى آخر كانوا يتجنبونه من قبل كنوع من التعالى على مؤسسات الدولة ، وهو انتخاب الحاخامين الكبيرين لاسرائيل ، فقد كان الاختيار محصوراً فى صفوف الحزب الوطنى الدينى وكان الاختيار يتم وراء الكواليس .

وفى ١٩٩٣، قرر الأرثوذوكس أن يوحدوا رغبات المتدينين الصهونيين، وقدموا مرشحين هما يسرائيل لاو والياهو باكشى — دورون ونجح الاثنان فى الانتخابات . وبعدها بقليل واجهت الحاخامين الجديدين مشكلة، فقد كان الحاخامات السابقون وهم من الصهيونيين المتدينين يقومون بترديد صلاة شكر للرب على معجزاته ومن أهمها جمع اليهود فى دولتهم اسرائيل وذلك أثناء الاحتفال بعيد الاستقلال . وقد تردد الحاخامان الجديدان قليلا أمام هذا التقليد ، الا أنهما عادا واتبعاه وبذلك يكونان قد وافقا على اعتبار قيام الدولة على أنه تم بفضل تدخل الهى .

وأدى الاشتغال بالسياسة وسيؤدى الى ظهور تشققات فى عقيدة الحريديين ، فالاشتراك فى ادارة مجتمع انسانى ينزل الأرثوذوكس الأصوليين من البرج العاجى الذين يريدون أن يحتموا فيه . وعلى الرغم

من تحريم التصوير الذى كانت الجماعات المحافظة تتبعه بدقة ؛ فاننا نجد الأحزاب الدينية اليوم تلجأ الى وسائل الاعلام بكل بساطة ويوزعون أشرطة الفيديو ، بل ويستخدمون الفيديو كليب فى الانتخابات الأخيرة ، انهم يستخدمون المجتمع ليعيدوا تشكيله .

وبدأت فى الظهور بعض قنوات التداخل بين الأرثوذكس الصهيونيين وغير الصهيونيين: فالقوميون يقتربون أكثر فأكثر من الأرثوذكس المتطرفين فى التصرفات الخارجية مثل اتباع القواعد بدقة والعودة الى النصوص ورفض الحداثة واحتقار الدراسات غير الدينيـة ، أما الأرثوذكس فيقتربون من بعض المواقف المرتبطة بالقومية .

ويردد رجل معاد للصهيونية حتى النخـاع مثل الحـاخام موشى كاوفمان خطاب الصهيونيين عن انتظار المسيح المنتظر ، وهذا لا يعنى أنه يعتقد أن دولة اسرائيل هى التى ستعلن نهاية العالم ، وانما عودة قطاع عريض من الشباب اليهـودى الى الدين هى التى ستؤدى الى ذلك ، ويتجه الى مكتبته ويخرج كتابا يقلب صفحاته ويقرأ منه :

« نحن بالتأكيد على مشارف عهد مجىء المسيح المنتظر ، والنصوص تؤكد ذلك ففى الأصحاح الثلاثين من سفر التثنية نجد «فان رددت فى قلبك بين جميع الأمم الذين طردك الرب الهك اليهم ، ورجعت الى الـرب الهك وسمعت لصوته ... » .

ها هى العبارة المحورية فى التوراة ، حيث يتحدث عن نهاية الزمان، وأنه ستحدث توبة كاملة من كل القلب وكل النفس . واليوم دفع الأبناء آباءهم وهذا ما أعلنه النبى ملاخى (*) فى آخر آية فى التوراة حيث يقول : « هانذا أرسل اليكم ايليا (**) النبى قبل مجىء يوم الرب اليوم العظيم

---

(★) ملاخى : اسم عبرى معناه « رسولى » ، وهو آخر الأنبياء فى العهد القديم ، وعاش هذا النبى فى عام ٤٣٣ ق٠م٠ وينتقد ملاخى فى سفره المكون من أربعة أصحاحات تذمر الشعب على الرب ، وتزوجهم من النساء غير اليهوديات ـ ( المراجع ) ٠

(★★) ايليا اسم عبرى معناه « الهى يهوه » ٠ عاش ايليا فى جلعـاد فى زمن آخاب وايزابيل التى ساقت زوجها وشعب بنى اسرائيل الى عبادة البعل ، وقد تنبأ ايليـا بأن الله سيمنع المطر عن بنى اسرائيل ، واعتزل فى ضفة نهر كريت ، وقاد ايليا فيما بعـد الثورة على أتباع الاله بعل ـ ( المراجع ) ٠

والمخوف . فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئـــلا آتى وأضرب الأرض بلعن » .

ويقول راشى المفسر من القرن الحادى عشر ان الآباء سيرجعـــون عندئذ الى الرب بتدخل أبنائهم ... وهذا ما يحدث الآن ! » .

واليكم علامة اخرى على التقارب بين القوميين والأرثـــوذوكس : توجد حالياً فى يهودا والسامرة ثلاث مستوطنات أكبرها وأقدمها أنشأها فى ١٩٨٣ حسيديو جور وهم القوة المسيطرة داخل أجودات يسرائيل واسمها ايمانويل .

وبقيامهم باحتلال الضفة الغربية حتى تبقى الى الأبد تحت الحكـــم الاسرائيلى ، يكون هؤلاء الحسيديون قد قبلوا اقامة وطـــن وقـــوات يهودية قبل مجيء المسيح المنتظر ، وهذا يعنى ضمنا انضمامهم الى معسكر الصهيونيين المتدينين . وهم بذلك يدعمون القوميين المتطرفين بقوات منضبطة مكونة من أناس يحترمون الشريعة ويطيعـــون أساتـــذتهم ، ولا يمكن التنبؤ بموقفهم فى حالة فرض الانسحاب كنتيجة لمعاهدة سلام ، وفى الواقع لا يمكن معرفة رد فعل الأربعة آلاف مستوطن فى ايمانويل ، وقد أعلن يساخار فرانكفتال المتحدث باسم المستوطنة ببساطة :

« لو طلب منا حاخاماتنا الرحيل بهدوء فلن تجد الحكومة مدينـــة فى يهودا والسامرة أسهل فى الاخلاء من مدينتنا ، أما اذا طلبوا منا البقاء فسنناضل أكثر من أى مدينة ، اننا سنموت من أجل ايمانويل » (٨) .

وفيما عدا بعض الجماعات المعادية للصهيونيـــة باصرار ، فـــان الأرثوذوكس يقبلون اليوم اسرائيل كحقيقة واقعة ؛ ولكنهم يرفضـــون بصفة عامة الاعتراف بقيام الأمة اليهودية على أساس روحى . ويقلل الحاخام هنرى ــ كان مدير يشيفا فى حى ميئا شعاريم الأرثوذوكسى القديم بالقدس ــ من أهمية هذا الاعتراف الضمنى الى أقصى حـــد : « أن مشكلة الدولة مشكلة محايدة ، انها مجرد ادارة للشأن العام ، أما اذا نظرنا للأمر فى بعده الغيبى المسيانى فلا وألف لا » .

يعتبر جرشوم ــ وعمره ستة وعشرون عاما قضى منها ثلاثة عشر عاما فى اليشيفا ولا زال يتابع دراسته فيهـــا ــ أن اسرائيل حقيقـــة

تستعصى على المعرفة ويقول : « الدولة قائمة وهذا حسن جدا فهو يقرب كثيراً من الناس ، ولكن هذا لا يعنى أن نرى فى ذلك علامة على مجىء المسيح المنتظر ، ربما تكون مرحلة ولكن ليست هناك مقارنة مع ما سيحدث عند مجىء المسيح المنتظر . ان الموجود اليوم ليس دولة يهودية ولكن دولة لليهود » .

وسواء أكان الأرثوذوكس مندمجين كثيرا أو قليلا فى دولة اسرائيل الحديثة ، الا أنهم مع ذلك مهمشون ، فطلبة اليشيفا معفون من الخدمة العسكرية بمقتضى اتفاق قديم وقعه بن جوريون ، فالمجتمع العلمانى يسلم أبناءه للجيش وينظر بغيظ الى الشبان الملتحين فى بينى براك أو القدس الذين يسيرون وأيديهم فى جيوبهم بلا مبالاة ، فى حين تتعرض حياة الآخرين الى الخطر على الحدود . ويشرح لى جرشوم بكل جدية أن شباب اليشيفوت يحاربون هم أيضا من أجل سلامة اسرائيل : « تعلمنا التوراة أن البعض كانوا يذهبون للحرب ويساندهم الآخرون بالدراسة ... اذ يجب أن يتفرغ جزء من الشعب باستمرار لهذه المهمة لكى يعطوا الجنود القوة الروحية ، ولو أردنا الحصول على تأييد الرب فالحرب وحدها لا تكفى ، لقد حدثت معجزات فى حرب الأيام الستة وحرب الخليج لأن الله تدخل ! وعندما تشترك اسرائيل فى حرب أو تحدث أزمة ، يطلب الحاخامات من الطلبة أن يدرسوا بحماس أكثر من المعتاد ، وفى هذه اللحظات العصيبة يهتم طلبة اليشيفوت بأن يدرسوا باجتهاد أكبر وهذه هى طريقتهم فى الاشتراك فى المعركة ، وليس من السهل دائما أن تجلس لمدة ثمانى ساعات غارقا فى دراسة النصوص! » .

وعندما منح بن جوريون الاعفاء الدائم لطلبة اليشيفوت من الخدمة العسكرية لم يكن يتصور النمو الهائل للدراسات التلمودية ، ففى ١٩٥٠ كان هذا الاعفاء يشمل أربعمائة صبى ولا شك فى أن أسد اسرائيل العجوز كان يعتقد أن الجيش يمكنه الاستغناء عن هذا العدد من الدارسين الهامشيين ، وأنه اشترى السلام الاجتماعى بهذا الثمن البسيط ... ويبلغ عدد الدارسين فى اليشيفوت اليوم مائة وستين ألفا ويتمتع عشرون أو ثلاثون ألفا منهم بهذا الاعفاء والعدد يزداد كل عام ، كما

يزداد كذلك عدد الأطفال الذين يتعلمون فى المدارس الدينية وتبلغ نسبتهم اليوم ٤ر٣٢ بالمائة من التلاميذ اليهود فى إسرائيل (٩) .

إن نمو العالم الأرثوذوكسى يغير ببطء شكل مدينة القدس ، فقد تبين من دراسة أجرتها بلدية المدينة بالاشتراك مع معهد الدراسات الاسرائيلية ، أن عدد الأرثوذوكس يزداد بنسبة خمسة بالمائة كل أربع سنوات ، فى حين ينقص عدد غير المتدينين بنفس النسبة ، حيث ان هؤلاء الأخيرين ينجبون عددا أقل من الأطفال ويميلون الى الرحيل عن مدينة تتخذ طابعا حريديا أكثر فأكثر .

لقد كان الأرثوذوكس يكونون ٥ر٢٨ بالمائة من السكان فى ١٩٩٠ وستصبح نسبتهم ٨ر٣٧ بالمائة منهم فى ٢٠١٠ ، وذلك بفضل الانجاب طبعاً ولكن بسبب الهجرة اليهودية إلى إسرائيل ايضاً .

وقد بنيت ضواح جديدة من أجل هؤلاء السكان المتدينين ؛ لان أحد المطالب الهامة للأرثوذوكس هو تخصيص أحياء بكاملها لهم ويجمعون على أن السلطات لا تعمل ما فيه الكفاية لتبنى لهم جيتواتهم الجديدة ، ففى واقع الأمر يتعلق الموضوع بجيتوات :

فالأرثوذوكس يريدون أن يعيشوا فى انعزال مادياً وأدبياً . يؤكد الحاخام هنرى كان :

« الناس تعيش فى جيتو هنا وذلك بناء على الرغبة المتبادلة ، فالشخص المتدين لن يذهب ليعيش فى حى لغير المتدينين والعكس صحيح » .

وتؤكد كاترين جارسون المحررة بمجلة اكتواليتيه جويف الفرنسية والتى تعبر عن الاتجاه المتدين داخل المجلة على هذا الشعور بالحصار ، وهى تعتبر أن الجماعة الأرثوذوكسية هى الخندق الذى يمنع تدفق العرب،وهى ترسم مقارنة مدهشة بين الأحياء الاسرائيلية اليوم والجيتوات الأوروبية بالأمس كما لو كان المثل الأعلى لليهود هو بولندا المعادية

للسامية ، تقول : « ان الحريديين لديهم الاحساس بأنهم السور الأخير أمام السكان العرب ، فهم وحدهم الذين يكونون عائـلات كبيـرة فى العاصمة ولولاهم لأصبح العرب هم الأغلبية فى اقرب وقت ! ان معدل الأطفال للعائلة فى القدس من ستة الى سبعة ، وفى بينى براك من ثمانية الى تسعة ... وهو معدل الانجاب فى بولندا قبل الحرب ، انهم يحققون المعدل التاريخى » .

ومن ناحيته يعتبر الحاخام «كان» أن المجهودات التى تبذلها السلطات من أجل الجماعات المتدينة غير كافية : « ان مجموعة الأرثـوذوكس غاضبة فهناك تراجع من وجهة النظر الدينية فى جميع المجالات ، وأحد الأمثلة التى تصرخ الى السماء هو مشكلة الاسكان ، فالعجز فى عـدد الشقق للجانب المتدين يقدر بما يتراوح بين أربعين وخمسين الف شقة وليس هناك اى تقدم بل ان العجز فى ازدياد » .

وأوجه اليه سؤالا عن الفرق بين شقة للمتدينين وأخرى لأصحاب الفكر الحر ... « ان الرؤية مختلفة فعندما تبنى شققا للمتدينين ، فإن هذا معناه أولا انها مخصصة لذوى الدخل المحدود ، ويجب بالتالى بناء عمارات منخفضة الايجار وهناك كذلك مشكلة المدارس فعندما تبنى حيا للأغنياء يضم فيلات جميلة تكفى مدرسة واحدة ... أما فى حالة المتدينين فيحتاج الأمر الى شقق صغيرة من ثلاث غرف بمساحة ثمانين مترا مربعا وسيكون متوسط الأطفال من خمسة الى ثمانية ولذلك يجب تدبير مدارس كـافية » .

وهذه الذرائع غير مقنعـة ، فهناك شرائح أخرى من الســكان الاسرائيليين تحتاج الى مساكن منخفضة التكلفة ، وما لا يقال صراحة هو ان الأرثوذوكس يريدون أحياء منعزلة عن العلمانيين . ومن جانب غير المتدينين تتهم البلدية بأنها تتحالف مع الأرثـوذوكس وتخضـع لضغوطهم المستمرة ؛ وتكشف صحيفة هاآرتس انه منذ ١٩٩٣ خصص اثنان وستون موقعا لبناء معابد للأرثوذوكس ، وخصص مائة وأحد عشر موقعا - بمساحة ٩٠٦٥٥ مترا مربعا - لهيئات دينية ، فى حين خصص موقعان فقط - بمساحة ١٧٠٠ متر مربع - لهيئات علمانية . يقـول

الأخصائى الاجتماعى كلود سيتبون : « لقد استمر تيدى كوليك عمدة القدس لمدة ثمانية وعشرين عاماً ، وطوال هذه المدة لم يرشح منافس لتبدى كوليك فى هذه المدينة التى يسود فيها المتدينون والأرثوذوكس والأرثوذوكس المتطرفون والتى بها أغلبية من الليكود ؛ وذلـك لأنـه استطاع بشجاعته وأمانته أن يحافظ على التوازن . وفى نوفمبر ١٩٩٣ تم انتخاب ايهود أولمرت العمدة الجديد ، بفضل أصوات الأرثوذوكس التى تقتضى منه الثمن .

كتب أورنان ياكوتييلى ، زعيم الجناح اليسارى المتطرف ، فى مجلس المدينة : « ان أولمرت يتنازل عن مناطق بأكملها من المدينة للحريديين بشكل لم نره من قبل » (١٠) .

ولا شك فى أن الجدل سيستمر طويلا ، وفى نفس الوقت سيستمر الأرثوذوكس فى الانغلاق على أنفسهم فى أحيـائهم الخاصـة . وفى أونسدورف وهو حى أرثوذوكسى جديد فى القدس ، تتسـاءل هـانى السيدة عميقة التدين والأم لثمانية أبناء عن السبب فى ابتعادها عـن بقية الشعب الاسرائيلى وهى تأسف ؛ لأن عالم التوراة لا يستطيع أن يشرك بقية اليهود فى البلاد فيما لديه من قيم عظيمة ، ألم يكن الأحسن العيش فى مشاركة مع السكان غير المتدينين ؟ ولكن هانى مثل كثيريـن غيرها ترى أن الوقت قد فات وأنه ليس من الممكن التراجع : « انى لا أستطيع أن افعل ذلك لأطفالى حيث أنهم حريديون تمـاما ، أنهـم لا يشبهون أبناء العلمانيين ، بـل ولا حتى أطفـال الحركـة القوميـة الدينية ، انهم يرسلون شعورهم الطويلة ويلبسون الجلبـاب الأسـود يوم السبت ، وبالتأكيد لا يستطيعون التأقلم فى أى مكان آخر ، لقد خلقنا لأنفسنا فخا حقيقيا » .

# عــلى طريق ابراهام

## ( أو الصهيونيون الدينيون )

« لقد زادت آمال العرب بشكل غير معقول فى السنوات الأخــيرة وهم اليوم لم يعودوا يقبلون الرحيل وهذا يعني ببساطة أنهم يجب أن يموتوا ، ولا أرى امكانية تحقيق هذا المشروع حاليا ولكن الأوضـــاع الحالية لن تستمر فهى مسألة وقت ، فستنشب حرب دموية قاسية وأرجو ان نكون لازلنا قادرين على كسبها ، وبعد هذا الصراع لن يبقى عرب كثيرون فى المنطقة ... » .

ينطق دافيد آكسيلرود هذه الكلمات ببطء وهدوء وهو يضغط على كل كلمة بلغته العبرية العميقة والثقيلة مثل لغته الأصلية وهى الروسية، وتعطيه لحيته الكبيرة التى تأكل وجهه شكل راسبوتين ، ولكنه راسبوتين له عينان باهتتان وعلى رأسه طاقية سوداء كبيرة . وهو ابن حفيـــد تروتسكى ولكنه تخلى عن الأوهام القديمة عن الدولية ورفع بدلا منهـــا علم الأرض اليهودية الخالصة ، وهو يحلم بأن يخوض معركته الأخيرة فوق تلال يهوذا حيث يغرق فى الدم كل القاذورات الأجنبيـــة . ولـــد آكسيلرود فى موسكو ثم هاجر من الاتحاد السوفيتى الى الولايات المتحدة فى ١٩٧٥ حيث اكتشف اليهودية ، واذ ارتفع حماسه بعد دراسة التلمود توجه الى اسرائيل حيث تنقل من يشيفا الى يشيفا الى ان اعتقـــد أن

ايمانه الجديد يفرض عليه أن يتوجه لسكنى أراضى يهوذا التاريخية . ويعيش هذا الحاخام البالغ من العمر خمسة وثلاثين عاما مع عائلته التى تضم أربعة أطفال فى مستوطنة تابواه وهى تابعة لليمين الدينى الأكثر تشددا وتضم حوالى ستين عائلة قادمة من اسرائيل وروسيا والولايات المتحــدة وبيرو وفرنســا .

وبعد اغتيال اسحق رابين كان دافيد من بين المتطرفين الذين ألقى بهم فى السجن . يقول : « لقد قبض على من أجل مزحة مثلما كان يحدث فى الأيام الخوالى للاتحاد السوفيتى ... » .

وهذه المزحة كانت ، طبقا لقرار الاتهام « تأييد أعمــال العنــف والتحريض على الثورة » . ولا يكترث دافيد كثيراً عندما تضــعه فى السجن حكومة لا يحترمها أما هو فيستمد عقيدته من التوراة مباشرة . وعندما سألته ان كان قانون الشريعة فيه ما يبرر اغتيال رئيس الوزراء ، رفع عينيه الى السماء يأسا من سذاجة السؤال : « طبعــا ... ان التوراة لم تخلق لحماية الأشرار ، لقد كانت حكومة اسرائيل هذه حكومة من الجبناء ، لقد كانوا يتصرفون كأولئك اليهود الذين ساعدوا النازى فى معسكرات الابادة ، أو مثل اليهود الذين كانوا يتملقــون القــوزاق مرتكبى المذابح على أيام القيصر » .

فماذا سيحدث اذا ما أتت السياسة بما لا يريده دافيــد ؟ ماذا لو فرضت اتفاقات السلام مع الفلسطينيين اخلاء مستوطنته ؟ يجيب : « ان سكان تابواه لن يحزموا أمتعتهم أبدا ، ستدمر القرية مع سكانها قبل ذلك ... ومن الذى سيقوم بهذه المذبحــة ، الفلسطينيــون أم الاسرائيليون ؟ لست نبيا ولا أستطيع الاجابة عن هذا السؤال » .

ماذا سيفعل دافيد اذا ما جاء الجيش الاسرائيلى ليخلى موقعــه « ماذا سيكون رد فعلى اذا ما جاء أحدهم يريد اغتصاب زوجتى وقتل أبنائى ؟ » .

ويرفض دافيد كأى أصولى عنيد اية تنازلات ، ومن وجهة نظره فاليسار واليمين متشابهان فالأول سيدمر اسرائيل خلال ثلاث سنوات

والآخر سيدمرها خلال عشر سنوات ، ويدعم رأيه بالتوراة : « تقول التوراة ان الرجل الفاسق والقاتل متساويان فى الذنب ... ورابين كان قاتلا أما نتنياهو فرجل فاسق ... » (١) .

وطبقا لرؤيته المتطرفة ، فان كل شىء فى اسرائيل متعفن ويجب الاسراع فى تنقيته بريح التوراة النقى ، وهو يكرر ببطء كل الأفكار المتطرفة لليمين الدينى : ان اسرائيل ليست دولة يهودية ولن تكون كذلك الا عندما تسودها قوانين الشريعة ، إن هجرة اليهود الروس المزيفين ، وتزايد معدلات الانجاب لدى عرب اسرائيل ، واستقدام العمالة الأجنبية تعرض الأغلبية اليهودية فى الدولة إلى الخطر ...

وفى يوم ما كان دافيد عضوا فى جماعة مائير كاهانا العنصرى الأمريكى ، الذى كان ينادى صراحة باستئصال كل العرب من أرض اسرائيل ، ولكن الحاخام كاهانا مات وحظر حزبه ولا يستطيع ابنه أن يعبىء القوى المتطرفة حول اسمه ، يقول دافيد : « أنا اليوم انسان مخدوع ووحيد » .

وليشرح وجهة نظره ، يقص على دافيد قصة روسية : فى أحد الأيام وجد رجل عجوز قنبلة يدوية فأخذها وتوجه الى مقر الحزب الشيوعى ونزع الفتيل والقاها داخل المكاتب فانفجرت وشب حريق هائل ... لماذا فعل ذلك ؟ لأنه عجوز ولم يكن لديه شىء يخسره ... « وهناك أسباب عديدة تجعل الانسان ليس لديه شىء يخسره » .

ولعل دافيد آكسيلرود وريث الكوزموبوليتية الرافض لها والمنبت الجذور والباحث عن هوية ، لا يمثل الحركة الصهيونية الدينية ولكنه على الأقل يكشف حقيقتها ، فهو يطور الى النهاية الأفكار التى تتردد فى بعض مستوطنات يهودا والسامرة . ولكن هناك آخرين يصطنعون الاعتدال ويتحدثون بلغة أقل صراحة .

ولد توماس جودمان فى بنسلفانيا وترعرع فى فلوريدا وجاء الى اسرائيل عشية حرب اكتوبر ١٩٧٣ وكان عمره ثمانية عشر عاما ، وهو

اليوم يدرس الفلك فى معهد تنمية الابداع والتفوق وهو معهد مخصص للأطفال الموهوبين ، ومع أنه يعمل فى تل أبيب الا أنه اختار أن يعيش فى مستوطنة كدوميم فى قلب يهودا — السامرة وهى قرية جميلة تذكر الانسان بالريفييرا . وتوماس رجل قصير وممتلىء ومتحدث منطلق ويضحك ضحكة رنانة عندما تصبح الأسئلة محددة أكثر مما ينبغى ، وهو لا يصرح بأسباب اختياره السكن فى مستوطنة « بالأراضى المحتلة » فى أول الأمر متعللا بجمال الريف : « انى لست من سكان المدن وحتى فى فلوريدا كنت اسكن دائما بعيدا عن المدن ، وعند وصولى الى اسرائيل اشتركت فى تأسيس كيبوتز فى النقب ، وفى ١٩٧٩ بعد أدائى للخدمة العسكرية ، كانوا يتحدثون كثيراً عن المستوطنات فى السامرة وقررت أن أسكن احداها ، وكان هذا يعنى بالنسبة لى تحقيق صهيونيتى ولكنه يعنى من ناحية أخرى رغبتى فى أن أعيش مع العرب بشكل يعبر عن الفهم ... » .

ولكن الحديث الرسمى المنمق لا يصمد طويلا ، فسرعان ما ينطلق توماس جودمان الأستاذ المتحفظ فى التعبير عن رؤية مأساوية تنفى مقدما أى احتمال للتفاهم :

« لقد وقعنا فى فخ ! فبالحديث عن الحكم الذاتى تصور الفلسطينيون أنهم أصبحوا يمتلكون دولة وهو أمر غير صحيح ! ولو استمر هذا الوضع فسينقلب ضدنا ... أين ستكون الدولة الفلسطينية ؟ وما اتساعها ؟ يعيش الفلسطينيون موزعين بين مصر ولبنان وسوريا والأردن وان حصلوا على دولة فسيعودون جميعا وعددهم كبير ، لدرجة انهم سيحتاجون الى اقليم ضخم ! والأردن لا تريد اعطاء أرض ، وسوريا لن تتنازل عن ملليمتر مربع ومصر كذلك ...

وهكذا سنعود الى مشكلة سنة ١٩٤٧ ، أى قبل انشاء دولة اسرائيل، عندما هرب الفلسطينيون الى البلاد المجاورة التى كانت تتسع للجميع ولكن أحدا لم يقبل وجودهم . أما نحن ، فلو أردنا العودة الى حدود ١٩٦٧ فسنختنق ، لقد زاد عددنا كثيرا ولن تكون هناك فرص عمل

كافية ولا مياه كافية وسيضطر الكثيرون من الاسرائيليين الى تـرك البـلاد ! » .

لقد كانت العلاقات بين دولة اسرائيل التى تخيلها ووضع الأسس النظرية لها وأسسها علمانيون ، وبين الجماعات الدينية دائما غير محددة وتصارعية ، علاقات غير محددة لأن اليهودى الدينى هو بشكل ما الحامل للوعد الالهى الذى يعطى الدافع والشرعية للعودة الى الأرض المقدسة ، لأن شيئا لم يكن ممكنا أن يحدث لو لم يكن الرب قـد قـاد ابراهيم الى كنعان وقال له : « ارفع عينيك وانظر من الموضع الذى انت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا . لأن جميع الأرض التى أنت ترى لك اعطيها ولنسلك الى الأبد » (٢) ، وهى علاقات تصارعيـة كذلك لأن المجتمع الاشتراكى الذى حلم به الصهيونيون الأوائل قد حـل محل الآمال بعودة المسيح المنتظر ودفع الدينيين الى داخـل جيتـو فولكلورى . كتب تيودور هرتسل بوضوح فى كتابه الدولة اليهودية : « هل سنبنى دولة ثيوقراطية ؟ كلا ! اذا كان الايمان هو الذى يحـفظ وحدتنا ، فان العلم يحررنا ولذلك لن نسمح للاتجاهات الثيوقراطية لرؤسائنا الروحيين أن تظهر وسنستطيع أن نحاصرها داخل معابدهم ».

فى ١٩٠٤ تصور الشاعر آندريه سبير ، أحد ملهمى الصهيونيـة الفرنسية تحقيق القومية اليهودية فى فلسطين ، بصفته صراعـا بين الأرثوذكس والعلمانيين من أجل بناء الاشتراكية ، فعلى أثر معركـة نشبت فى لندن بين يهود متدينين ويهود غير مؤمنين كتب يقول : « هذا هو ما ينتظرنا نحن المفكرين الأحرار فى القدس ، فسنضطر الى أخـذ اجازة فى يوم الغفران فاذا ضحكت عيوننا فى ذلك اليوم فسنضرب ، فهل سنذهب الى القدس ؟ الاضطهاد من قبل المسيحيين أو من قبل اليهود ، الا يعتبر ذلك نفس الشىء ؟ ولكن ما أهمية الصراع بين المواطنين فى دولة جديدة ، اذا كنا ما زلنا نشعر بأننا رجال بحق ، فعندما يحصل الاشتراكيون فى الغرب على كل الأوسمة وكل المراكز التى يستحوذ عليها البورجوازيون دون استحقاق ، فربما سيوجه بعض اليهود الشكـر للصهيونيين لانهم فتحوا لهم بلدا يتجرءون أن يعلنوا فيه أنهم مفكرون

أحرار ، أو أنهم اشتراكيون لأن ذلـك سيعنى تعرضـهم لبعـض الخطر ... » (٣) .

اذا كانت الأغلبية الساحقة من الجماعات الأرثوذوكسية قد عارضت الصهيونية بشكل مطلق منذ نشأتها ، فانه كان هناك على الرغم من ذلك بعض الحاخامات الذين أيدوا اقامة وطن يهودى على أسس دينية، فقد شجع حاخام الجور اتباعه على الهجرة واشترى هو نفسه أرضا فى فلسطين لبناء يشيفا ، وحاخام سوكاسيف اشترى هو أيضا أرضا فى فلسطين وهاجر زوج ابنته شخصيا ليخضر الصحراء . وفى فيلنـا بروسيا تكون فى ١٩٠٢ حزب مزراحى الذى رفع الشعـار : « أرض اسرائيل لشعب اسرائيل حسب توراة اسرائيل » وقد أعلن زعماؤه أن واجب كل يهودى هو الهجرة الى صهيون ، وحاولوا أن يعطوا نفحـة دينية للصهيونية العقلانية للآباء المؤسسين ، وقد ضـاع جهدهم اذ لم يستطيعوا أن يضعوا بصمتهم على القواعد الأساسية للوطن اليهودى الجديد ، ففى تحليله للصهيونية الدينية لاحظ الكاتب يهوشع يهودا بعد انشاء دولة اسرائيل ببضع سنوات : « ان تكتـل مزراحى الدينى (*) لا يلعب الا دوراً ضعيفاً فى الصهيونية الأيديولوجية ، ويبدو أنـه هـو نفسه قد تخلى عن محاولة التأثير الأيديولوجى ؛ لأنه يسلم بحتميـة العلمانية الازدواجية المفروضة على الصهيونية من تكتلات اليسار النابعة من الأيديولوجية الديمقراطية أو الماركسية . وكـل ما يطلبه المزراحى هو استمرار بقاء مدارسه ومؤسساته فى اسرائيل ، أما المبادىء الدينية فلم يعد لها أى دور فاعل فى تطور المثل الأعلى الصهيونى » (٤) .

لقد قام ابراهام كوك الحاخام الأكبر لفلسطـين أيـام الانتـداب البريطانى وهو حجة فى دراسة التلمود ، بدور المنظر والداعية للفلسفة الصهيونية الدينية فقد حاول توحيد الجسد والروح ، والبلد والايمـان

---

(★) تكتل مزراحى : حركة صهيونية دينية تمثل هدفها فى تمكين اليهود من السيطرة على فلسطين ، وأن يقيموا بها سلطة دينية . وتأسس هذا التكتل فى عام ١٩٢٠ اثر انشقاق بعض المتدينين عن المنظمة الصهيونية العالمية .

بالتبشير بالوحدة بين المقدس والدنيوى ، يقول : « لقد نسينا أن لنا جسدا مقدسا وليس مجرد روح مقدسة ، فتجدد اسرائيل يجب أن يتم أيضا على المستوى الجسدى » ، ومن وجهة نظره يمكن أن يظهر الحكماء فى أشكال متنوعة ومتناقضة بشرط أن يجمعوا فى ذواتهم المقدس والدنيوى ، أليست رسالة اليهودية هى تقديس الدنيوى ؟ ان تحقيق الوعد الألفى بالعودة لاسرائيل هو بحد ذاته الذى يجعل العلمانيين يجمعون فى مشاركة عظمى الالهى والانسانى ، الجسد والروح . ان الحاخام كوك يطور الفكرة التى بمقتضاها لا يمكن اعتبار رواد فلسطين اشرارا لأن فضلهم فى بناء البلاد يسمو بهم ، وهكذا يلبس الصهيونيون الملحدون والاشتراكيون عباءة البركة الدينية المقدسة فقد شاركوا ، دون أن يعوا ذلك ، فى المخطط الالهى وأعلنوا اقتراب المجىء المرتقب للمسيح المنتظر . يقول الحاخام انه اذا كانت فترة المنفى قد باعدت بين الله واليهود ، فان العودة ستقربهم مرة أخرى ؛ لأن التوراة لن تتحقق كاملة الا على أرض اسرائيل وأرض اسرائيل هى جزء لا يتجزأ من التوراة .

وقد توفى الحاخام كوك فى ١٩٣٥ ، وبعد قيام الدولة كانت أفكاره هى الموجه لحزب المفدال ، أى الحزب الوطنى الدينى ولم تكن نظريته متطرفة بالمرة ، حيث انها نادت بالتعاون مع الحكومة العمالية والحفاظ على التوازن بين المتدينين والعلمانيين والاكتفاء بحد أدنى من التعليم الدينى فى المدارس الرسمية والحصول على اعانات للمدارس التلمودية.

وتغير كل شىء بعد حرب الأيام الستة فى ١٩٦٧ ، فيحكى أنه فى شهر مايو من ذلك العام ألقى الحاخام زفى يهودا كوك بن ابراهام كوك والمكمل لمسيرته عظة مؤثرة على تلاميذه ، تباكى فيها على أرض اسرائيل التى لا زال جزء منها فى أيد أجنبية ودعا فيها السماء بحق كل الأماكن المقدسة من حائط المبكى الى الخليل ونابلس وأريحا ... هل نسيناها ؟ قال متنبئا : ان جيش اسرائيل سيحرر أرض اسرائيل .

وبعدها بأسابيع حطم الجيش الاسرائيلى قوات العرب مجتمعة واحتل القلب الجغرافى للوطن التاريخى .

ولعله من غير الممكن اعتبار كلمات الحاخام كوك نبوءات من وحى الله ولكن ما الفرق ؟ انها ، من وجهة نظر الاتجاهات الصهيونية الدينية الجديدة ، تضع الاستيلاء على الضفة الغربية فى الاطار الواسع لدعوة فاعلة لعودة المسيح المنتظر ، وتجعل من تملك كامل الأرض التوراتيــة الهدف والمبرر للوجود اليهودى على تلك الأرض . وبمرور الأعــوام ، تحول انتصـــار حرب الأيام الستة فى الأسطورة التى نسجت حوله الى جزء من مجىء المسيح المنتظر ، الذى أعاد لليهود مساحات لم تحققها لهم قوة الســـلاح ولا قرارات الأمم المتحدة فى ١٩٤٨ .

ومع ذلك ، فأغلبية اليهود — متدينين أم غير متدينين — كانوا يشعرون كما لو أن الضغط السياسى والتعبئة العسكرية واقتراب الحرب كان اعلانا بحرب ابادة جديدة . وجاء الانتصار بعد ذلك كما لو كان ردا عــلى « الحل النهائى » الذى دبره النازيون : فقد تحرر الناجون من معسكرات الموت قبلها بما يزيد قليلا عن عشرين عاما ، وكان هذا الجيل ما زال موجوداً وناشطاً فى الحياة اليومية . كتب ايلى فيسل فى شحاذ القــدس الذى ألفه فى ظل صدمة الأحداث : « لقد انتصرت اسرائيل لأن جيشها وشعبها كانا يضمان ستة ملايين اسم اضافية » (٥) .

وليسمح لى القارىء هنا باضافة ذكريين شخصيتين تبدوان اليــوم كقصتين من مرحلة تاريخية بعيدة ، الأولى من مترو باريس فى الأيــام الأولى من يونيو ١٩٦٧ ، وكانت الصفحات الأولى من كل الصحف مليئة بأخبار التوتر بين اسرائيل وجيرانها والحرب على الأبواب ... وفجأة سقط شاب يهودى ربما كان ابنا لأحد المرحلين الى المعسكرات ، وكان بالتأكيد وريثا لآلام الحرب ، واخذ يصرخ بكلمات غير مترابطة تظهر بينها كلمات تبعث على الرهبة ... ألمانيا .. المعسكرات .. الأسلاك الشائكة ... وبدا أن الزمن ينكمش والقطارات تجرى فهل ستكون العربة الأخيرة مرة أخرى مخصصة لأصحاب النجمة الصفراء ؟ والتف المارة حوله محاولين دون جدوى تهدئته . وبعد ثلاثين عاما ، فــان تفسير هذه الحادثة انما يعود الى مجال الطب النفسى ولكن من الصعب فهم أو تذكر جو الفوضى الذى كان يسود آنئذ فى الأوساط اليهودية .

واليوم دخلت الكارثة النازية فى التاريخ وأصبحت موضـوعا للـكتب والأفلام والتحليلات ، بل وحتى للطعن فى صحتها ويبتعد الشهود بهدوء وتقرأ الأحـداث فى ضـوء جديد .

أما الذكرى الثانية فمن عالم الصحافة ، فبعد زيارة لى لاسرائيل بعد الحرب ببضعة أسابيع ، كتبت مقالا عنها لاحدى الصحف لا أذكر منه الآن الا العنوان ولكنه يبرز بالتأكيد روح المقال : يبدو أن الاسرائيليين يستعدون للبقاء طويلا فى الأرض المحتلة . ولا يمكن تصور العداوات والانتقادات العنيفة التى سببتها لى هذه السطور من قبل اناس يعلنون صهيونيتهم صراحة ، فقد كان واضحا تماما أن هذه الحرب التى فرضت على اسرائيل لم تكن حربا هدفها الغزو وأن الضفة الغربية المحتلـة ستعاد سريعا للملك حسين .

قبل ١٩٦٧ ابتعد الصهيونيون الدينيون بشكل قاطع عن الأصولية، مشككين فى صحة التعاليم التقليدية لليشيفـوت ، ومبرزين سـلبية انتظار المسيح ، ومؤكدين ضرورة أن يأخذ الانسان مصيره بين يديه ، وبدت الصهيونية الدينية حركة ثورية تعمل على اعادة تشكيل قـوانين الشريعة لتتناسب مع حقائق العصر . وطبقا لهذا الشـكل الجديـد لليهودية ، تبين أن كل النظريات التوراتية والتلمودية الجميـلة تتعارض مع حقائق الحياة : فكيف على سبيل المثال يمكن تطبيق قاعدة اراحـة الأرض سنة كاملة كل سبع سنوات فى بلد اقتصاده مرتبط باقتصاديات العالم الحديث ؟ وقد أعلن الحاخام الأكبر ابراهام كوك وبقية السلطات أن هذه القاعدة لا تنطبق فى فترة بناء الدولة . وهكذا فباسم الواقعية أوقف هؤلاء الرؤساء أمرا من أوامر التوراة ، الشىء الذى أرعب حاخامات الجماعات الأرثوذوكسية . ولكن منذ حرب الأيام الستة وبصفة خاصة منذ الثمانينيات ، بدأ الصهيونيون الدينيون المتطرفون يشعرون بمـركب نقص تجاه الأرثوذوكس المتشددين ، اذ بدا لهم أن هؤلاء الحكماء الملتحين والمتقوقعين داخل اليشيفوت أكثر صوابا منهم فى رؤيتهـم لقـوانين الشريعة اليهودية ، وهنا ظهر التيار الأرثوذوكسى المتشدد فى الصهيونية الدينية والذى أصبح الآن صاحب الأغلبية فى الحزب القومى الدينى .

يعيش يعقوف ذو العينين البراقتين واللحية الصغيرة على طريقة نابليون الثالث فى جيلو وهى حى جديد على مرتفعات القدس : وقد أدى الخدمة العسكرية ثم التحق باليشيفا وهو يعتبر الدولة أحسن ضمان للتقاليد ، يقول :

« تثبت الوقائع أن دولة اسرائيل تحمى اليهودية من الضياع ، فهنا يحدث اكبر عدد من الزيجات بين اليهود فى العالم ، فنحن هنا الجيتو الجديد ! فاذا كانت وظيفة هذا الجيتو هى انقاذ اليهودية ، فعلينا الدفاع عنه حتى لو لم تكن هذه هى دولة المسيح المنتظر » .

وأثناء الحديث زحفت طفلة يعقوف على أربع تحت الطاولة فانحنيت لاداعبها ... وفجأة تصلبت ملامح الأب ومنعنى من لمس الطفلة ... « هذه هى طريقتى فى محاربة انحطاط الأخلاق ، أن أى رجل لن يقترب من ابنتى الى أن تصل الى سن الزواج ... » .

ويمثل رب العائلة الشاب هذا ذو الأخلاقيات المضحكة بشكل غير معقول الاتجاه الأرثوذوكسى المتشدد للصهيونية ، وان كان يتنازل طواعية عن التمسك الدينى بضرورة تدخل المسيح المنتظر لصالح الشعور القومى ، فانه يستخدم فى نفس الوقت كل التعبيرات الغائمة الشائعة فى الأكاديميات التلمودية الأكثر انغلاقا . واعتمادا على النصوص المقدسة لا يرى فى المجتمع المحيط سوى الانحطاط ، ويبدو العالم له كثعبان سام معاد للتوراة ، وحتى العلم متهم فى نظره ، فهو مسئول عن جريمة لا يمكن التسامح معها وهى أن العالم لم يخلقه الله فى عملية واحدة كما يقول سفر التكوين ، فاذا كان وجود الطبقات الجيولوجية يثبت أن العالم قد مر بأدوار تطور ، فان هذا سببه ان العلماء قد زوروا الاكتشافات ... وأساتذة التلمود لديهم الأدلة على ذلك والملحدون يرتعشون خوفا من كشف هذه الحقيقة !

ان تشدد الصهيونية الدينية التى يعتبر يعقوف الأكثر تعبيرا عن الجهالة بين أتباعها ، تجد تأييدا من مجموعة منتقاة من المثقفين الذين جاءوا من فرنسا والولايات المتحدة بعد حرب الأيام الستة ، فهؤلاء القوم

الذين كانوا يعيشون مرتاحين فى منازلهم فى الشتات ، هؤلاء الحاخامات والأساتذة والفلاسفة ، هجموا فجأة لنصرة اسرائيل المنتصرة فعلا ، وليقدموا مساعدتهم الثمينة لبناء الدولة اليهودية ، منادين بأن زمن المسيح المنتظر قد اقترب ، وأن القومية اليهودية هى أوضح تعبير عن ذلك . ولم تكسب اسرائيل بهم ما خسرته الشتات ، فهؤلاء الملقون دروسا والمحاربون فى الساعة الخامسة والعشرين ، نصبوا انفسهم قادة للأصولية وممثلين للصهيونية المتكاملة والمتحدثين باسم المستوطنيين فى يهوذا والسامرة.وقد جعلوا من الأصولية الصهيونية التتويج للأصولية الينية ، فالأحتفاظ بالأراضى أصبح النتيجة الحتمية للقراءة المدققة للتوراة ، أليس الطريق الذى يربط الخليل بنابلس مرورا بالقدس ، هو الطريق الذى سار عليه ابراهيم فى الماضى ، الطريق الذى بنيت عليه ديانة التوحيد ؟

يطلق تلاميذ الحاخام ليون آشكينازى عليه اسم ( مانيتو ) نسبة لشعاره أيام أن كان المندوب العام للكشافة الاسرائيلية فى فرنسا ، حيث كان فى الستينيات يجتذب الشبيبة اليهودية بتعاليمه التى يختلط فيها الدين بالحداثة ، والذكاء مع الجرأة فى الفكر بهدف خلق جذور لجيل ما بعد الحرب . وهذا اليهودى الجزائرى الأصل كان قد رحل الى اسرائيل أثناء الاحتلال ، ثم تغيرت الظروف فعاد الى فرنسا حيث بقى عشرين عاما يحاول اعادة بناء اليهودية التى أضعفتها الكارثة النازية، تحدوه فلسفة انشاء جماعة يهودية — فرنسية ، وفى رأى الحاخام آشكينازى تعتبر هذه مهمة خيالية وقد قرر فى نهاية الأمر أن يختار صهيونية فاعلة . يقول :

« هناك سوء فهم كبير بشأن الهوية اليهودية ، ففى الشتات تعتبر هذه الهوية انتماء دينيا وكثيراً ما يكون وهميا ، أما فى اسرائيل فانها بعد توقف لمدة ألفى عام تستعيد حقيقتها العبرانية المستمدة من انتماء قومى ، الشىء الذى يثير اللبس فى الحوار القائم بين يهود الشتات ويهود إسرائيل . بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة كانت تواجه اليهود من جيلى الذين أدوا الخدمة العسكرية أو شاركوا فى المقاومة مشكلتان

بشأن الهوية : اعادة تأهيل الهوية اليهودية بعد الكارثة النازيـــة ، واستعادة المواطنة الفرنسية التى شككت فيها الدولة الفرنسية ... ولكننا بدأنا ببطء نشعر أن تحولا فى الهوية يأخذ طريقه فى التـــاريخ اليهودى ، فاليهود تحولوا الى عبرانيين فى اسرائيل بفضل الحركـــة الصهيونية ، وكنت أنا من أولئك الذين أخذت هذه الفكرة بعض الوقت لتتبلور لديهم » .

يرى الحاخام آشكينازى أن الهوة بين متدينين وغير متدينين هى نظرة خاطئة ، فالخلاف الحقيقى هو بين الصهيونيين واللاصهيونيين ، اى بين العلمانيين المعادين للصهيونية والمستعدين للتضحية بالبـــلاد ، والصهيونيين الدينيين المدافعين عن القيم الحقيقية ، بين نصف الشعب الذى يريد ، حسب قوله ، انهاء الصهيونية بانشاء دولة عربيـــة فى فلسطين والصهيونيين « الحقيقيين » المتمسكين ببناء دولة يهودية على أرض اسرائيل . والحاخام ليس من أولئك المهووسين الذين يحلمـــون بفوضى عامة ؛ ولكنه ببساطة يستبعد من دائرة الشرعية الدينية كـــل من يخالفونه فى الرأى أو كل من يحلمون باحلال السلام بدلا من مجرد ملء الأراضى المحتلة بالسكان .

كان البروفيسور بنيامين جـــروس مدير المدرســـة اليهوديـــة فى ستراسبورج ، وقد حفزته حرب الأيام الستة هو أيضاً على الهجـــرة لاسرائيل حيث عمل لمدة طويلة أستاذا للفلسفة فى جامعة بار ايلان ، وهو يتميز بالدفء كأحد شخصيات اركمان شاتزيان وحافظ على لهجته الألزاسية ، ويعبر بصوته الرخيم عن مخاوفه بشأن وضع اسرائيل الخاص واحتمال حدوث انشقاق بين اسرائيل والشتات ، يقول :

« لقد قامت دولة اسرائيل على تناقض لم يتم حله أبدا ، فالبعض أتوا ببساطة لضمان معيشتهم والآخرون هاجروا اليها ليدعموا روحهم اليهودية ، انهم لم يكونوا يريدون انقاذ الانسان فى أنفســـهم وانمـــا اليهودى . ان الطريقة التى جرت بها عملية السلام قد همشت جزءا كاملا من السكان لم يستمع أحد لرأيهم وقتها وهم من يطـــلق عليهـــم

المستوطنين فى يهوذا والسامرة، وهم فى واقع الأمر الرواد الذين يستكملون مثلا أعلى صهيونيا . لقد أقرت اتفاقيات أوسلو بفضل الأصوات العربية فى الكنيسيت ، ولا شك فى أن هناك مفارقة فى أن يكون تعريض كل الجهد الصهيونى للخطر يتوقف على القوة الترجيحية للأصوات العربية ! ان شرخا يمكن أن ينشأ لهذا السبب بين اسرائيل والشتات ، أن اسرائيل فى الوقت الحالى ليست دولة العودة وانما هى دولة من يعيشون فيها ، فالباب الذى فتحته اتفاقيات أوسلو يؤدى فى المدى المتوسط الى كيان يهودى — عربى ، وهذه الاتفاقيات تؤكد واقع أن اسرائيل موجودة على أساس معاهدات مقرة سياسيا وجغرافيا وليس على أساس الرغبة فى العودة الى وطن الأجداد ، ولو كان العرب قد أقروا أن لاسرائيل طبيعة خاصة ؛ لكان من الممكن أن نوافق على ترتيبات اقليمية تسمح بالعيش فى سلام مع جيراننا ، ولكن طالما لم يكن هناك اعتراف فعلى بخصوصية اسرائيل ، فان هذا معناه التشكيك فى شرعية وجود الشعب اليهودى على أرض اسرائيل وهذا أمر غير مقبول من وجهة نظرى » .

ان البروفيسور جروس والحاخام آشكينازى يرمزان الى هجرة ترتبت على حرب الأيام الستة ، وقد اختارا أن يعيشا فى اسرائيل المؤسسة على النبوءات ، أو الدولة المرتبطة بالتاريخ القديم والتى يجب عليها أن تحافظ على هويتها الخاصة بكل قوة . أما الآخرون الذين جاءوا هربا من الأوضاع الاقتصادية السيئة أو الحرب أو معاداة السامية، فهم بالمقابل يريدون « تطبيع » الواقع اليهودى ويحلمون — كما كان بن جوريون يحلم فى زمانه — بدولة « مثل باقى الدول » . وقد عبر الحاخام الأكبر يوسف دوف سولوفيتشيك أستاذ التلمود الرئيسى فى جامعة اليشيفا بنيويورك عن ذلك بصيغة لاذعة بقوله ان اليهود قد خلقوا لهم دولة حتى يستطيعوا رفض التوراة ؟ لأنه فى الشتات لم يسمح لهم المجتمع الذى يعيشون وسطه بفعل ذلك ...

وباسم هذه الخصوصية بالذات اعتبر بعض الصهيونيين الدينيين رابين وبيريز خونة للقضية اليهودية ، لأن هذين الزعيمين السياسيين

قد حاولا تطبيع الوجود الاسرائيلى فى منطقة الشرق الأوسط وبذلك قد خانا بالضرورة الدور الخاص لاسرائيل . ان اندماج الصهيونية ـ الأرثوذوكسية قد أفرخ الجريمة : اذ بوضعهم الشريعة اليهودية والاكتمال الاقليمى فوق كل اعتبار آخر ، برر بعض الحاخامات مقدماً عملية اغتيال رئيس الوزراء الاسرائيلى المدان بتسليم أراضى الوطن المقدسة ومنحوها الشرعية ، بل وتجرأ بعضهم بأن أعلن أنها ممكنة ومرغوبة دينيا ، لقد وجد هؤلاء الأساتذة أحكاما دينية لتأييد نظريتهم ، فقانون التتبع ( دين روديف ) يفرض على من شاهد شخصا يتتبع شخصا آخر بنية قتله ، يفرض على الشاهد أن يتدخل لمنع الجريمة وانقاذ الضحية المحتملة ، فلو لم يستطع ايقاف المهاجم فان واجبه الدينى هو أن يقتله . وبالتوسع فى تفسير هذه القاعدة وصل بعض المسعورين الى أنها تشجع على عملية الاغتيال ، فاسحق رابين كان بشكل ما « يتتبع » الشعب اليهودى مشهرا سلاح السلام ، وقد تخلى عن الدور الروحى لاسرائيل بقبوله لتنازلات اقليمية ، وكان الواجب منع هذا الخطر بطلقات الرصاص .

كتب الحاخام يوناثان بلاس مدير برنامج تعليم الحاخامات المخصص لخريجى اليشيفوت القومى يقول : « منذ زمن التوراة كان هناك بعض اليهود الذين سئموا من الدور العالمى المنوط بهم ، وطالبوا بأن يكونوا « أمة مثل بقية الأمم » ، ومتخلين عن اله متشدد فى فروضه الأخلاقية العالمية ، ومفضلين التساهل الأخلاقى النسبى للثقافات متعددة الآلهة المحيطة بهم . ومع ذلك ، فالصهيونية السياسية على الرغم من أنها ليست متدينة صراحة ، الا أنها مؤسسة على القبول الضمنى بهذا التحالف ( مع الله ) ، وعلى هذا فرغبة حكومة اسرائيل فى التخلى عن جزء من الأرض اليهودية أمر يؤسف له . . . لأنها تتعارض مع الضرورات التوحيدية اليهودية المرتبطة دون تنازل باعادة السيادة اليهودية على أرض الميعاد . وهذه الرؤية الأخلاقية هى التى خانها رابين وبيريز باستخفاف ، من خلال رغبتهما فى الوصول الى التطبيع والاعتراف العالمى وذلك فى محاولة فاشلة ويائسة للهروب من الصراعات والالتزامات النابعة من القدر اليهودي الأوحد » (٦) .

ولا شك فى أن الشباب الاسرائيليين الذين ولدوا فى البلاد ، يبتعدون عن قدر يهودى شديد الخصوصية ، فتل أبيب اليوم مدينة حديثة تشبه أية عاصمة أخـرى فى العـالم بمحالها للوجبات السريعة وعلب الليل ، وازدحام المرور الجنونى وكذلك مظاهر البؤس والدعارة والجريمة بها.

وعلى الرغم من كل شىء ، تظل اسرائيل دولة « خاصة » مـن وجهين : الضغط الدينى الذى يفرض الاحساس به ، وتدفق الهجرة المستمر (٧) . فقانون العودة يجعل من كل يهودى مواطنا محتمـلا للدولة غير أن الهجرة لأرض الميعاد تختلف دوافعهـا كثيرا . وابتداء من السبعينيات بدت اسرائيل ، خطأ أو صوابا ، كبلد تأكد مستقبلـه على المستويات الاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية ، بلد أصـبح واقعا لا يمكن انكاره ، وهنا تغير شكل الهجرة ، فالرواد الذين يريدون تخضير الأراضى القاحلة ، حل محلهم يهود يريدون اعلاء شأن يهوديتهم، وأن يرتبطوا بالأجواء الأسطورية لعصر الازدهار التوراتى .

وهؤلاء الوافدون الجدد ، وأغلبهم من فرنسـا والولايات المتحدة ، يدعمون باستمرار صفوف الجماعات السياسية الأكثر تشددا مما يعرف باليمين الاسرائيلى ، وهو تعبير مضلل ، لأن الفاصل فى اسرائيـل بين اليسار واليمين لا يمر عبر التمسك برؤية اجتماعية ما أو برفضها وانما بالارتباط بتشدد قليل أو كثير بالقيم التقليدية . فيسار رابين وبيريز يدعو لاسرائيل متكاملة مع منطقة الشرق الأوسط ، اسرائيل منفتحـة على سياسة التعاون مع الدول المجاورة وحيث يلعب البعد اليهـودى دورا ثانيا ان لم يكن ثانويا ، وبالمقابل فان يمين نتنياهو يبرز الخصوصيات اليهودية التاريخية والدينية ويعبر عن الرغبة العنيدة فى المحافظـة على أراضى يهوذا والسامرة والحـد مـن دور الاتفاقيات الموقعـة مـع الفلسطينيين . وبصفة عامة ، يقف غير المتدينين الى اليسار والمتدينون الى اليمين ، أما الحاخامات القلائل الذين أبرزتهم حكومة بيريز بعـد اغتيال رابين لمحاولة رأب هذا الصدع ، فهم ليسوا أقليـة بـل هم الاستثناء .

ومع ذلك ، فإن كان حزب شاس (*) وزعيمه الحاخام الأكبر عوفديا يوسف يعتبر فعليا فى اليمين ، الا أنه يغير مواقفه ببساطة بين المواقف السياسية المختلفة بقدر واضح من الانتهازية الانتخابية ، ونظرا لكونهم لا ينتمون للاتجاه القومى فانهم لا يقدسون الأرض كما يفعل الصهيونيون الأرثوذوكس وقبلوا فكرة التنازلات الاقليمية ، وقد أمر الحاخام الأكبر عوفديا يوسف بأنه ، عند تأدية الصلاة اليومية شمونيه عسريه ( الثمانية عشر دعاء ) ، على المصلى بعد أن يردد القول : « ليمنحنا الرب الذى يعطى السلام فى سماواته العليا ، السلام لنا ولكل اسرائيل ... » ، عليه أن يخطو ثلاث خطوات الى الخلف وهذا يعنى أنه يمكن بل يجب قبول تنازلات من أجل السلام . وبعد تحليل للموقف مضاد تماما لتحليل حاخامات اللوبافيتش الذين نادوا باستمرار بقاء الجيش الاسرائيلى فى الأراضى المحتلة،قرر الحاخام الأكبر عوفديا يوسف أن المبدأ المقدس للحفاظ على الحياة يفرض التخلى عن بعض المناطق . وعلى الرغم من هذه النظريات الجميلة ، فقد صرح الحاخام الأكبر بأن يوم وفاة النائبة اليسارية المتطرفة شولاميت آلونى المعادية للدين سيعتبر « يوم عيد » ! وبعد ذلك ، وفى اتجاه معاكس لأفكار موجههم الفكرى ، قرر حزب شاس بعد مرحلة من التردد تأييد نتنياهو فى الانتخابات الأخيرة ، حيث بدا لهم أن شخصية زعيم الليكود تستحق من الاحترام أكثر مما تستحق تعاليم التوراة .

ان المهاجرين الذين يأتون لاسرائيل بغرض ممارسة ايمانهم ينضمون بشكل طبيعى الى معسكر اليمين وخاصة أنهم يخشون البقاء على هامش المجتمع الاسرائيلى، يقول آرييه درعى(**) أحد زعماء شاس ووزير

---

(★) شاس : ان هذا الاسم اختصار لعبارة « شومرى سفر توراه » أى اتحاد حرس التوراة . تشكل حزب شاس فى عام ١٩٨٣ بغرض الدفاع عن مصالح اليهود الشرقيين وخاصة المتدينين منهم . يؤيد هذا الحزب الانسحاب من الضفة الغربية وغزة انطلاقا من المبدأ الدينى « من أنقذ روحا فى شعب اسرائيل أنقذ عالما بأكمله » ؛ مما يعنى أن حياة الانسان أهم من الاحتفاظ بالأرض ــ ( المراجع ) .

(★★) آرييه درعى : ولد درعى فى المغرب فى عام ١٩٥٩ ، وهاجر الى اسرائيل فى عام ١٩٦٨ . اسهم فى بداية الثمانينيات فى تأسيس حزب شاس الدينى المتطرف . عمل وزيرا للداخلية خلال الأعوام ١٩٨٨ ــ ١٩٩٢ . وقد ترأس قائمة حزب شاس فى انتخابات الكنيسيت التي جرت في عام ١٩٩٢ ــ ( المراجع ) .

الداخلية السابق : « لا أريد أن أعمم ولكن يبدو لى أن مركز هذا التطرف يحتوى المهاجرين الجدد الآتين من الولايات المتحدة ، وهم تعلموا هناك الديمقراطية الكاملة وعند حضورهم الى اسرائيل يظنون أنهم سينقذون البلاد فى حين انهم لا يكادوا يعرفونها » (٨) .

يتساءل عالم الاجتماع اليسارى كلود سيتبون عن أسباب وجود نسبة كبيرة من المتدينين جدا واليمينيين جدا بين يهود فرنسا ، وهو يقارن هذه الظاهرة مع حالة نزوح يهود بولندا الى فرنسا فى العشرينيات ، وكذلك نزوح المهاجرين من شمال أفريقيا بعدها بنصف قرن تقريبا ، وقد أظهرت التحقيقات أنه توجد بين هذه الجماعات حديثة التجنس نسبة أعلى من المتوسط فى ممارسة واجبات المواطنة مثل الاشتراك فى الانتخابات ، وبالمقارنة نجد أن يهود فرنسا ومثلهم يهود الولايات المتحدة قد استقروا فى اسرائيل دون أن يشاركوا فى الحرب ودون حتى أن يؤدوا الخدمة العسكرية ، وهم محتاجون أن يشعروا بأنهم اسرائيليون أكثر من الاسرائيليين ، وهم يعتقدون أن اتخاذ مواقف راديكالية علنية ، وتبنى النظريات المتطرفة هى خير برهان على اندماجهم فى المجتمع واظهار وطنيتهم الحقة .

وتضم معظم الحركات المتطرفة فى حقيقة الأمر أعداداً كبيرة من اليهود القادمين من الشتات، ففى١٩٨٤ انتخب الحاخام مائير كاهانا للكنيسيت وكان هذا هو قمة النجاح لابن بروكلين الذى هاجر لاسرائيل ليفرض صوته المتعصب . وقدم هذا المتهوس بالنقاء العرقى مشروعات قوانين الى البرلمان تقضى بطرد غير اليهود من القدس ، ومنع الزيجات المختلطة ، وسجن من يمارسون علاقات جنسية أطلق عليها « بين ـــ عرقية » بين يهود وعرب ! وقد لاحظ مراقبون كثيرون التطابق التام بين النازية والكاهانية . ومع ذلك ـــ وهذا فارق مهم ـــ فان الكاهانية مصدرها أصولية دينية ليس لمجرد أن منشئها كان حاخام ، وانما لأن نظرياتها كانت ترجع باستمرار لقوانين الشريعة ، وهى قوانين دفعت الى حدودها القصوى مما غير من طبيعتها ، فقد اعتبر أن كل عربى هو عدو لدولة اسرائيل ثم استشهد بالتوراة ليعلن : « اذا قام أحدهم ليقتلك

فاقتله انت أولا » . وقد لاقت حملاته المعادية للعرب صدى حسنا لدى الكثير من الهيئات الدينية المتطرفة ، وعندما قامت حركته فى ١٩٨٦ بسلسلة من الأعمال الهادفة الى منع اللقاءات بين الشباب من اليهود والعرب ، فقد قام عدة مئات من الأرثوذوكس بمظاهرة عنيفة أمام مدرسة الليسية فى القدس لقيامها باستقبال ثمانين شابا فلسطينيا من الناصرة ، واذ أخذتهم الحمية الدينية قام هؤلاء المتدينون بتكسير زجاج المدرسة ، ووصف حاخام أكبر الاتصالات بين اليهود والعرب بأنها«شيء كريه»(٩) .

ولكن كاهانا لم يكتف بالكلمات ، ففى ١٩٨٩ فتح جندى اسرائيلى يرتدى الطاقية النار على مجموعة من الفلسطينيين أمام باب يافا فى القدس ؛ فقتل واحداً وجرح ثلاثة وعلق الحاخام قائلا : « ان هذا لا يعد اغتيالا بل مجرد قتل عربى » ! .

ولم ينتخب مائير كاهانا ثانية للكنيست فقد حكمت المحكمة العليا بعدم شرعية حزبه ( كاخ ) على أساس كونه يريد أن يحرم فئة من المواطنين من حقوقهم المدنية ، فان هذا يتعارض مع الطبيعة الديمقراطية للدولة .

وصاح كاهانا : « ان غير الأنقياء قد استبعدوا الأنقياء ! »

وفى الولايات المتحدة وقف الحاخام أمام ميكروفونات الصحافيين يعلن آخر صيحاته : فهو سينشيء حزبا جديداً ويعود الى مقدمة المسرح ، وهو يحضر خططاً عظيمة لانشاء دولة مستقلة فى يهوذا والسامرة ... ولكن عدد أتباعه كان قد بدأ يتراجع فالكثيرون فضلوا ان يتابعوا تحقيق رؤاهم السياسية خلف زعيم اقل تلوثا ، وعندما تم اغتياله فى نيويورك فى ١٩٩٠ على يد « مهووس » آخر عربى هذه المرة ، كانت قواته فى اسرائيل قد تفرقت . وعندما حمل ابنه بنيامين المشعل بخلق حركة كاهانا حاى ( كاهانا حى ) لم يلتف حوله الا المربع الأخير من المتعصبين ، وقد قامت قوات المؤخرة هذه التى شوهت تفكيرها تصريحات زعيمها المملوءة حقدا ، بإلقاء قنبلة يدوية فى الحى العربى بالقدس القديمة فقتلت واحدا وجرحت ثمانية ... وقد حكم

على مرتكبى هذا الاعتداء وهم أربعة أعضاء صغار من حزب كاهانا حاى بالسجن من خمسة الى خمسة عشر عاما ، وحوكم بنيامين كاهانا نفسه أمام القضاء الاسرائيلى بسبب اعتداءاته على قرى عربيـــة فى المناطق المحتلة .

وفى الواقع ، فان اليمين الاسرائيلى المتطرف لم يعد بحاجـــة الى كاهانا اليوم ، فاذا كانت الحركة لازالت تعيش بعده فانما ذلك بفضل وسائل الاعلام وتمجيد بعض المتعصبين ، وهناك الآن تشكيلات أخرى تشيع الأفكار المتطرفة ولكن بغير الصورة الفاشية الصريحة . فرجل مثل رحبعام والذى يطلق عليه اسم غاندى ، أقل شهرة فى الخارج مما كان عليه مائير كاهانا حيث انه لا يتمتع بذلك الاهتمام من وسائل الاعلام الذى اكسب الحاخام الأصولى كل تلك الشهرة . ويظهر غاندى الذى كان محاربا فى البالماخ أيام حرب الاستقلال ثم جنرال فرقة فى الجيش الاسرائيلى ثم رئيس مجلس ادارة متحف تل أبيب، كرب عائلة طيب ،وحصل حزبه السياسى موليديت ( الوطن ) على ثلاثة مقاعــد فى الكنيسيت فى ١٩٩٢ ( من مائة وعشرين ) ، ومقعدين فى الكنيسيت فى ١٩٩٦ ، وهى نتيجة لا بأس بها على أية حال ، اذا ما علمنا أن حملاته الانتخابية تعتمد برنامجا فى غاية البساطة وهو الترانسفير أى نقل السكان الفلسطينيين من يهودا والسامرة وغزة الى البلاد العربية . صحيح أننا نترك هنـــا مجال الأصولية الدينية لندخل تماما فى مجال اليمين السياسى المتطرف ، ولكن ترديد غاندى للأفكار الكاهانية وانما بصوت خفيض يثير حماس النواة الصلبة للصهيونيين الدينيين .

يهوشع كراتزنيكر طالب مجد فى جامعة بار ايلان الدينية بتل أبيب وهو ذو وجه أبيض جامد حليق وعمره سبعة وعشرون عاما ، وقد اتم دراسته الحاخامية الا أنه التحق بفصل لدراسة المحاسبة نظرا لأنـــه لا يريد أن يعمل فى سلك رجال الدين ، وقد ولد فى هولندا حيث كـــان والده مبعوثا فى مهمة هناك لتنشيط حركة الشبيبة الدينية بنى عكيفا ، وقد أعطى صوته للحزب الوطنى الدينى وان كان لا يعتبر نفسه متطرفا، وبدأ حديثه بدرس فى التاريخ قائلا :

« فى ١٩٤٨ طرد العرب من منطقة تل أبيب ونحن اليــوم نعيش بكل أمان فى هذه المنطقة ، وسيكون جميلا ان نعيش بنفس درجة الأمان فى بقية القطاعات ... اننى أؤيد سياسة الترانسفير للعــرب ، وان كان ذلك غير ممكن اليوم فيجب ان نحضر له ، كيف ؟ بأن نمنع العرب من العمل فى اسرائيل ، وأن نشترى منهم الأرض ، وان ندفع لهم لكى يهاجروا ، وأن نحتفظ بكل الأراضى تحت الادارة الاسرائيلية ، وبذلك نخلق الظروف التى تسمح بالترانسفير فيما بعد . وعلى أية حــال ، فموضوع الأراضى هذا شىء لا وجود له ، انها احدى مراحل الحــرب لا اكثر ... فعند وقف اطلاق النار فى ١٩٤٨ بقيــت بعض الأراضى خارج الحدود وهذا كل ما فى الأمر ، ولكن فكرة أراض محتلة او محررة لا معنى لها ، انها أرض اسرائيل على ضفتى الأردن . والآن مع بنيامين نتنياهو ، فالحكومة ستعطى العرب ارضا أقل ولكنه ليس رئيس الوزراء المثالى من وجهة نظرى فقد كنت أفضل شخصا اكثر راديكالية » .

وأسأل يهوشع ان كان يتمنى أن تقوم فى اسرائيل دولة تحكمها قوانين الشريعة ، ويدور بينى وبين هذا الطالب الحكيم من جامعة بار ايــلان هذا الحوار الجنونى المخيف :

« طبعا اتمنى دولة تحكمها قوانين الشريعة ، وسيحتاج الأمر الى مرور جيل او جيلين ، والكل سيتوقف على معدل الانجاب لدى المتدينين وسرعة هجرة غير المتدينين الى خارج اسرائيل ، وعندها سيبنى قانون البلاد على أساس الشريعة .

— وسيتم رجم مرتكبى الزنا كما تقول التوراة ؟

— طبعا ما دام هذا هو ما تقضى به التوراة ...

— ولن يستطيع الانسان أن يتناول طعاماً غير حــلال فى اسرائيل حينئذ ؟

— بالتأكيد فاليهود لن يسمح لهم بتناول طعــام غير حــلال ولن يسمح بوجود متاجر للطعام غير الحلال ، وتقضى الشريعــة بأن المكلف بأكل ما تحله الشريعة إذا ضبط وهو يتناول طعام غير حلال ، يعاقب بالجلــد .

ـــ والا يذكرك هذا البرنامج بالبلدان الاسلامية المتطرفة حيث تقطع يد السارق ؟

ـــ لا بالمرة ، ان هناك فرقا كبيراً بين الشريعة اليهودية والشريعة الاسلامية ، ان الشريعة اليهودية تعبر عن قيم أخلاقية عظيمة وجميلة .

ـــ ان فرض الدين بالقوة ليس موقفا ديمقراطيا ...

ـــ صحيح ولكن الأخلاق أهم من الديمقراطية ، ان الشريعة تؤكـــد القيم الأخلاقية بقوة تجعل غياب الديمقراطية أقل الضررين .

ـــ هل تقبل تقديم تنازلات من أجل السلام ؟

ـــ ان اليمين مكون من عائلات متدينة أو تقليدية ، أما ناخبو اليسار فعلمانيون بل انهم معادون للدين ! وانا كرجل متدين أعلم أننا نملـــك أرض اسرائيل بفضل وعد الرب ، ولذلك ليس هناك أى مبرر لاعطاء العرب أية قطعة من هذه الأرض حتى فى مقابل السلام .

ويعبر يهوشع الطالب الحاصل على دبلوم الحاخامية بصدق عن الإتجاه الذى يزداد تشددا لدى الشـــباب الصهـــيونى الدينى ، وهم لا يحتاجون للبحث عن المجموعات المتطرفة الصغيرة للتعبيـــر عـــن أصوليتهم الدينية ، فقد التحمت النواة الصلبة بالأطراف .

ويقوم الكاهانيون السابقون اليوم بدراسة النصوص واستخدامها سلاحا للأصولية ، وهم يسيرون اليوم فى طريـــق أكثر أرثوذوكســـية ؛ ولكنهم يستخدمونه للتعبير عن مخاوفهم القديمة . ويملك نير وعمره يقل عن ثلاثين عاما تاريخا سياسيا فقد كان من أتباع الحاخام الأمريكى . وكان يغطى حوائط القدس بالشتائم العنصرية ضد العرب تعبيراً عـــن أفكاره الفاشية اليهودية . وهو اليوم مستغرق فى الدراسات الدينيـــة ويحيا حياة الأتقياء فى احدى مستوطنات الضفـــة ، وعلى الرغم من أن حديثه منضبط أكثر الا أنه مشابه تماما فى الأساس لأقوال كاهانا فى الماضى وتظهر فيه نفس العبارات .. الحق الالهى ... الارث الذى لا يمكن التنازل عنه ... الوجود الأجنبى غير المحتمل ... وكل ما هنالك أن نير لا يستشهد الآن بأمريكى يهذى وانما بالتوراة ذاتها .

الحاخام آلان ميشيل ليس من أولئك المتعصبين حتى النهاية مع أنه صهيونى صريح ومتدين تماما ، وهو دكتور فى التاريخ وينتمى الى الحركة المحافظة التى تقبل بقدر من التطوير فى قوانين الشريعة ؛ ولكنه يتصور هذا التطور كمؤرخ أكثر منه كحاخام . وهو يلاحظ أن عودة اليهود الى أرضهم قد سببت لهم عودة صعبة الى الواقع ، فمنذ مائتى عام قضى خروج اليهود من الجيتو على الاستقلال الذاتى للطائفة وفى نفس الوقت أبعدها عن الواقع الملموس وأصبحت الحقيقة الوحيدة بالنسبة لهم هى الشعائر الدينية ، حيث اندمجت اليهودية فى المجتمع فى كل ما لا يمت الى الشعائر ، وتطورت الهوية اليهودية فى المجال النظرى الصرف وبالتالى الدينى الكامل ، وكان من المريح عندئذ أن يكون المرء يهوديا فطالب اليشيفا كان يخصص نفسه للبحث فى افتراضات صرف ، فى حين يقوم آخرون بادارة شئون المجتمع . وبالهجرة للأرض المقدسة يجد الصهيونى الدينى نفسه فى مواجهة المشاكل الملموسة للسياسة والمجتمع وهو تغيير مرهق ولا شك ، ويضطر المؤمن حينئذ الى ان يتخذ قراراً اما بتجاهل هذا البعد تماما — وهؤلاء هم المعادون للصهيونية — واما بالاعتراف بأن العملية مرتبطة بشكل ما بمجىء المسيح المنتظر — وهؤلاء هم الصهيونيون الدينيون . ولكن فى الحالة الأخيرة لا تسير الأمور بالطريقة التى قال بها الأنبياء ، وعلى المؤمن أن يقوم بتغيير الواقع ليتمشى مع النبوءات ؛ لأن النصوص لا يمكن أن تكون خاطئة ولا بد ان الواقع هو الخطأ .

فى ديسمبر ١٩٩٥ ترك الحاخام شاؤول — دافيد بوتشكو القدس ؛ ليقيم اليشيفا فى أكشاك سابقة التجهيز فى كوهاف يعقوف وهى مستوطنة أقيمت على التلال البيضاء ليهودا . ومنذ نصف ساعة فقط تركت الشوارع المزدحمة للقدس مارا بمنزل رسم على واجهته علم فلسطينى ضخم وها هى المبانى الصغيرة ذات السقوف الحمراء للمستعمرة اليهودية الصغيرة ... ويهز سائق التاكسى الاسرائيلى رأسه : « لا أفهم لماذا يعزل هؤلاء الناس أنفسهم هنا » .

وعلى البعد تظهر مئذنة بيضاء ... ومنذ عشر سنوات جاءت بعض العائلات المتدينة الى هذا الموقع ونصبوا خيامهم وبدأت بعدها تبنى

بعض المساكن ، واليوم يعيش حوالى الف شخص فى هذا المكان الذى حدثت فيه المعركة بين الملك شاؤول والفلسطينيين .

قال لى الحاخام بوتشكو : « اننا فى قلب التاريخ اليهودى ، ومن قمة التل نرى بقايا معاصر عمرها أكثر من ألفى عام » .

وأشعر بالعاطفة التى تهز مشاعر هذا الرجل الذى جاء جده من وسط أوروبا فى ١٩٢٧ لينشىء مدرسة تلمودية فى سويسرا على ضفاف بحيرة ليمان . ومن جيل الى جيل جلس الطلبة على مقاعد اليشيفوت ليقرءوا ويعيدوا قراءة ويحللوا ويعلقوا على النصوص التقليدية ، وتحدثوا عن يهوذا كأرض بعيدة مفقودة ، وتذكروا أماكن أسطورية عاشت فى مخيلتهم ، ففى ليتوانيا وبولندا وروسيا وحتى فى سويسرا لم يكونوا يعيشون فى الأماكن الملموسة التى تحيط بهم والتى آوتهم ، وانما فى عالم متخيل ولا يمكن الوصول اليه ... واليوم يقف ابن هؤلاء الأسلاف ويعلم على هذه التلال التى لم تنس أبدا ، فياله من طريق ! لقد كان الحلم قوياً لدرجة أنه أصبح ملموساً ومحسوساً وقاد خطى الحاضر . يقول الحاخام بوتشكو بشىء من الاحباط :

« لقد منحنا القدر فرصة رائعة فى ١٩٦٧ ولكن هل وعيناها فعلا ؟ هل استجبنا لهذه الدعوة العظمى لاستعادة اليهود من المنفى ؟ اننا لم نستمع اليها ، وهذا هو السبب أننا اليوم فى هذا الموقف المأساوى الذى لا حل له ، لو كان ثلاثة أو أربعة ملايين يهودى قد عادوا ليقيموا فى يهوذا والسامرة ليخلقوا واقعاً مفروضاً لكان الوضع قد تغير كثيرا ، ولكن هذا لم يحدث ... اننى أفهم أولئك الذين لا يريدون الاحتفاظ « بالأراضى » فان السيطرة على شعب أجنبى تخلق مشاكل أخلاقية وتجلب لنا عداوة الأمم ، ولكننى أفهم أيضاً أولئك الذين يؤكدون اننا يجب الا نترك هذه المناطق .

هل أخفى الفلسطينيون فى أى وقت رغبتهم فى أن يمتلكوا يوما ما كل مساحة اسرائيل ؟ إنه لمن الجنون أن نسهل الأمر لعدو مستعد أن يقضى علينا ! ويجب بالطبع ايجاد حل بالنسبة للسكان غير اليهود ، ولكن

هذا يجب أن يتم على أساس أن هذه أرض يهودية . اذا اعترفنا مثلما فعل بعض الوزراء العماليين من قبل بأن حبرون ( الخليل ) مدينة عربية، فان هذا يدفعنا الى عمل نفس المقارنة مع تل أبيب ! ان تل أبيب تسكنها بالتأكيد اغلبية يهودية فهل يعنى هذا أن المدينة أصبحت يهودية بمجرد العدد وليس بالقانون ؟ وبالقياس لو أصبحت أغلبية سكان الخليل يهودية ، فان المدينة تصبح يهودية هى أيضاً ... ان الأمر لم يعد مسألة قانون وانما توازن قوى ، ولو كان وجودنا فى هذه البلاد مبنياً فقط على توازن القوى ، فان العرب يصبحون أصحاب الحق » .

وعلى بعد بضعة كيلومترات،فى بيت أيل الواقعة على الخط الفاصل بين يهوذا والسامرة ، وفى الموضع الذى تفيد التوراة بشأنه ان الأب الأكبر يعقوب حلم فيه بسلم يمتد من الأرض حتى السماء ، يعيش أربعة آلاف شخص حياة يهودية عميقة الصلة بالأرض ، فجزء كبير من المستوطنة مخصص للمدارس التلمودية وأساتذتها وطلبتها . والمرشد الفكرى للمستوطنة اليمينية الدينية حاخام بلجيكى يدعى شلومو آفنير ، وهو يوزع تعاليمه على عدد من المدارس التلمودية وقد التقيته أخيراً فى القدس فى طريق حائط المبكى ، حيث يمر فى طريقه من محاضرة لأخرى . وأجد صعوبة فى تصديق أن هذا الرجل الضعيف الوجه المصفر فى لون أحجار الحائط ، هو القائد الذى يشعل مدارس الصهيونية الدينية الأصولية ، وهو يسير ببطء بخطوات محسوبة ولكن ليس لديه الوقت للحديث معى خاصة والأطباء يوصونه بالراحة بعد عملية استبدال جزء من الشريان التاجى ... وفى الواقع ، فان الحاخام آفينير يحترس فى الحديث منذ ورد اسمه ضمن قائمة بأسماء ثمانية حاخامات ، أعطوا لقاتل رابين الحق التوراتى فى ارتكاب جريمته . والاتهام بهذا الشكل المباشر والفج غير صحيح طبعا ويعتبر تشهيرا ، فالأمر يتعلق بمنظومة كاملة من التعاليم تجعل من الأرض وامتلاكها مبررا لكل الأعمال المتطرفة . ولقد كان الحاخام آفينير أكثر صراحة فى وقت ما : « لا يمكن قبول الحجة بأن الإستيطان مرفوض لأنه يتعارض مع الاتفاقات الدولية ، فمبدأ الاستيطان فى الأرض المقدسة يأتى قبل أية وصية أخرى من وصايا التوراة ، وعلى ذلك ، فمن البديهى

ان أى قرار من اية سلطة سياسية باعادة جزء من أرض اسرائيل الى غير اليهود هو قرار مخالف لقوانين الشريعة التى هى دستور الدولة اليهودية وشعبها وارضها » (١٠) .

وفى بيت ايل يتحدث تلاميذ الحاخام آفينير بحرية أكبر ، ويقول حاييم عوزان مسئول التعليم وجيبه منتفخ بالمسدس ، انه يرفض اعتبار ان الوجود الاسرائيلى فى يهودا والسامرة عقبة فى طريق السلام : « ان المستوطنات لا تعرقل عملية السلام ولكنها توقف انسحاب اسرائيل من أرضها .. » .

وعلاوة على ذلك ، فالحاخام شيمون كلاين مسئول اليشيفا متأكد من أن كل سكان بيت أيل على استعداد للقتال من أجل هذه الأرض ، ويقول : « لقد مرت المستوطنة بظروف صعبة ولكن كل من هم هنا قد جاءوا لأسباب أيديولوجية وهم مطعمون عقليا وجسديا ، وهم مستعدون لتضحيات وآلام من أجل أيام أفضل ... انى على يقين من أن بلاد اسرائيل ستشكرنا فى يوم ما وستعترف بأهمية هذه المستوطنات » .

ويعبر ابراهام دريه الذى يعد نفسه ليصبح حاخام فى فرنسا ، فى بضع عبارات عن أسس تعاليم الصهيونية الدينية : « ان المقيمين فى يهوذا والسامرة هم هناك ليؤكدوا الحقيقة ، وهى حقيقة فى نظر كل شعب اسرائيل بما فى ذلك فى الشتات : وهى أن كل أرض اسرائيل دون أى استثناء هى ملك الشعب اليهودى . ولا يهم أن كان الشعب يريدها أم لا فهذا قرار لا يمس هذه الحقيقة ، فحتى لو قررت الأغلبية الساحقة للشعب اليهودى اعطاء أى جزء من هذه الأرض لأية قوة أجنبية ، فهذا لن يعطى هذا الحل اية قيمة قانونية . ان أرض اسرائيل هى ملك ليهود الماضى ويهود الحاضر ويهود المستقبل ، وأنا لا أستطيع أن أتخذ القرار بالنسبة لجدى الذى حلم فى الماضى بما أحياه أنا الآن ، ولا أستطيع أن اتخذ القرار بالنسبة لأبنائى وأحفادى . ان كل الاتفاقيات ليست لها قيمة فى مواجهة الحقيقة المكتوبة فى التوراة ... » .

وهؤلاء الطلبة القوميون الذين يكرسون أنفسهم للمحافظة على ايمان اسرائيل لا يستفيدون مثل الأرثوذوكس من الاعفاء الدائم من الخدمة العسكرية ، فهم فى المقابل متمسكون بأداء الخدمة ولكن دون التخلى عن شعائرهم المتشددة . فقد تم الاتفاق بين المدارس الدينية والجيش الاسرائيلى على ادائهم الخدمة فى خمس سنوات — بدلا من ثلاث للآخرين — وبذلك تسمح المدارس الدينية لهم بالخيار المزدوج ، وهو انهاء دراستهم الدينية والانضمام الى الجيش . وقد تم الوصول الى هذا الاتفاق لارضاء الحاخامات الصهيونيين ، الذين كان يدفعهم لليأس رؤية طلابهم فى كثير من الأحيان يفقدون ايمانهم بعد اداء الخدمة العسكرية ويلقون بالطاقية الدينية الى الرياح ، والوجه الآخر للعملة هو أن المتدينين لم يستطيعوا أبدا أن يندمجوا فى الجيش ، فالطلبة — الجنود كانوا دائماً على الهامش واستفادوا دائما بفترة تجنيد قصيرة ، ولم يكن ممكنا لهم الوصول الى مراكز ذات مسئولية .

وابتداء من ١٩٩٢ ، تم الوصول الى نظام جديد يسمح للقوميين الدينيين بالحصول على دورات سابقة على الخدمة العسكرية ، تتضمن دراسة التلمود وفن الحرب فى نفس الوقت ، وبعدها يقضون ثلاث سنوات فى الخدمة العسكرية مثل الباقين وانما بصفة مدربين . ويتخرج ثلاثمائة شاب سنويا من هذه الخدمة الخاصة والتى هدفها المعلن هو خلق فئة متميزة دينيا داخل الجيش ، فلم يعودوا يكتفون اليوم بخدمة عسكرية قصيرة لتتمشى مع أيديولوجية يعبرون عنها أولا على مقاعد الدراسة ، وانما يعمل الصهيونيون الدينيون اليوم على التغلغل فى داخل النظام بما فيه جيش اسرائيل : حتى يسكتوا كل أولئك الذين يعيشون بعيداً عن أحكام التوراة .

واذا كان الاتجاه الأكثر تشددا هو المسيطر الآن على اليمين بصفة عامة فانه لازالت هناك بعض الجماعات المتطرفة المنعزلة ، فهناك حركة نشأت فى الولايات المتحدة اسمها زوآرتسينو ( هذه أرضيا ) ، تدعى أنها تسير على خطى مارتن لوثر كينج فى العصيان المدنى دون اللجوء للعنف ، الا أن ثلاثة من زعمائها قدموا للمحاكمة فى اسرائيل بتهمة

التحريض على العنف ، وقد صرح أحد زعماء الحركة موشيه فيجان : « أن رابين هو « اليودنرات » الذى وضعنا فى القطارات » . ( واليودنرات هى المجالس اليهودية التى انشأها النازيون لتنظيم ترحيل اليهود الى المعتقلات ) وفى أغسطس ١٩٩٥ ، قامت حركة زو آرتسينو بالتحريض على بعض المصادمات قرب بيت ايل قتل أثناءها شخص عربى باطلاق النار عليه .

وتوجد جماعات أصغر حتى من هذه وتضم حفنة من الأتباع تجمعهم أحيانا أفكار عجيبة ، هامشية دائما ، ولكن يمكن فى الجو المشحون حاليا أن تصبح عود الكبريت الذى يشعل نار العنف .

قابلت دافيد بلحسن فى احد ستوديوهات القدس حيث يعمل سيناريست ؛ ولكنه يعتبر نفسه أساساً زارعاً فى مستوطنة شانى فى التلال جنوب الخليل ، وهو عضو فى جماعة صغيرة تدعى موراشتى ( ميراثى ) هدفها اعادة تأسيس الحضارة اليهودية القديمة ، حضارة الملك سليمان الذى كانت مملكته تتجاوز تخوم الأردن . وبعد أن أيد أمام عدسات التليفزيون الأمريكى اغتيال رئيس الوزراء ، بعد أن أكد أن بعض أصدقائه قد قتلوا على يد ارهابيين عرب سلحهم رابين ، قبض عليه وسجن بتهمة تأييد الاغتيال . وقد أكد لى : « عندما أرى كاهن لاسرائيل شعبى يتعرض لتدمير نفسه فعندئذ أؤيد اغتيال رابين .. » .

ومن وجهة نظر دافيد ، فان العرب غزاة فهم أحفاد الاستعماريين العرب المسلمين الذين احتلوا هذه الأرض فى القرن السابع ، ومعركته تهدف الى تحرير المنطقة بطرد المحتلين . ولكن أتباع موراشتى ليسوا مستعدين لاطلاق النار على العرب فقط وانما ينوون كذلك الصراع ضد جزء من المجتمع الاسرائيلى ، يقول :

« نحن نستعد لحرب أيديولوجية ضد السكان اليهود ولكنها قد تتحول الى حرب أهلية صريحة اذا ما وجدنا أن نسبة كبيرة منهم تتعاون مع العدو وتكرر ما حدث منذ ألفى عام ، عندما تعاونت سلطة الحاخامات الفريسيين مع الرومان للقضاء على المتحمسين السيكاريين ، وهكذا اذا فرضت علينا الحكومة الاسرائيلية اخلاء يهوذا والسامرة

فسنحارب بكل الوسائل ! ومنذ أن صافح رابين عرفات فقد الجيش الاسرائيلى شرعيته ولم يعد جيش الشعب ؛ وانما أصبح أداة لسياسة تطهير عرقى ضد شعب اسرائيل على أرضه . صحيح أن نتنياهو ليس بالأساس خائنا مثل رابين ولكنه انتهازى للغاية وليس له اية أيديولوجية ، انه يمثل لنا شيئا عفا عليه الزمن ، انه لن يوقف عملية السلام ولكن رغبته فى الحفاظ على ماء الوجه ستجعل العرب يفقدون صبرهم وسيكشفون عن حقيقتهم ، سوف ينزعون القناع الذى يضعونه لأسباب تكتيكية ويظهرون بوجههم الحقيقى كثعبان سام » .

ويعترف دافيد أن ما دفعه باتجاه التطرف كان تلك المصافحة بين رابين وعرفات ، ويسخر من مصير الارهابيين قائلا : « ان عرفات من أحط انواع الارهابيين فقد أباد رجالا ونساء وأطفالا وشيوخا ثم نال جائزة نوبل للسلام ! وهذا ما يطمئننى ... يقال عنى اليوم اننى ارهابى وربما بعد عشرين عاما أمنح جائزة نوبل ، ولو كان هذا هو قدر كل ارهابى فمستقبلى وردى ! » .

ويفرخ الدين جماعات صغيرة أخرى ليس من الواضح ما تهدف اليه ، فعوزى ميشولام يصف نفسه بأنه حاخام وان كانت السلطات الدينية لا تعترف بذلك . وقد خلق هذا اليمنى ذو الخمسة والأربعين عاما والوجه المنتفخ ، والذى يلبس باستمرار الجينز والجاكت الجلد والمسدس فى وسطه ، خلق جماعة حقيقية تقلق السلطات . وفى ٢٣ مارس ١٩٩٤ تحصن هو ومائة وعشرون من أتباعه فى فيلا فى حى يهود بتل أبيب لمدة تزيد عن شهر ضد السلطات التى كانت تريد القبض عليه ، وتبودلت الطلقات أثناء الحصار وقتل أحد أتباعه . وفى ١٠ مايو قبض على ميشولام وأحد عشر من اتباعه وحكم عليه بالسجن لمدة ستة أعوام ونصف بتهمة « التآمر للقيام بعمل اجرامى » .

قال أحد كبار ضباط البوليس : « ان ميشولام لديه كل صفات قائد جماعة ، فهو ذكى وله كاريزما وجنون العظمة ولا حدود لتصرفه ، ان لديه قدرة كبيرة على الاقناع وأتباعه يسيرون وراءه بلا معارضة »(١١).

ويشك البوليس فى أن الحاخام خطط لزعزعة الدولة بتخريب عدد من الهيئات الحكومية ، ولكن آفياد ليفى المتحدث باسم الجماعة يكذب بشدة هذه الاتهامات التى رددتها الصحافة الاسرائيلية ويؤكد أن هدف الجماعة هو مجرد تعليم التوراة وأعمال الخير .

ويصف لى زعيمه وهو ينظر نظرات سوداء وهو بجاكتته الجلديـــة قائلا : « ان الحاخام له مقدرة هائلة على الفهم ويضعها تحت تصرف الجميع ، انه رجل عميق الايمان وايمانه يشع على من حـــوله حتى لو كانوا من غير المؤمنين ، وهو عالم ليس فقط فى أمور الدين وانما فى مجالات أخرى كثيرة كالطب والسياسة والأعمال ... وهو يرجع فيها جميعاً للشريعة ، وعديدون يسألون الحاخام النصيحة قبـــل التوجـــه للطبيب ، وهو ينصحهم ولكنه يقول ان الرب هو الذى يشفى وليس هو ! » .

ثم يتحدث الى آفياد طويلا عن قضية الأطفال اليمنيـــين ، وهى قضية تهز المجتمع الاسرائيلى منذ عشرات الســـنين . ففى أواخـــر الأربعينيات عندما وصل يهود اليمن الى اسرائيل اختفى عدد من الرضع من بينهم ، فهل ماتوا بسبب نقص الغذاء أثناء المسيرة الطويلة الى عدن نقطة اللقاء قبل العودة للأرض الموعودة ؟ هل تبنتهم سرا عائلات غنية ؟ واللغز لم يحل بعد !! . ويدعى آفياد أن الحاخام ميشولام لديه الأدلة القاطعة على وجود تجارة كان الهدف منها ملء الخزانة الخاوية للدولة الوليدة ، وهو يذكر أرقاما خيالية : أربعة آلاف وخمسمائة طفل من اليمن ولكن كذلك من ايران وسوريا والمغرب بيعوا الواحد مقابل خمسة آلاف دولار الى أديرة أو أزواج ليس لديهم أطفال فى العالم أجمع ، ولكن أين هى الأدلة ؟

« ان الحاخام لا يريد اظهار الحقيقة لأنها مؤلمة فليس من السهل الجمع بين الآباء وأطفالهم ... » .

ويدعى ميشولام أن لديه صورا وملفات وأنه يعرف أسماء الأطفال المخطوفين ، ولكنه يخفى هذه الأدلة بعناية حتى لا يسبب الألم لأطفال بلغوا اليوم الخمسين عاما ...

وعلى أية حال ، فهذه القضية تسمح لميشولام باستعراض صفوف جنوده والصراع علنا ضد هيئة حاكمة تنبع منها كل الشرور ،وهو مستمر فى قيادة أتباعه من داخل السجن عن طريق التليفون . وفى أوائل ١٩٩٦ طلب من مريديه تجهيز جوازات سفرهم والاستعداد لترك البلاد ، وهكذا استعد ألفان وأربعمائة شخص رجالا ونساء وأطفالا وشيوخا للهجرة فيما لو أصدر المعلم اليهم الأمر ، والى أيــة أرض موعــودة جــديدة سيتجهون ؟

يجيب آفياد : « سنذهب الى أى مكان يحدده الحاخام » .

وهذه الجماعات وغيرها ليست سوى التعبير عن يأس الصهيونيين الدينيين ، ولكن أحيانا ما تتبنى لغتهم المتطرفة شخصيــات ليست هامشية بالمرة ، فالحاخام الأكبر الأشكينــازى الســابــق لاسرائيــل شلوموجورين الرجل الذى أمر فى ١٩٦٧ ، وكان وقتها رئيس حاخامات الجيش الإسرائيلى ، أمر بالنفخ فى البوق التاريخى أمام حائط المبكى ، ودعا فى ١٩٩٤ الجنود الاسرائيليين الى عدم اطاعة الأوامر باخلاء أى موقع يهودى فى يهودا والسامرة أو فى قطاع غزة ، قائلا : « حيث أن تعمير الأرض هو أمر الهى وان تفريغ موقع يهودى هو عصيان لهذا الأمر فعلى الجندى الا يطيع هذا الأمر » (١٢) .

كان الاسرائيليون يعتقدون لوقت طويل أن العدو الداخلى المحتمل هو الأرثوذوكسية المعادية للصهيونيــة ، فقد رأوا حاخامات يقفون فى صف منظمة التحرير الفلسطينية للتعبير عن كراهيتهم لوطــن قــرر الاستغناء عن عون المسيح المنتظر .ومع ذلك ، فان هذه الجماعات فى مجموعها لا تهتم بالاضطرابات الدبلوماسية أو العسكرية للبلاد ، وقد كشف اغتيال رابين بوضوح أن الخطر لا يأتى من هذه الناحية وانما من الجناح

الصهيونى للمتدينين ، فهؤلاء يريدون استثمار التاريخ والتأثير علــى الحكومة والسياسة ، وعندما يصبحون أصوليين فانهم لا ينغلقون على انفسهم داخل جيتو وانما يتسلحون ويرسلون اللعنات على غير المتقين المصابين بالفتور . انهم يمثلون خطورة لأنهم فى حالة اليأس يشعرون أن مثلهم الأعلى قد تآكل بفعل الواقع ، وأن الحلم القوى الذى كــان يحركهم يهرب منهم .

ويعبر البروفيسور ايلى ميرزباخ أستاذ الرياضيات فى جامعــة بار ايلان عن هذا التوتر الشديد فى كلا المعسكرين قائلا : « أيام الحكومة السابقة سجن رجل بتهمة التحريض على العنف لأنه قرأ « البولتسا دينورا » ضد شيمون بيريز ، وهذا التعبير الآرامى — الذى يعنى «شرارة النار » — يخفى وراءه دعاء سحرياً .. فهــل الحكومــة تعتقــد فى السحر ؟ ان هذا التطرف غير معقول ! وهــذه التخبطــات قد دفعت الشباب المتدين نحو التطرف ، تطرف اليأس ، وهذا شىء خطير لأن هذا اليأس سيؤدى الى العنف » .

ان الخطأ التاريخى للحكومات الاسرائيلية المتعاقبة هو أنها سمحت بل دفعت الى اسكان اليهود فى الأراضى المحتلة ، فوجود مائة واربعين الف مستوطن فى مائة وثلاثة واربعين موقعاً لا يساعد على نجاح مفاوضات السلام ، وبنيامين نتنياهو بمساعدة وزيره الصقر آرييل شارون يدعم وينمى هذه المستوطنات .

ان انشاء القرى اليهودية بدأ ببــطء ، فبين ١٩٦٧ و ١٩٧٣ أى من حرب الأيام الستة حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ لم تفكر فى الرحيل الى يهودا والسامرة والاقامة فيها سوى أقلية صغيرة تدفعها أسباب قومية دينية ، او شجعتها الحكومة لأهداف استراتيجية ، وبعد ١٩٧٣ ارتفع عــدد السكان اليهود فى الأراضى المحتلة من ثلاثة آلاف الى خمسة عشر ألفاً ، فقد بدأ الخطاب المسيانى ، واخذ التعليم الأصولى للحاخامات الصهيونيين يكون جيلا جديداً ، وابتداء من ١٩٨٠ مع وجود حكومة مناحم بيجــن اليمينية والكنيسيت الذى يزخر بالأعضاء المتدينين ، بــدأت وزارة

الاسكان فى بناء المنازل فى الأراضى المحتلة ، وخلال عشر سنوات اختار ثمانون ألفاً أن يسكنوا فى الضفة الغربية ، ولم يكن أغلبهم عندئذ من القوميين الدينيين الذين يريدون احياء الوطن اليهودى القديم ، بل انضم اليهم جمهور غفير ممن اجتذبتهم الايجارات المنخفضة فى المستوطنات ، وستون بالمائة من سكان هذه المناطق المتنازع عليها ليسوا من الدينيين ويكونون الأغلبية الصامتة ليهودا والسامرة . واليوم يشعر هؤلاء السكان بعدم الأمان ويحاولون الانتقال بهدوء الى أماكن أكثر أمناً ، وذلك على الرغم من الضغوط والشتائم التى يتعرضون لها من جانب الأكثر تشددا الذين يصفون المعتدلين بالخونة الهاربين من المعركة ، وبالمقابل ، فان القوميين الدينيين الذين كانوا مترددين نوعا ما يسارعون بالحلول محل المنسحبين ، والنتيجة واضحة : فكل يوم تمتلىء « الأراضى » بالمتحمسين الذين لن يقبلوا بالرحيل مهما كانت الاتفاقات المعقودة ، وهكذا تنشأ تركيزات جغرافية من ذوى الاتجاهات المتطرفة التى يمكن أن تنفجر فى اية لحظة .

وهؤلاء بدرجة كبيرة هم الذين سمحوا بانتخاب بنيامين نتنياهو ، فمستوطنة مثل كيريات أربع اعطته تسعة وتسعين بالمائة من أصواتها . وعلاوة على ذلك فاذا كان الكنيسيت فى ١٩٩٦ يتضمن عددا أكبر من الاعضاء الدينيين — ثلاثة وعشرين مقابل ستة عشر فى الكنيسيت السابق — فالفرق لم يأت من الأحزاب الأرثوذوكسية المتشددة المعادية للصهيونية ، فهذه الأحزاب الموحدة تحت اسم حزب التوراة الموحد ( تحالف بين أجودات يسرائيل وديجيل هاتوراه(*) ) ، احتفظت بأعضائها الأربعة لا أكثر ، وبالمقابل ارتفعت مقاعد المفدال وهو الحزب القومى الدينى من ستة الى تسعة ، وارتفعت مقاعد حزب شاس وهو أرثوذوكسى ولكن سياسته عملية أكثر من ستة الى عشرة .

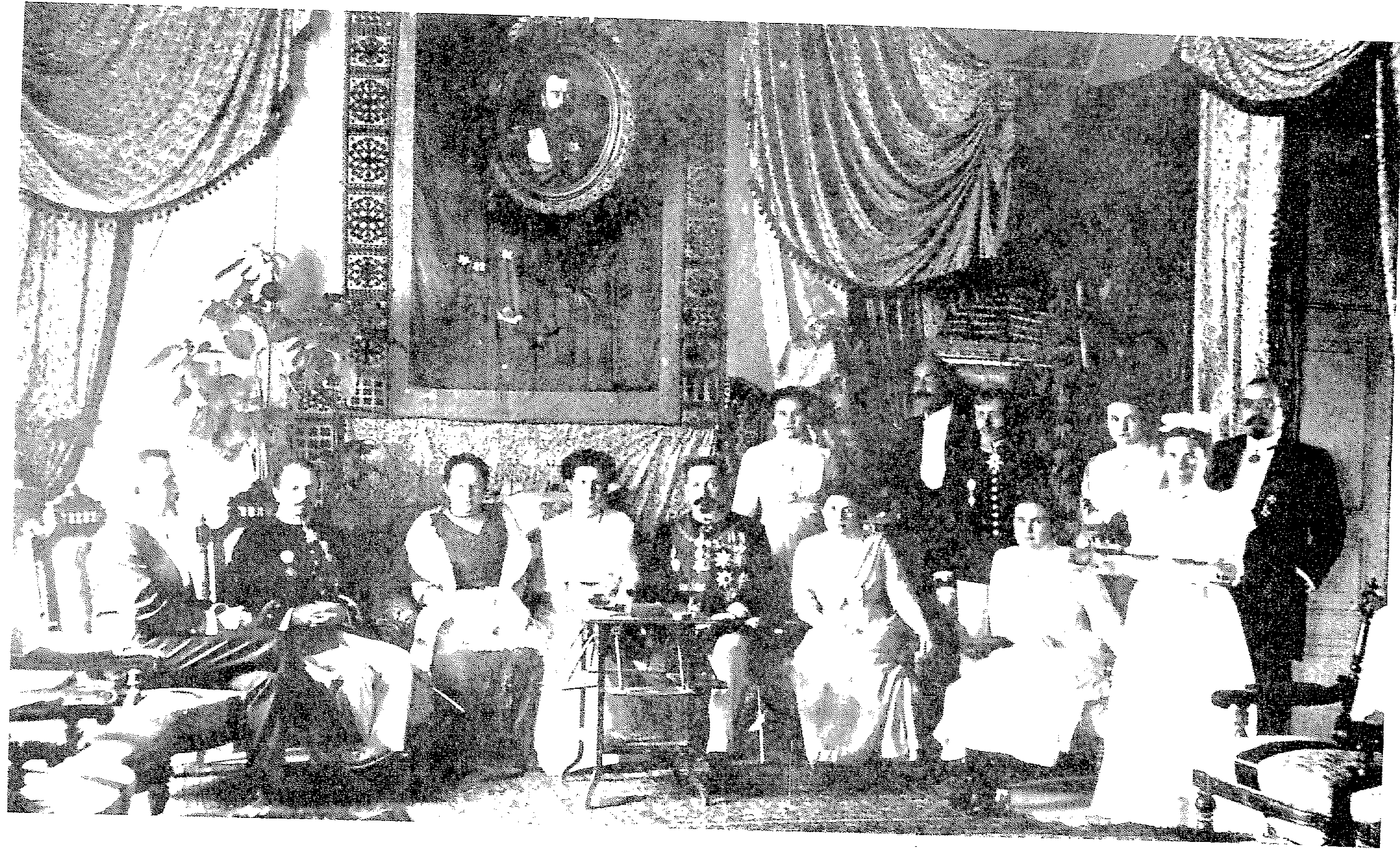
---

(*) ديجيل هتورا : حزب من المتشددين دينيا . تشكل هذا الحزب بزعامة الحاخام ابراهام رافيتس انتخابات الكنيسيت الثانى عشر فى عام ١٩٨٨ . ويعتبر هذا الحزب من أقل الأحزاب الدينية تطرفا ، فيوافق الحزب على الانسحاب من المناطق المحتلة ، بل وعلى اقامة دولة فلسطينية منزوعة السلاح .

لقد تحققت نتائج الانتخابات بفضل التنظيم الدقيق لعملية التصويت، لأن أغلب جماعات الأصولية الصهيونية تتواجد داخل مركز ممتاز التنظيم ويمينى بضراوة وينادى ويناضل من أجل الوحدة الاقليمية وهو جوش ايمونيم ، أى جماعة المؤمنين ، وهى جماعة متعددة الأوجه : فهى مجموعة متطرفة ، وهى منظمة سرية ، وهى جمعية دينية ، وهى جمعية مساعدة متبادلة ، وهى لوبى دفاع عن المصالح . وقد نشأت الجماعة فى ١٩٧٤ فى جو القنوط بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ولم تلبث أن جمعت كل الاتجاهات اليمينية النقية والصلبة ، فالذين أصابوا عمدتى نابلس ورام الله اصابات بالغة ، كانوا ينتمون الى جماعة سرية خرج زعماؤها من جوش ايمونيم ، وقد أدت هذه الأعمال العنيفة الى انقسام الجبهة وأثارت اشمئزاز أغلبية السكان الاسرائيليين .

ومنذ ذلك الوقت ، استعادت الجماعة عذريتها فهى لا تطلب اليوم الا الاحتفاظ بالمستوطنات وتدعيمها ، أى بلورة اهداف اليمين فى انتظار تحقيق حلم اسرائيل الكبرى ، ومع ذلك تكشف جوش ايمونيم وجهها الحقيقى عندما نعرف أن قبر باروخ جولدشتاين الذى قتل تسعة وعشرين عربيا فى ساحة الأنبياء فى الخليل قد أصبح مزاراً فى كيريات اربع التى تسيطر عليها الجماعة ، لقد أصبح جولدشتاين الطبيب الأمريكى قاتل العرب بطلا حقيقيا فى نظر الصهيونيين المتطرفين ، أكثر من ييجال عامير قاتل رابين ؛ لأن هذا الأخير لا يعبر عن التضحية بالنسبة لمن يدعون انهم طليعة اليهودية القومية الوليدة ، ومع ذلك فالصهيونية الدينية نفسها هى التى أنتجت هذا القاتل .

كانت دانيلا فايس هى السكرتير العام لجوش ايمونيم عندما كانت هياكلها معلنة ، ومنذ عشرين عاما تركت مسكنها فى ضاحية تل أبيب الراقية وانتقلت الى مستوطنة كدوميم فى يهودا والسامرة ، وهى تلبس غطاء للرأس مثل النساء المتدينات وتؤكد على النمو المذهل للشعور الدينى، وتقول : « عندما كنت مدرسة فى مدرسة دينية منذ خمسة وعشرين عاما كان التعليم مختلطاً حتى السن التى يحق للطالب فيها أن يلتحق بمدرسة « الليسيه » الثانوية ، أما اليوم فالصبيان والبنات



يوسف ترامبلدور (على اليسار) مع مجموعة من الأصدقاء.



مجموعة من أعضاء منظمة هاشومير، التى كانت تقوم بالدفاع عن المستوطنات اليهودية.



احد مؤسسي مستوطنة روش بيناة.



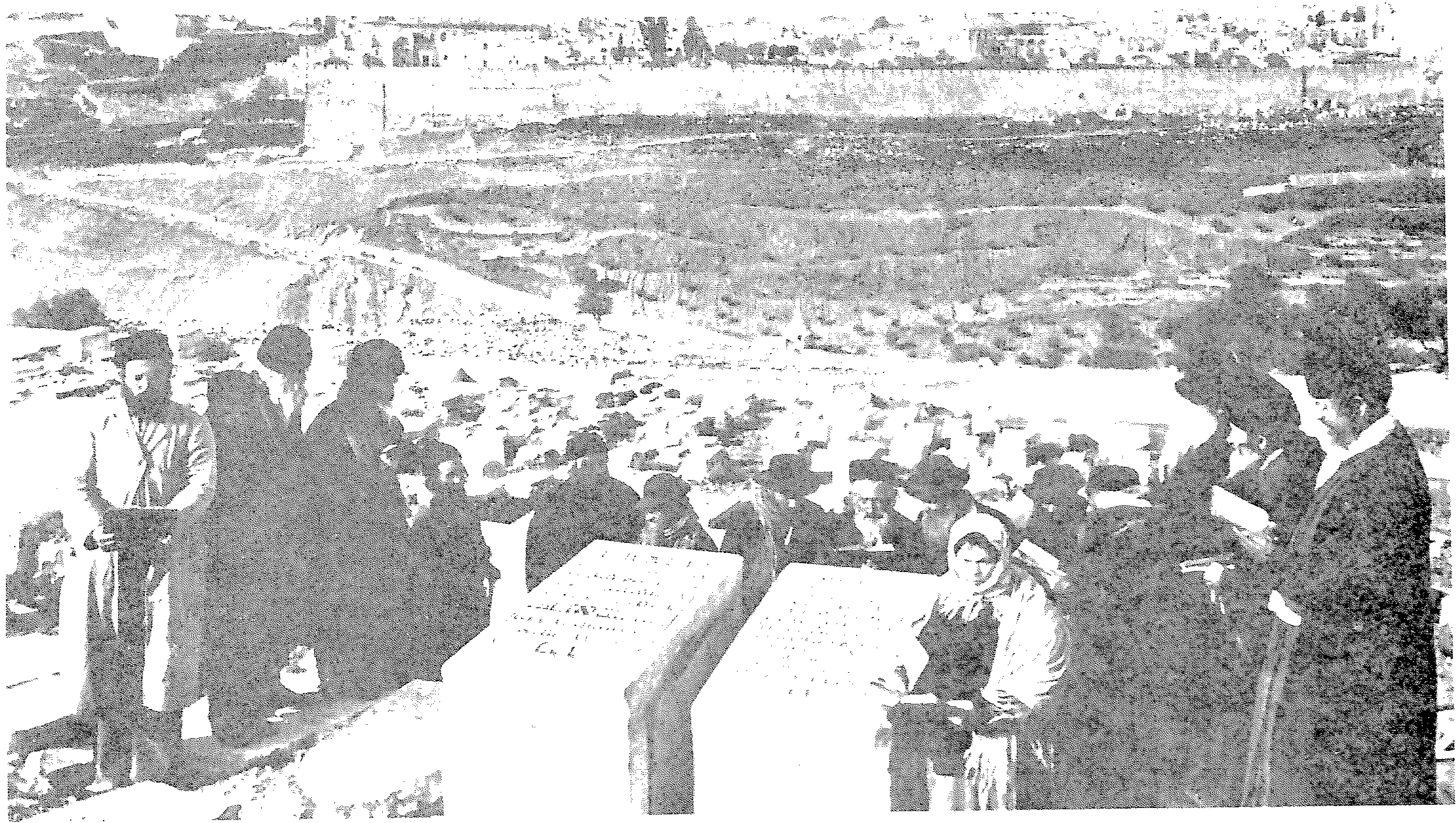
يهود اشكناز.



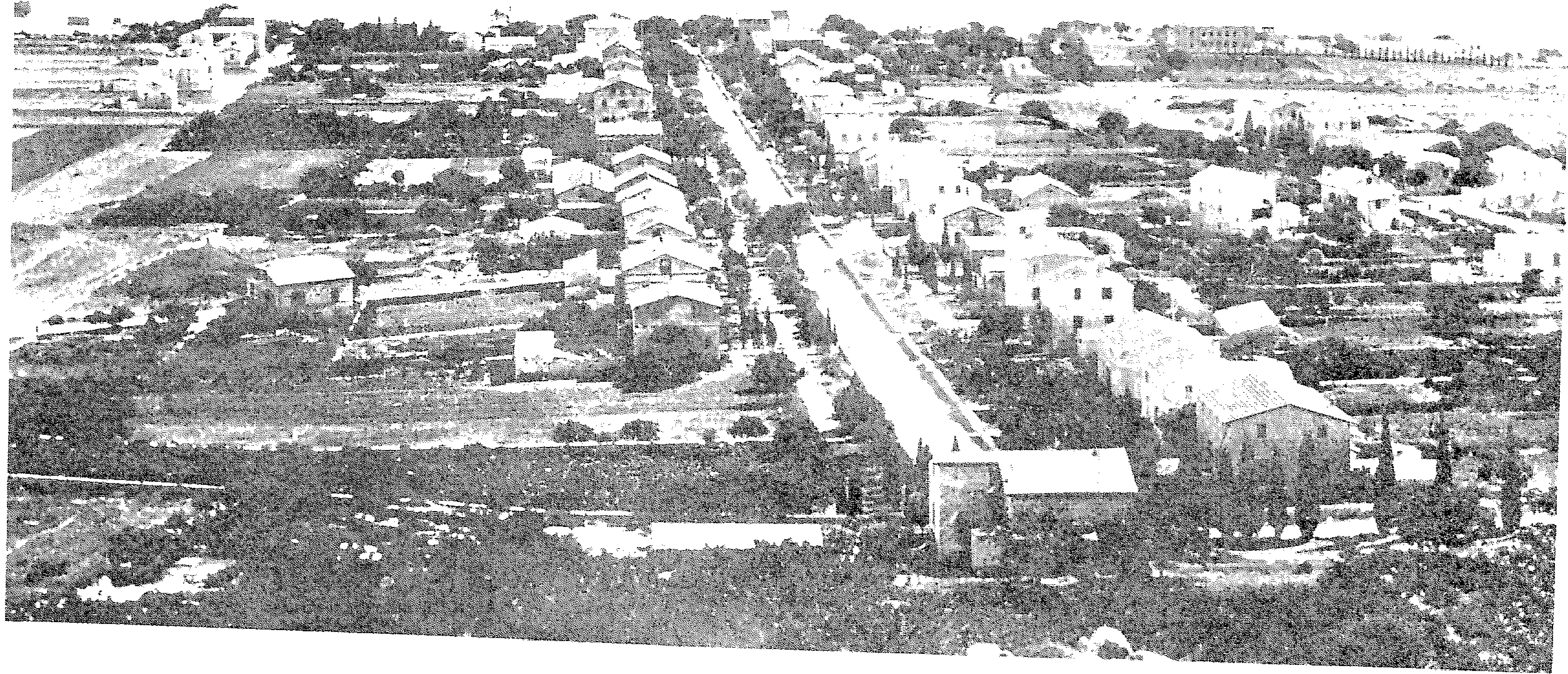
حائط المبكى



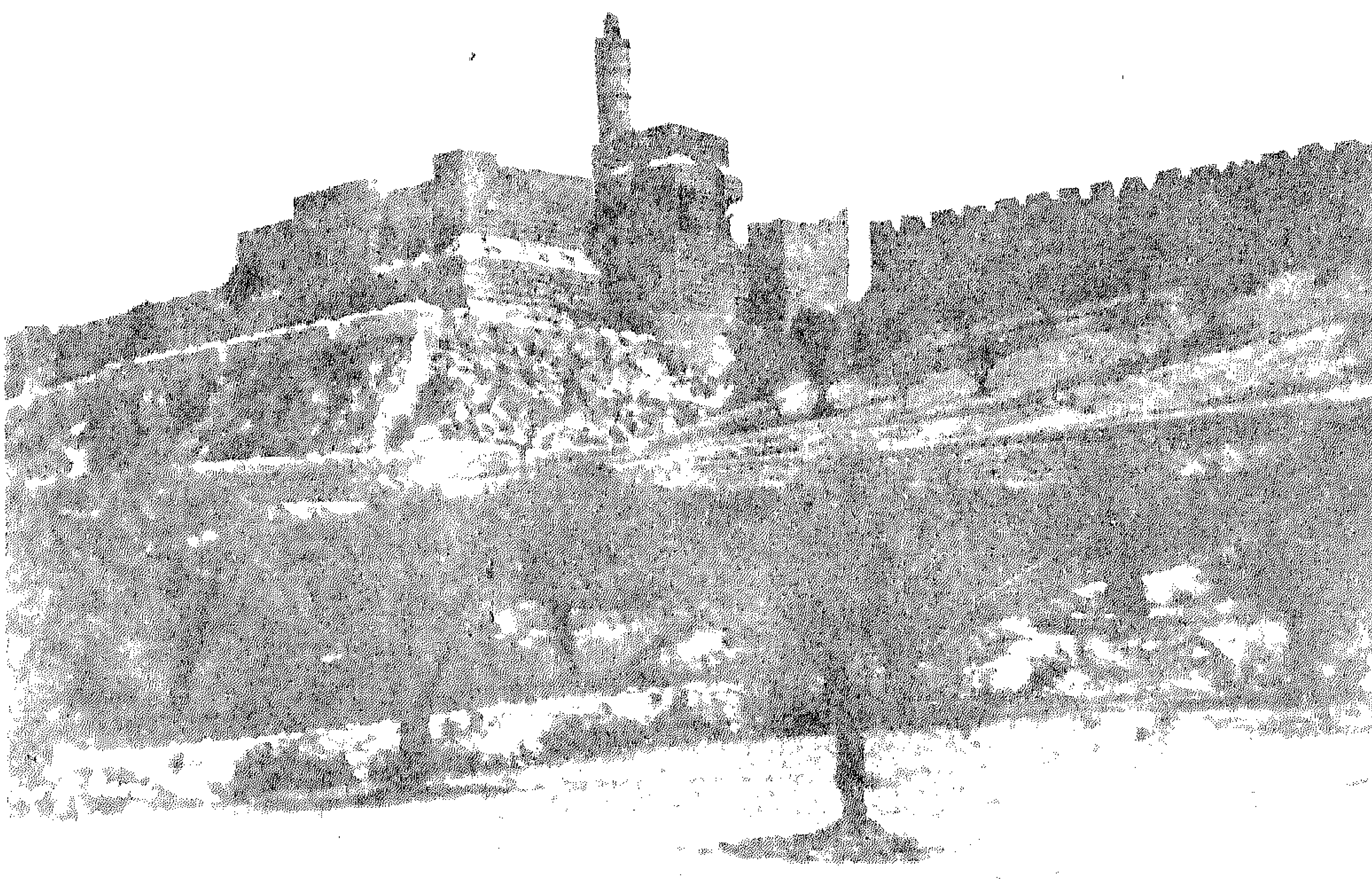
صلاة اليهود عند حائط المبكى.



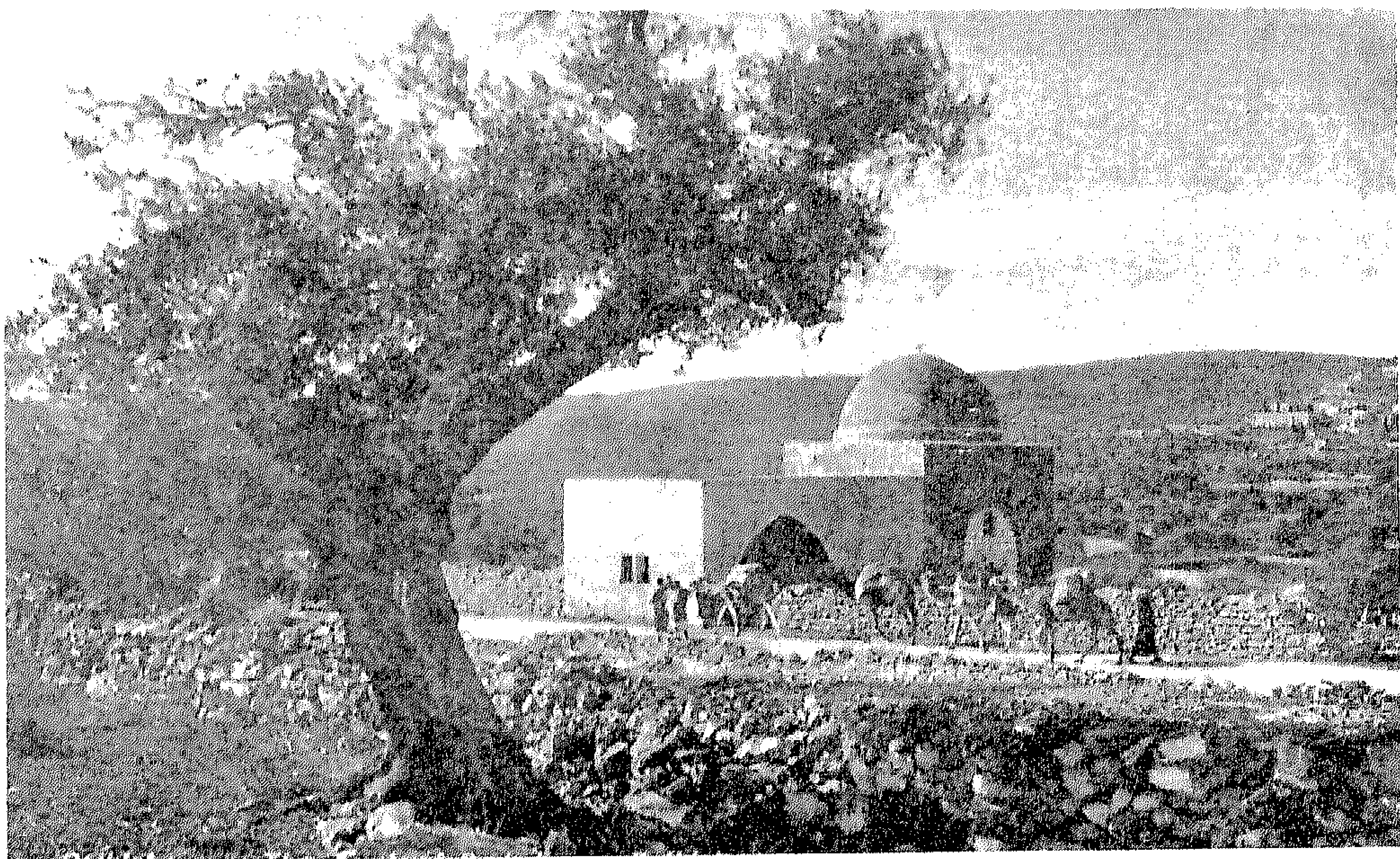
طقس الصلاة التذكارى على جبل الزيتون فى القدس.



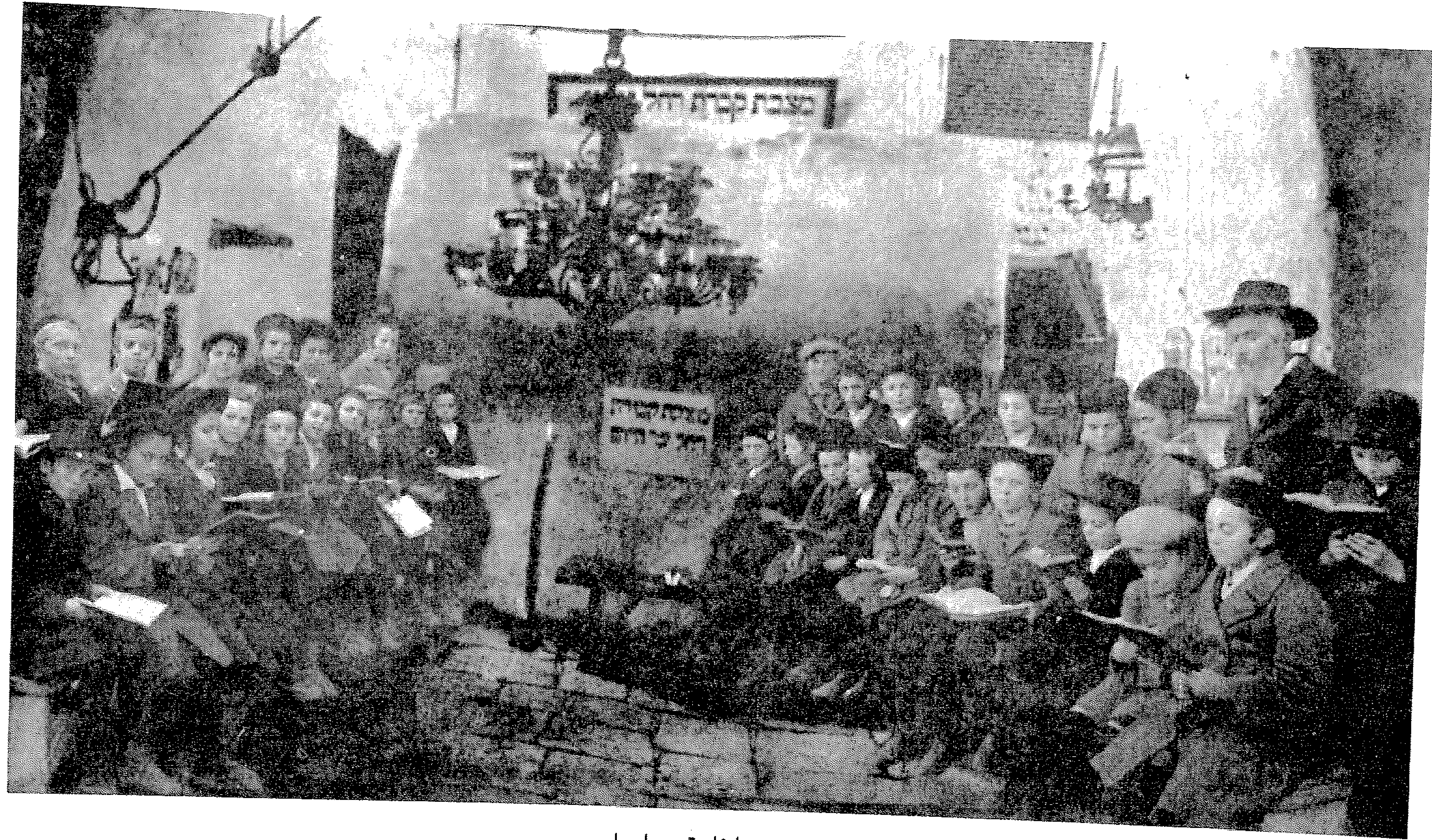
المستعمرة الألمانية فى حيفا، التى تأسست فى عام ١٨٦٨.



قلعة داود



هذا المبنى يمثل قبر راحيل بالقرب من بيت لحم والذى أعيد تحديثه فى عام ١٨٤١



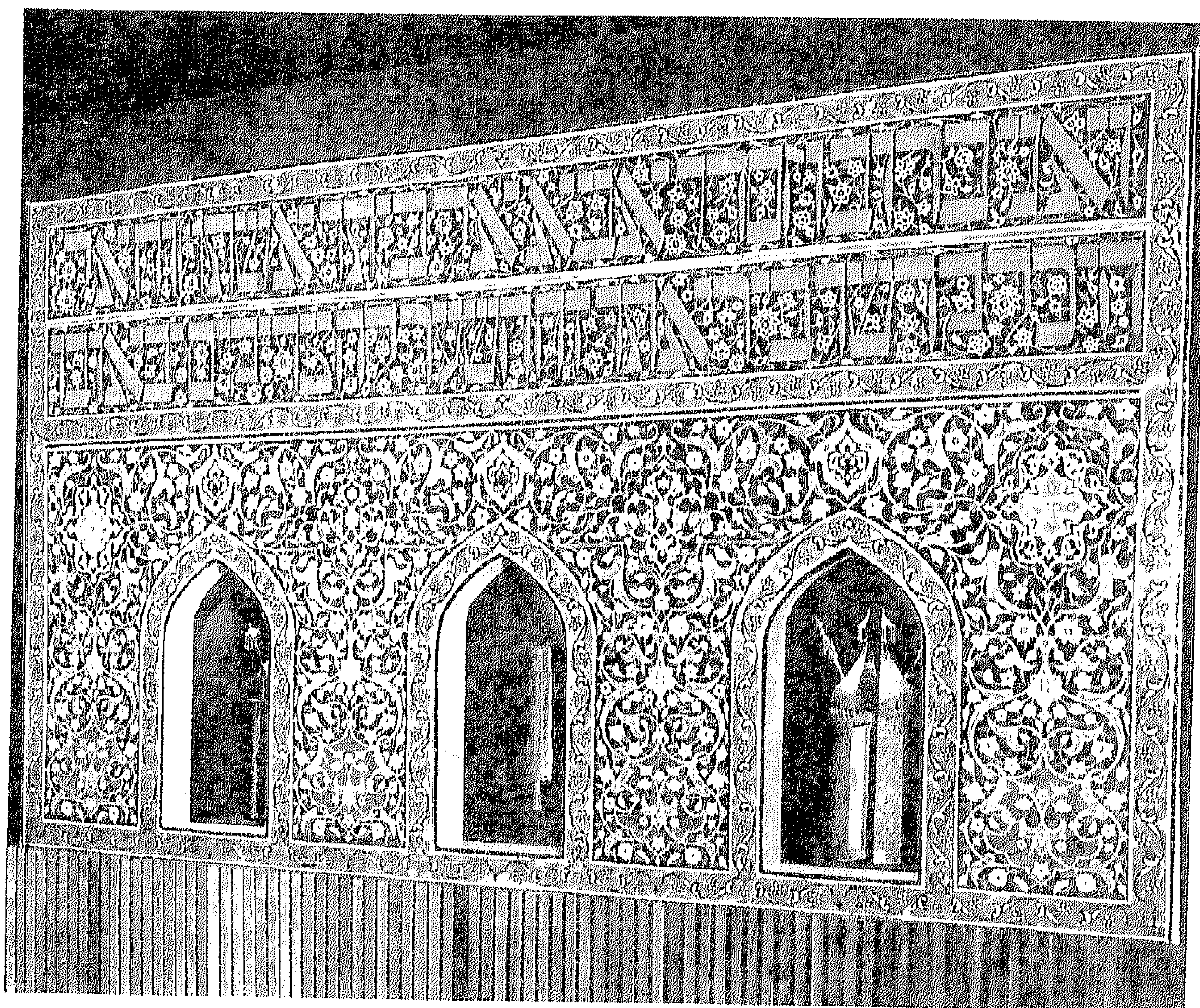
صورة من داخل قبر راحيل



تمثل هذه الصورة طفلاً يهودياً عند دراسته للحروف العبرية من الطائفة الحسيدية.



أكوام من الرماد خارج حدود المدينة القديمة، اى القدس، ويعتقد أنها كانت موقع المذبح.



الجزء العلوى من مدخل احد المعابد اليهودية الفارسية فى أصفهان.



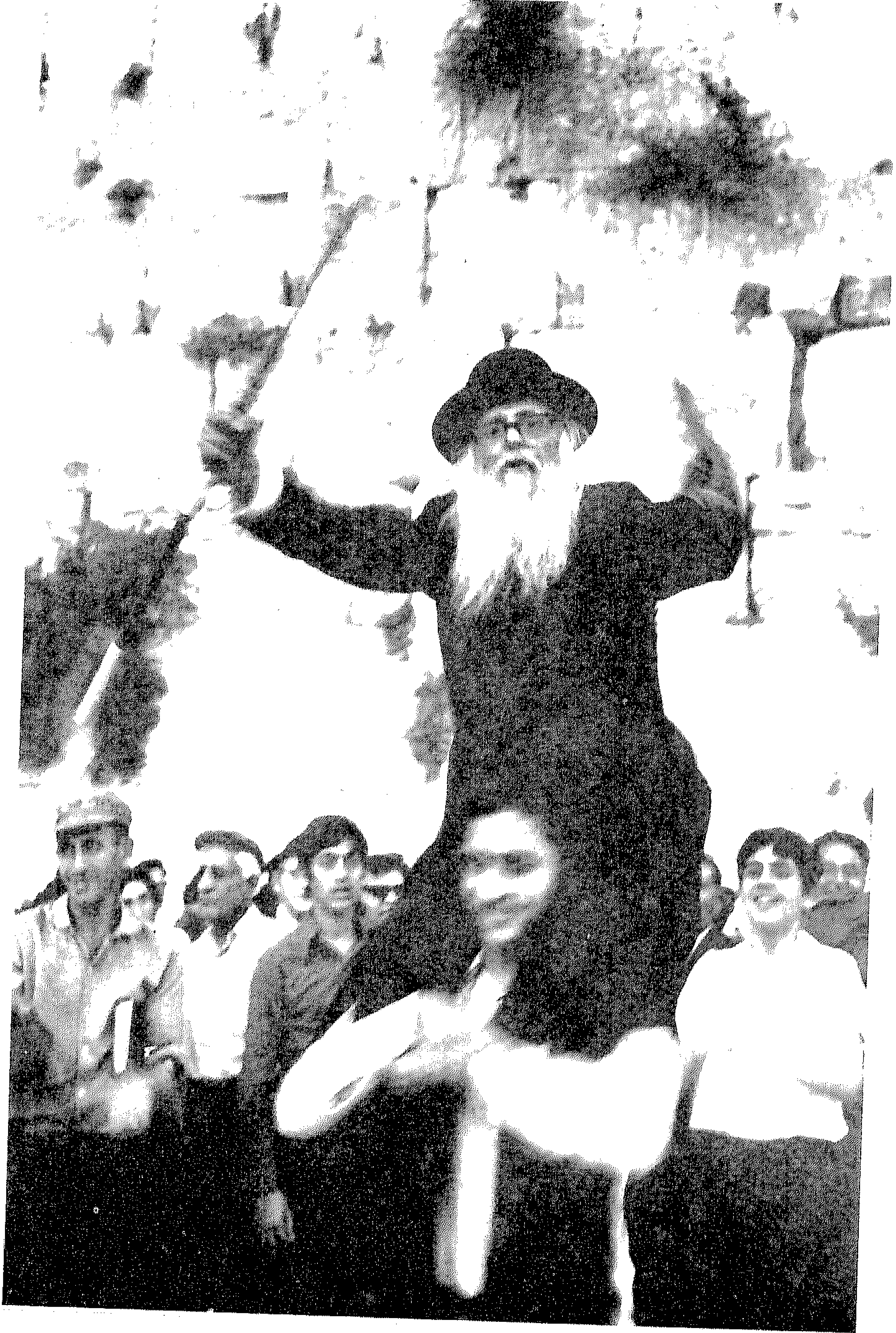
تمثل هذه الصورة احتفال اليهود المغاربة بأحد أعيادهم.



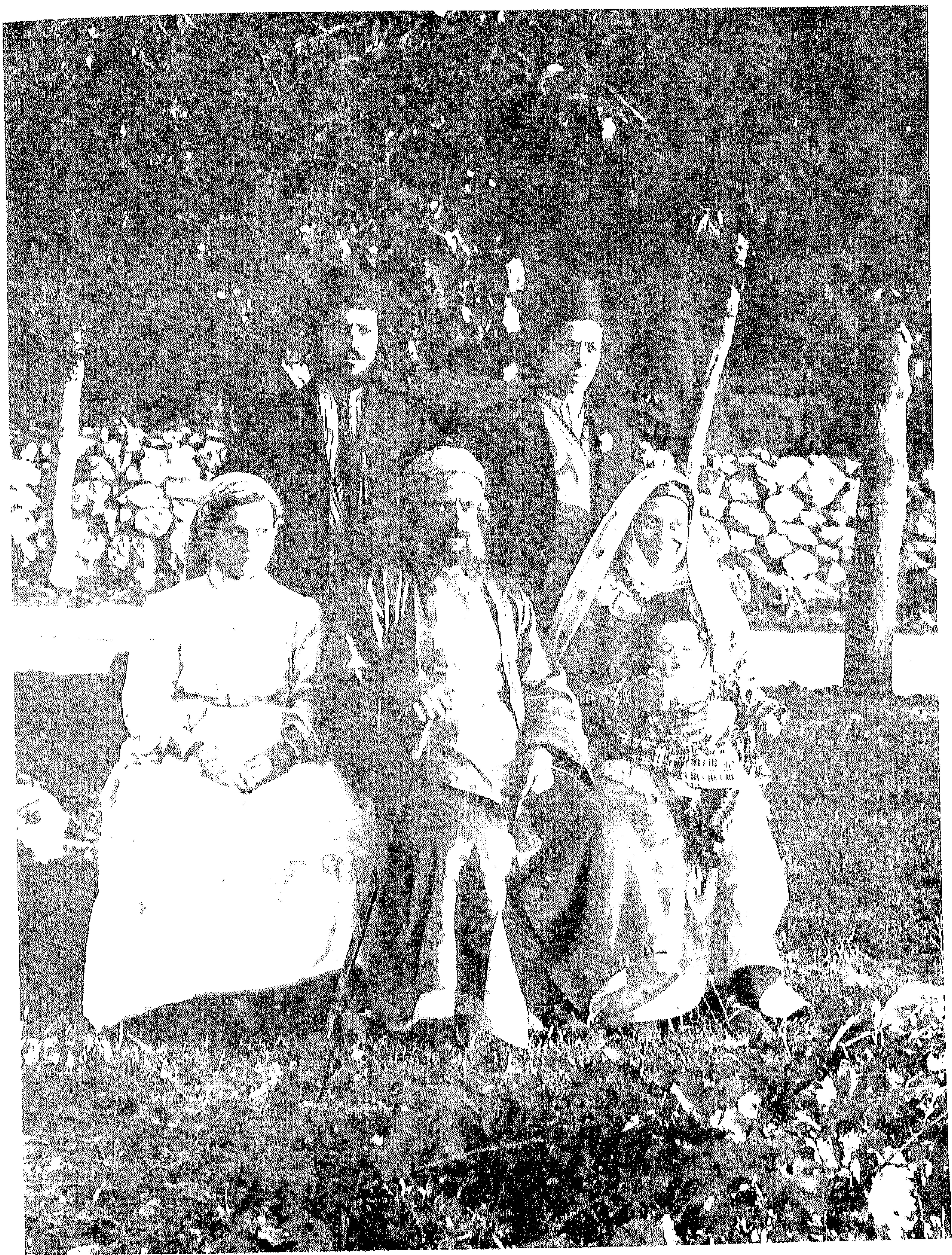
أطفال يهود من بخارى.



فتيات يهوديات من بخارى.



تمثل هذه الصورة احتفال اليهود الأشكناز بعيد «سعادة التوراة»



صورة عائلة يهودية يمنية فى القدس ١٩١٣.



صورة بالزيت لفقهاء التلمود (المتحف اليهودى بنيويورك).



الشمعدان اليهودى.

معزولون ، لقد تقوت الأرثوذوكسية فى كل مكان ، وعندما كنت مراهقة كنت أصلى مرة فى اليوم وبعض زميلاتى المتدينات لم يكن يصلين حتى مرة فى اليوم ، أما اليوم فكل النساء المتدينات يصلين ثلاث مرات فى اليوم » .

واذا كانت جوش ايمونيم لا تحتفظ اليوم رسميا بمكاتب أو سكرتارية ، فانها موزعة على شكل لجان متفرقة فى المستوطنات تقوم على اجراء الاتصالات ببعضها البعض ، واذا كان أعضاء هذا التنظيم قد استراحوا لانتصار اليمين فى الانتخابات الأخيرة الا أنهم لا يتخلون عن الحذر على الرغم من ذلك ، تقول دانيلا فايس : « اننا سنقاوم بالقوة أى إجلاء ، واذا ظهر هذا الخطر يمكننا تعبئة خمسين الى ستين الف شخص خلال أربع وعشرين ساعة .. » .

ويشعر المرء بالرعب عندما يعلم أن هؤلاء المستوطنين جميعهم مسلحون ؛ وأنهم قد تدربوا على اطلاق النار فى صفوف الجيش الإسرائيلى .

# دبابات الايمان

## انحراف اللوبافيتش

يخيم الظلام سريعا على تل ابيب ، وفى مساء السبت ١٦ مارس ١٩٩٦ كان الضباب يخفى معالم المدينة ويحول الأضواء البراقة الى كتلة من الضوء غير الواضح ، وفى الضاحية الشمالية كانت معالم سجن شارون البيضاء تكاد لا تظهر ، رغم الأضواء القوية المسلطة على القضبان والأسلاك الشائكة ، وبمجرد انتهاء السبت اخذت الأتوبيسات تقف امام السجن بالمئات من الرجال لابسى الأسود ، الذين اخذوا يرقصون الرقصة الحسيدية القديمة ، رافعين أدعيتهم للرب مستغيثين بالمسيح المنتظر ، نافخين فى الشوفار ، وهو البوق المصنوع من قرن الكبش والذى تصاحب اصواته النشاز كل المناسبات اليهودية الجليلة ، والى الخلف منهم بمسافة تعبر عن الاحترام تقف جماعة صغيرة من النساء يضربن الطبول بدون توقف . وجاء تفسير احدى السيدات التى تغطى شعرها بباروكة من الشعر الأبيض ، وهى الموضة السائدة بين السيدات الأرثوذكسيات المتزوجات المحافظات على الشريعة ، قائلة : «يقال انه عندما هرب شعب اسرائيل من مصر الفرعونية، فان مياه البحر الأحمر انفتحت امام صوت الطبل الشديد من بنات اسرائيل » .

ومع ذلك ، فان أبواب السجن لم تفتح فى تلك الليلة بالسهولة التى انفتحت بها مياه البحر الأحمر على أيام التوراة ، فعلى الرغم

من الأغاني والصلوات والخطب التى القيت عن طريق الميكروفون ، وعلى الرغم من التهديد بتجمعات أخرى والأعلام التى تحمل تاج المسيح الآتى ؛ لم يتحرك شىء داخل كتلة السجن الصماء ٠

وهؤلاء المتظاهرون ذوو اللحى الكبيرة والجلابيب السـوداء والقبعات السوداء الكبيرة جميعهم من حسيديى اللوبافيتش ، الذين جاءوا لاعلان غضبهم بسبب القاء القبض على احد رجالهم الذى اخذ من منزله بمعرفة قوات الأمن ووضع فى السجن بتهمة التحريض على العنف ، والعمل الذى سجن من اجله الحاخام أسحق جنسبرج هو أنه اقام وليمة عامة فى ذكرى باروخ جولدشتاين المتطرف ، الذى فتح النار فى فبراير ١٩٩٤ على المصلين المسلمين فى ساحة الأنبياء فى الخليل ؛ فقتل تسعة وعشرين منهم قبل أن يقتل هو نفسـه ، وبالطبع فان قتل تسعة وعشرين عربيا هو أمر يستحق الفرح والاحتفال فى نظر الحاخام جنسبرج !

كتبت صحيفة يديعوت احرونوت صبيحة القبض عليه : « من المعروف أن الحاخام جنسبرج من أكثر الحاخامات اليمينيين تعصبا » (١) ٠ وفى الواقع أن هذا اليهودى الأمريكى الحاصل على عدة دبلومات من جامعـة يشيفا ببوسطن يعلم طلبته فهمه الخاص جدا للنصـوص : « ان الـدم الاسرائيلى هو المفضل عند الله ، انه اكثر احمرارا من دم الآخرين » . كما يقول ، وهو يدعو الى العنف « لأنه بدون الانتقام يسقط الانسان فى هوة المرارة واللاتقوى » وهذا الأستاذ ذو اللغة المتفجرة قد أنشأ مدرسته التلمودية فى قلب مدينة شخيم القديمة ــ نابلس اليوم ــ فى المبنى الذى يضم قبر النبى يوسف وحتى اليوم لم تستطع الأخطار ولا الانتفاضة ولا تغيرات السياسة أن تقنعه بالتوقف عن التدريس ، ذى الاهمية الرمزية والمتنازع عليه ٠

وصباح كل يوم تتوجه حفنة من الطلبة الى هذا المكان المبجل تنقلهم سيارة مصفحة فى المساء ، ويفتح لهم الباب جندى فلسطينى يحمل

الكلاشنيكوف على كتفه ، فى حين يردد الشبان اليهود صلاة بالعبرية تتكرر فيها كثيرا عبارة « يوسف حى » • ويشعر هؤلاء المتعصبون المتحصنون خلف الأسوار العالية فى قلب « الأراضى » أنهم طليعة يهودية تعيد الارتباط مع تاريخها القديم ، ويؤكد يهودا أحد طلبة اليشيفا « نحن هنا بصفتنا المندوبين للشعب بكل أجياله الماضية والمستقبلة » (٢) •

وأثناء المظاهرة أمام السجن ، عقد أحد اتباع اللوبافيتش أمامى مقارنة مثيرة بين قصة التوراة والواقع الحالى قائلا : « لقد بيع يوسف بمعرفة اخوته ، واليوم يباع مرة أخرى لأيد أجنبية بمعرفة الحكومة الاسرائيلية».

وهذه اللغة التى تختلط فيها قصص التوراة بالادانة المستمرة للسياسة الاسرائيلية ، تضايق بشكل متزايد السكان الاسرائيليين المعتدلين الذين يفضلون العيش فى سلام عن حالة النشوة السامية بالنصوص المقدسة ، ويحضرنى هنا ما قاله لى روجيه المولود بالمغرب : « لقد مللت من قضاء فترة الخدمة الاحتياطية لى فى حماية هؤلاء الحالمين ، الذين يعرضون أنفسهم للخطر وسط الفلسطينيين ، ان لدى ثلاثة أطفال ولا مانع لدى من المخاطرة بحياتى دفاعا عن البلاد ، وليس من أجل السماح لبعض طلبة اليشيفا أن يشبعوا أحلامهم باسرائيل الكبرى ••• » •

وبعد بضعة أيام من القبض على الحاخام جنسبرج ، حضرت سهرة فى كفار هاباد مدينة اللوبافيتش باسرائيل ، وافتتحت السهرة بشكل كلاسيكى بحديث عن الخلاص ونهاية العالم القاه عالم روسى عجوز ممن تخلوا عن المادية الشيوعية، ثم تلا ذلك عرض شريط فيديو قديم حيث يكرر حاخام اللوبافيتش ، الذى توفى فى ١٩٩٤ والذى لا زال الأستاذ المطلق لجميع هؤلاء الحسيديين ، يكرر توصيته بشأن وحدة أرض اسرائيل ثم يبدأ أغنية يرددها معه جماعة صغيرة من المريدين بحرارة ، مع التصفيق بالأيدى والدق بالأرجل وأعينهم معلقة بالشاشة • وبعد ذلك نصل الى النطقة الحاسمة فى الاجتماع وهى الخطاب السياسى لمناحم جوراى عضو مجلس القرى اليهودية ليهودا والسامرة ، واليمين الاسرائيلى يستغل ببراعة هؤلاء المؤمنين الذين ينغمسون فى التطرف السياسى ، وهو

يتحالف مع كل الحركات الدينية الممكنة ، ويصور نفسه على أنه يسير بأمانة فى طريق التوراة ويقف امام اليسار الذى يصفه ككتلة واحـــدة معادية للدين مستعدة لبيع النصوص القديمة مقابل قصاصة ورق عليها توقيع عرفات . وبطاقيته المشغولة ولحيته القصيرة لا يشـــبه السيد « جوراى اللوبافيتش » ، ولكنه يعرف كيف يخرج من هذا الاجتماع بتأييد حقيقى لسياسته فى زرع السكان فى يهودا والسامرة والاحتفـــاظ بها ، يقول :

« اننى اناضل من أجل حكومة يهودية تحترم التوراة بطريقة تمنع الفرار من الحاضر ، فحتى القدس اصبحت فى خطر ، فقـــد جـــاء فى الاتفاقات أن مستقبل القدس محل تفاوض ! » .

واخيراً يقف الحاخام دافيد ليسلباوم — أحد كبار المسئولين اللوبافيتش فى اسرائيل — قائلا : « انه ليس الحاخام جنسبرج هو الذى قبض عليه، بل انه حاخام اللوبافيتش نفسه ، انها حرب ضد اليهودية ، انه صراع بين النور والظلمة ! » .

واخيراً يتحدث الحاخام دافيد ليسلباوم احد كبار المسئولين اللوبافيتش عن أن اليمين الإسرائيلى يمثل الايمان الحقيقى ، وعن ضرورة شن الحرب ضد غير المتدينين ، كما يدعو الى تمجيد المتطرفين المعتقلين .

وقد أفرج عن الحاخام جنسبرج بعد تسعة عشر يوما ، مما سمح له بالتوجه الى بروكلين ، حيث راح يتبختر أمام مجموعة من الحسيديين محاطا بهالة البطل والشهيد قائلا : « لقد تم الافراج عنى بفضل جهود العديد من اليهود الذين احدثوا ضجة هناك ، ولكن العامل المركزى الذى وحد الجهود لكسب هذه المعركة كان حاخام اللوبافيتش » (٣) .

وحتى القبض على اسحق جنسبرج ، كانت حركة اللوبافيتش تعتبر بصفة عامة حركة هادئة ومسالمة ذات اتجاه غيبى ، تعمل ببساطة على كسب الأتباع فى العالم اليهودى وتحلم ببراءة بقـــرب مجىء المســـيح المخلص،ولكن سجن حاخام شكيم —نابلس—الأصولى دفع أتباع اللوبافيتش

الأكثر حماساً الى كشف القناع ، لأن عملية تعظيم الحاخام جنسبرج لم تكن انحرافا عن اتجاهات الحركة ، وانما كانت بالعكس النتيجة المنطقية للتوجه السياسى الذى وضعه من أوائل السبعينيات الحاخام مناحم شنيرسون الزعيم القوى لحسيديى اللوبافيتش .

ودون أن يغادر مسكنه فى نيويورك ، أخذ الحاخام يرسل الوصية تلو الوصية لحكام اسرائيل يدعوهم الى عدم التخلى عن شبر من الأرض المقدسة،وداعيا اليهود الى الاستيطان فى يهودا والسامرة.ومع ذلك، فالحماس الشديد للحاخام للتدخل فى لعبة الأحزاب الاسرائيلية ، كان مدعاة لاستغراب أتباع اللوبافتش الأكثر خضوعا فمنذ ظهور الصهيونية فى القرن التاسع عشر كانت الحركة الحسيدية تعارض بعنف الرغبة السياسية اليهودية فى الرجوع للأرض المقدسة ، تاركة للرب وللمسيح الذى سيرسله أن يعيدا المنفيين الى وطنهم .

وفى باريس ، يحلل الحاخام بنحاس باشتر الذى يدير مركزا لدراسات اللوبافيتش والمشارك فى تأسيس حركة شباب اللوبافيتش فى فرنسا ، يحلل التشتت بوصفه ظاهرة متعلقة بنهاية العالم تدخل فى اطار التدبير الالهى ، الذى لا تستطيع الارادة الانسانية أن تؤثر عليه ، ويقول :

« ان المنفى — الجالوت بالعبرية — ليس مجرد ظاهرة جغرافية ، فالمرء لا يكون بالضرورة منفيا لأنه خارج اسرائيل ، كما أنه لا يكون بالضرورة غير منفى عندما يكون فى اسرائيل ! ان المنفى فى رأيى ورأى من علمونى هو فى الأساس متعلق بالمجال الروحى ، ان المرء يكون منفيا بالنسبة لذاته أو بالنسبة لروحه أو بالنسبة ليهوديته ، ان الله منفى بالنسبة لنا ، أو العالم منفى بالنسبة لله ... ان حالة المنفى تظهر عندما يكون الجسم والروح ، أو العالم والخالق ليسا فى حالة اتفاق ، أعتقد أن المنفى هو ظاهرة مفروضة من أعلى ، مرحلة علينا أن نمر بها ... لقد فرض المنفى كعازل من الرصاص فوق الوجود اليهودى ووجود العالم بصفة عامة » .

وسألت الحاخام باشتر اذا كانت التقاليد اليهودية تتحدث عن الهجرة الجماعية للشعب اليهودى الى القدس ... فأجاب : « لم أسمع

أبدا عن ذلك لا من الحاخام ولا من أى من الحكماء ، انهم لم يتحـــدثوا أبداً عن هجرة جماعية وانما عن هجرة فردية ، والتقاليد لا تتحدث عن هجرة جماعية إلا فى لحظات محددة من التاريخ ، مثل حالة العودة من بابل مثلا . وبالطبع وجه هذا السؤال للحاخام فأجاب بأن الاشارة الى الهجرة الى اسرائيل ، وردت فى الفصل الأخير من الكتاب الأخير من الشولحان عاروخ ـــ قانون الشريعة ـــ وهذا يعنى أن المرء يتوجه الى اسرائيل بعد اتمام كل الواجبات ، أى بعد الانتهاء من مدرسـة المنفى ، أى أنه بعد اجتياز كل الاختبارات هنا نصل بشكل طبيعى الى اسرائيل .. ولكن لو وضعنا اسرائيل قبل الأولويات الروحية الأخرى ، فاننا نكون يهودا متخلين عن يهوديتهم . يهودا يستخدمون اسرائيل كحجة للتخلى عن كل شىء آخر ، أو يرفضون التوراة من أجل الهجرة .. وهذا يعنى فقدان الايمان بالهجرة اليهودية ، يعنى فقدان الايمان بالخلاص عـــن طريق المسيح المنتظر ووضع كل الأمل فى الخلاص السياسى .. وياله من جنون ! » .

يعتبر مويز – كلود جورنو من الشخصيات التقليدية فى شـــارع دى روزييه ، فمنذ مجيئه من تونس الى باريس وعمره سنة واحدة لم يغادر حى ماريه اليهودى أبداً ، وهو يملك مطعمـــا يؤمـــه السيـــاح الذين يريدون أطعمة ذات طابع يديش وكذلك الأرثوذكس الذين يريدون تناول تلك الأطعمة التى تحلها الشريعة اليهودية ، ومع أنه يلبس طاقية سوداء بدلا من القبعة الكبيرة السوداء للحسيديين ، الا انه لا يخفى اتجاهات اللوبافيتش ، يقول : « لا شىء يحرج اليهودى اليوم أكثر من دولة اسرائيل ، أن اسرائيل مســـمار ينخس فى لحـــم اليهـــود ، أن الصهيونيين هم قوم فهموا أخيراً انه ليس من الممـــكن اليوم أن يكون لنا دولة ... » .

وعلى الرغم من حديث الحاخام والخـطب ذات الطابع المعـــادى للصهيونية ، فان الحسيدية لم يكن لها منذ نشـــأتها دور فى دهـــاليز السياسة . ففى أوروبا الشرقية فى القرن الثامن عشر أثار هذا التيـــار الذى يبشر بالفرح مع حرارة الدين حماس جماهير اليهود ، ولكنه لم

يلبث أن انقسم الى العديد من التيارات الصغيرة يتجمع كل واحد منها حول حاخام وصف بالحكمة والقدرات الخارقة كالقدرة على شفاء المرضى أو التنبؤ بالمستقبل أو التحدث الى الله ، وكل كنيس منها يتمسك بقدرات معلمه وينسج حوله أسطورة مخلصة من المعجزات ، التى يضيف اليها كل جيل مزيدا من اللآلىء ترصع التاج المجيد ٠

أسس شنيور زالمان من « ليادى » حركة « حبد » الحسيديد ( الحروف الأولى من كلمات الحكمة والذكاء والمعرفة باللغة العبرية ) ، واستقر خلفه فى مدينة لوبافيتش الصغيرة فى روسيا البيضاء والتى بقيت مقراً للحركة طوال قرن كامل ٠ ويشرح جرشوم شوليم المؤرخ الكبير للفكر اليهودى الاضافة التى قدمتها حركة حبد للفلسفة الدينية قائلا : « ان ما يميز كتابات مدرسة حبد هو ذلك الخليط الغريب من التعبد الحماسى لله والتمسك بمذهب ألوهية الكون من جهة ، مع الاهتمام الشديد بالنفس الانسانية واتجاهاتها من جهة أخرى » (٤) ، وهذا معناه أنه من الخطأ الحكم على الطابع الروحى للحبد تاريخياً على أساس اهتماماتها الحالية ، التى تتلخص فى المسيانية العالمية وهداية اليهود والتكامل الاقليمى فى اسرائيل ٠

وبعد وفاة أول حاخام لحركة حبد فى ١٨١٢ ، انتقلت الزعامة الى ابنه ثم الى ابن الابن وهكذا ظهرت عائلة مالكة فعلية ، وهربا من اضطهادات القياصرة ثم من اضطرابات الحرب العالمية الأولى انتقلت نواة الحبد أولا الى ريجا ثم الى فارسوفيا ، وحدث أن أحد حاخامات الجماعة لم يكن له ابن ذكر فزوج ابنته الى ابن أخته مناحم وسماه وريثا له . وفى ١٩٤٠ هرب من بولندا التى احتلها النازى الى بروكلين ، وفى العام التالى طلب من زوج ابنته أن يقطع دراسته فى السوربون وينضم اليه ؛ لمساعدته فى اعادة بناء الحسيدية ، وبعد وفاة الحاخام فى ١٩٥٠ حل مناحم شنيرسون مكانه . وسرعان ما برز بعمق علمه وقدرته التنظيمية وشخصيته الكاريزمية القادرة على اجتذاب الجماهير ، وجعل من حركته جزءا أساسيا من اليهودية الحديثة ، وحول المملكة الحسيدية الصغيرة الى امبراطورية حقيقية لها صحفها ومدارسها ودار النشر الخاصة بها وفروعها المنتشرة فى أنحاء العالم .

وفى الماضى كانت كثرة الحاخامات ذوى الكرامات فى قرى أوروبا الشرقية سببا فى حد ذاتها للحد من تأثيرهم داخل الحلقة الصغيرة فى مدينتهم ، ولكن المركزية التى حلت محل اليهودية الريفية وتركيز جماهير اليهود فى العواصم الكبرى ، وكذلك نمو أدوات الاتصال مثل التسجيلات الصوتية والفيديو وغيرها ، سمحت لحاخـــام اللوبافيتش أن يمد تأثيره الى جماهير غفيرة ٠

بدأت المغامرة الفرنسية لحركة حبد (*) بعـــد الحرب العالمية الثانية مباشرة، فقد نجح أتباع اللوبافيتش الذين نجوا من اضطهاد النازى وستالين فى ترك الاتحاد السوفيتى ، وكانوا يمرون بباريس وان كانوا لا يبقون فيها ، فقـــد كان لمدينة النور سمعة سيئة لدى العـــالم الدينى فى تلك الحقبة ، اذ كانوا يعتبرونها بابل العصر الحديث . كان يقال أيامها ان باريس مدينة مقدسة جدا لأن كل اليهود الذين يمرون بها يتركـــون قداستهم فيها ! ولذلك كان الحسيديون يبحثون عن ملجأ آخر أقل تحررا ويذهبون الى الولايات المتحدة أو انجلترا او اسرائيل ، ولكن الحاخام الجديد الذى كان يعرف باريس جيدا طلب من بعض العائلات أن تستقر فى باريس ؛ لأنه كانت هناك مهمة تنتظرهم وهى اعادة بنـــاء الجماعة فى فرنســـا ٠

ولم تلبث أن أنشئت يشيفا فى برونوا فى المنطقة الباريسية ، ولكن هذا المركز الدراسى بقى على هامش المجتمع الفرنسى ، اذ كان طلبته يعيشون فى عالمهم الخاص ويتحدثون فيما بينهم اليديش أو الروسية أو البولونية ٠٠٠

ومر جيل ، وولد لهذه العائلات أبناء ، وحتى اذا لم يندمجوا فعلا فى المجتمـــع اليهودى فى باريس الكـــبرى ، الا أنهم كانوا على الأقل

---

(*) ترفع هذه الحركة شعارات وحدة اسرائيل ، وضرورة تقريب القـــلوب بين اليهود ، ووحدة اسم التوراة ، وتقوية التراث اليهودى من أجل وحدة الشعب اليهودى ٠ أما على الصعيد السياسى فقد اعتبرت الحركة نفسها حركة يهودية غير حزبية ، غير أنها تدعو الى اتباع سياسة حازمة تجاه العرب ، وهى تؤيد فكرة « أرض اسرائيل الكاملة » ٠ ( المراجع ) ٠

يتحدثون الفرنسية بدرجة ما من الاتقان · وقد طلب الحاخام من واحد منهم كان قد توجه للولايات المتحدة لاتمام دراسته الدينية ، أن يعود الى باريس فى ١٩٦٥ ليتولى شئون الشباب اليهودى ، وابتداء من هذا التاريخ اخذت حركة اللوبافيتش فى التوسع وفرضت نفسها ·

وكانت سنة ١٩٦٥ تمثل مرحلة ذات طبيعة خاصة ، مرحلة تغيرات وتشككات وتمزقات ، فقد كانت مرحلة الهجرة الجماعية ليهود شمال افريقيا السيفارديين ، والكثيرون منهم وجدوا فى الحسيدية ذلك النوع من اليهودية المختلط بالغيبية والخرافات والذى كانوا يعرفونه فى الجزائر وتونس ومراكش ·

وفى الواقع ، فان الحسيدية الروسية ـ البولندية أقرب ، رغم البعد الجغرافى ، الى السيفارديين منها الى الأشكينازيين الألمان أو الألزاس ، الذين يتناولون ايمانهم بطريقة عقلانية ويرفضون الغيبيات بشدة . أما الثقافة السيفاردية بتديسيها صناع المعجزات والتمائم السحرية والاخلاص الملىء بالفرح فكان طبيعيا أن تلتقى بالحسيدية ، ويهود شمال أفريقيا الذين نقدوا الاتجاه فى المنفى الجديد لم يجدوا فى العاصمة نقط ارتكازهم الطبيعية ، اذ لم يجدوا فيها مجتمعا منغلقاً على نفسه ولا حياة دينية يومية ولا حجاً الى قبور الأولياء ، فقد وجد اليهودى السيفاردى نفسه فجاة فى عالم مفتوح حيث كثيرا ما يكون الدين مجرد اخلاص فاتر لايمان الاجداد أو ذكرى من الماضى ، ولذلك تبنى الكثير من السيفارديين بارتياح أساليب اللوبافيتش بصفتها اطاراً لأدائهم للشعائر .

يقول حاييم نيسنباوم الموظف الكبير فى وزارة العمل والمتحدث باسم حركة اللوبافيتش فى فرنسا : « مما له مغزى أن أغلبية المنضمين الى حركة اللوبافيتش كانوا من شباب السيفارديين ، فقد ابتعدوا عن جذورهم الثقافية بدرجة تكفى ألا يروا فى الحسيدية عادات غريبة واردة من أوروبا الوسطى ، ولكنهم لم يبتعدوا عن التقاليد الدينية بالدرجة التى تجعلهم يرون فى اليهودية المحافظة على الشعائر مجموعة من الشعائر القديمة التى لا تهمهم ، لقد قبلوا الحسيدية كما هى بصفتها مدرسة للفكر

منفصلة عن التغيرات التاريخية ــ الثقافية وتبنوا كل أشكـــالها حتى الملابس ، وبالطبع لا تعنى البدلة التى نلبسها أى ارتباط ثقافى محـــدد جغرافيـــا ، وانما هى رمز روحى فقد ارتدى حكماء مبجلون مثل هذه الملابس ... » .

ومن بين المائة الف لوبافيتش الموزعين فى انحاء العـــالم يوجـــد حوالى عشرين الفاً منهم فى فرنسـا يكونون جماعات مستقلة تماما تصلها التوجيهات من بروكلين ، على الأقل حتى موت الحاخام ، ومجموعات اللوبافيتش موزعة طبعاً فى المدن الكبرى ولكنها توجد كذلك حتى فى قلب الضواحى ، ففى أحد الأركان الأكثر فقرا فى سين ــ سان ــ دينى حيث البطالة والمخدرات تبدو المستقبل الوحيد للشباب ، وفى وسط عمارات الاسكان الشـعبى التى لا قلب لها ، تظهر لافتـــة معلقة بين شباكى بيت لوبافيتش ، فقـــد حولت عائلة من شمال أفريقيا شقتها الى ملجأ روحى للنفوس التائهة ، وفى ظل أسوأ الظروف يحاول أتباع حركة حبد هؤلاء أن يوجهوا الأطفال اليهود فى هذه الضاحية الى الممارســة الدينية ، على أمل إبعادهم عن الانحراف .

وكان لتأسيس دولة إسرائيل دور رئيسى فى تدويل هذه الحركة ، فبعد الحرب العالمية مباشرة بنيت قرية للوبافيتش بالكامل فيما كان آنذاك فلسطين البريطانية ، وتوسع التجمع وهو يضم صفا من اليشيفوت والمدارس تحت صورة الحاخام ، بل انهم أقاموا نموذجا بالحجم الطبيعى لمقر اقامة الحاخام فى نيويورك بأمل حضوره يوما ما لاسرائيل ، ولكنه حتى النفس الأخير كان يرفض بعناد أن يضع قدمه على أرض اسرائيل خوفا ولا شك أن يمنح وجوده القداسة لدولة علمانية أكثر مما يجب .

وهذا الاخلاص للتقاليد الحسيدية لم يمنع الحاخام من التدخل فى الصراعات السياسية الاسرائيلية ، وأول مرة تدخل فيها كانت بخصوص مشكلة أثارت ضيق العـــالم الأرثوذكسى ومضمونها هو السؤال : من هو اليهودى ؟ ففى ٥ يوليو ١٩٥٠ أقر الكنيست قانون العودة وهو المبـدأ الأساسى بل المبرر لقيام الدولة اليهودية : « كل يهودى له الحق فى الهجرة

الى الوطن التاريخى لشعب اسرائيل » وبقى أن يتم تعريف اليهودى ، وهنا بدأت المشاكل . فبن جوريون أراد أن يعطى أوسع تعريف ممكن وحدد : « أى شخص يعلن بكل أمانة انه يهودى يجب اعتباره يهوديا ، ولن يطلب منه أى اثبات آخر لهذه الحقيقة » ؛ ولكن هذا لم يرق للأحزاب الدينية فدخلوا مباشرة فى صراع ضد هذا التعريف المتساهل جدا ، والذى يلغى ببساطة المبادىء الصارمة التى تقضى بأن الشخص اليهودى هو المولود لأم يهودية أو الذى اعتنق اليهودية طبقا للشريعة اليهودية . وفى ١٩٧٠ ، وفى محاولة لقفل باب الخلاف أدخلت الحكومة الاسرائيلية تعديلا على قانون العودة كالآتى : « يعتبر يهوديا كل من ولد لأم يهودية أو اعتنق اليهودية ولا ينتمى لأية ديانة أخرى » وهذه القاعدة الجديدة والتى لازالت سارية تثير غضب الأرثوذكس ، فتحت ستار مظهرها المتمشى مع الدين يمكن أن تظهر جميع التيارات الاصلاحية ، فاعتناق اليهودية لا يشترط أى ضمان شعائرى ويمكن لأى حاخام أن يتبع الاجراءات التى تروق له بقدر تقواه الخاصة . ولمقاومة هذه الليبرالية وقف حاخام اللوبافيتش على رأس حملة تطلب من المشرعين اضافة ثلاث كلمات : « يعتبر يهوديا كل من ولد لأم يهودية أو اعتنق اليهودية طبقاً لقواعد الشريعة » . وهذه الكلمات الثلاث تستبعد من المجال القانونى كل الجماعات الاصلاحية ، وهى مشكلة لا تؤثر كثيرا فى اسرائيل حيث لا تمثل هذه الجماعات الا أقلية صغيرة جدا ، ولكنها تمس الصراع اليهودى ـ اليهودى فى الولايات المتحدة ، حيث يمثل الاتجاه الإصلاحى تياراً كبيراً داخل الطائفة . ولكن جهود الحاخام باءت بالفشل ؛ لأن أية حكومة اسرائيلية لا تريد أن تتحمل مسئولية انقسام مع جزء كبير من اليهودية الأمريكية .

وخاض الحاخام معركة أخرى بشأن مصير الأرض المحتلة بعد ١٩٦٧ ، فقد جعل من الوجود اليهودى فى يهودا والسامرة مبدأ وعقيدة ، وفى القدس استمعوا اليه بعض الوقت ، وأخذ بعض وزراء مناحم بيجن واسحق شامير يمرون على رقم ٧٧٠ شارع ايسترن باركواى مركز اللوبافيتش . وفى كل مرة يكرر الحاخام تعاليمه بنظرته الأبوية وصوته الهادىء وصورته المدعاة كأستاذ اليهودية العالمية والمستشار السرى لدولة اسرائيل ، فيأمر ويطالب . ومن بروكلين كان الحاخام على استعداد

للقتال حتى آخر اسرائيلى : « انهم يتحدثون عن برنامج لمدة خمس سنوات لتحقيق ما يسمونه الحكم الذاتى ، ولكن ليس مهمـا التسمية ففى الواقع تتعارض هذه المشروعات مع الوصـية الصريحـة للتوراة التى تقول : « لا تقطع لهم ( لغير اليهود ) عهداً ولا تشفق عليهم » . وعلى ذلـك فمن المحظور اعادة أية قطعة ولو صغيرة من أرض اسرائيل » ٠

وهنا أيضاً ضاع صوت استاذ حركة حبد فى البرية ، فعلى الرغم من الخطب المتكررة والالحاح على التأكيد على رفض اعادة أى جزء ، بما فى ذلك سيناء ، فقد وقع مناحم بيجن ـ الذى كان يحب أن يظهر على أنه قريب من فكر اللوبافيتش ـ فى ١٩٧٩ مع أنور السادات على الاتفاقية التى أعاد بمقتضاها سيناء الى مصر ٠

وقــد وجد الحاخام نفســه فى تناقض بين رغبته فى التأثير على السياسة الاسرائيلية مع التمسك بالتقاليد الحسيدية المعـادية للصهيونية ، وللخروج من المأزق حـرف القضــية بادعــاء أن ضرورة الاحتفــاظ بالأراضى المحتلة لا تنبع من أى شكل من التأييد لدولة بعيدة عن طريق التوراة ، وانما من مجرد الرغبة فى الحفاظ على الحياة الانسانية ، ففى رأى الحاخام ، يؤدى ارجاع هذه الأراضى الى تعريض شعب اسرائيل الى خطر يفوق خطر الاحتفاظ بها ، وأعلن لكل من يهمه الأمر أنه أخـذ رأى كوكبة من القادة العسكريين وأنهم جميعـا أيدوا هذا الرأى ٠ وبناء على هذه النظرية قام بحملة انتخابية نشطة فى ١٩٨٨ تأييدا لحركة أجودات يسرائيل الدينية ، ودفع مليون دولار لخزينة هذا الحزب وأعطى تعهدا كتابيا بمنح بركته لكل من يعطى صوته له ! ونتيجة لهذه الاجراءات ارتفع عدد نواب حزب اجودات يسرائيل بشكل مسرحى ؛ ليؤسس حزبا جديداً هو ديجيل هاتوراه . والخلاف بين شنيرسون وشاخ لا ينبع من التناقض التقليدى بين المدرستين الحسيدية والليتوانية فقط ، وانمـا كذلك بسبب الصراع على الاعتمادات التى تخصصها دولة اسرائيـل للهيئات الدينية ٠ وفى ١٩٩٠ تدخل الحاخام مرة أخرى لمنع الأحزاب الدينية من تكوين أغلبية تساند حكومة يسارية ، وفى ١٩٩٦ أختارت حركة حبد ، رسميا ، معسكر بنيامين نتنياهو وقامت بحملة انتخابيـة

لمصلحة المرشح الوحيد « الصالح لليهود » وهو شعار استهجنه جزء كبير من الرأى العام ؛ لأنه استبعد من مجموع المواطنين اليسار وكذلك كل عرب اسرائيل ·

ومع الانخراط فى السياسة ، أخذت حركة اللوبافيتش اتجاهاً يبشر بعودة المسيح المنتظر القريبة ، وفى ظل الاعلان عن قرب نهاية العالم والخلاص العام ، اعطى الحاخام نفسه الحق فى الاشتراك فى كل الحملات الانتخابية فى اسرائيل ، فقد اصبحت القضية الأساسية هى اعلان قرب مجىء المسيح المنتظر واعداد الأرض اليهودية لاستقبال « مسيح الرب». ولتحقيق هذه النبوءة أصبح من الضرورى الاهتمام بشئون الانسانية البائسة وهدايتها الى طريق الحقيقة ، وبمرور الأعوام غطت هذه الرؤية على كل ما عداها .

وحيث انهم اعلنوا عن قرب مجىء المسيح المنتظر ، فقد أصبح أتباع اللوبافيتش جنود جيش المسيح المنتظر العظيم فى جميع انحاء العالم وكل جهودهم تعمل على الاسراع بمجىء مخلص الانسانية ، وانطلق الرجال لابسو السواد فى نيويورك ولندن وباريس وكذلك فى مدريد وجنيف يغزون أحياء اليهود ويدفعون الناس الى العودة الى الدين ، مما سيسرع بلحظة الرؤيا السامية ·

ومن مقره فى بروكلين أخذ الحاخام يوجه جنوده ويلهمهم ،وحضر اتباعه من كل أنحاء العالم طلبا لارشاداته ، والبعض منهم يطلب الاذن بالزواج من آنسة معينة ويعطى الحاخام قراره بالقبول أو الرفض دون اية معرفة بالآنسة المعينة . وتلتف أمواج من القبعات السوداء حول الحاخام الذى أصبح شخصية أسطورية والكل يحاول أن يقترب منه او يحدثه بكلمتين أو ان ينال نظرة أو كلمة ربما ... والقوم يغنون ويرقصون تحت نظراته المشجعة واشاراته الموجهة ، والكل يطلب حمايته ويوزعون بركاته حول العالم على شكل زجاجة نبيذ أو قطعة جاتوه باركها الحاخام ، وكل نقطة نبيذ تضاف الى زجاجة أخرى ، أو قطعة من الجاتوه توضع فى كعكة جديدة تضاعف بركات الحاخام الى ما لا نهاية .

وسرعان ما انتشرت القصص العجيبة والتى تشـير جميعهـا الى اصبع الرب فوق الحاخام ، فعندما كان عمره خمسة أعوام حمى مناحم الصغير الجماعة اليهودية فى نيكولايف فى روسـيا القيصرية من مذبحة كبرى ، فقد هدأ بحديثه اللطيف ومحبته بكاء طفل عمره ثلاث سنوات كان صراخه سيجتذب جنود القوزاق ... وله معرفة « عبقرية » بالعلوم والرياضيات وقد حصل على عدة « شهادات دكتوراه » من السوربون .. وهذه المعرفة العميقة — حقيقية كانت أو مفترضة — سمحت للحاخام أن يعلن ببساطة أن دراساته العلمية تؤكد أن العالم قد خلق فعلا منذ خمسة آلاف وسبعمائة سنة كما تقول التقاليد اليهودية ، وعندما سأله أحد اتباعه عن مغزى الحفريات أجاب مناحم شنيرسون :

« يمكننا ان نتقبل فكرة أن الله خلق الحفريات بحالتها الراهنة ، ولا نعرف لماذا خلق الله الحفريات كما لا نعرف لماذا خلق الذرات » (٦) .

وبمنظره المهيب ولحيتـه البيضاء ظهـر لجنـدى اسرائيلى أسره المصريون فى سيناء فى أوائل حرب أكتوبر ١٩٧٣ وطمأنه بأنه سيعود قريباً الى بيته وقال له : « اذا لزم الأمر فسأحضر بنفسى لانقاذك » . وهو يتنبأ بالمستقبل ويتحدث برسائل يجب انتظار مرور الزمن لفهمها ، وفى احدى المرات نطق أمام احدى الزائرات بالآتى : « لا تقلقى بشأن ابنتك » ... وبعد بضعة ايام كانت الابنة المذكورة وهى طـالبة تدرس فى اسرائيل فى موقع ألقيت فيه قنبلة ارهابية ، وطبقا لنبوءة الحاخـام لم تصب الا باصابات طفيفـة .

ان تاريخ الحسيدية ملىء بالحاخامات صناع المعجزات ويعتبر تاريخ حياة مناحم شنيرسـون الخيالى هذا جزءاً من هـذه التقاليد الدينية ، ولكن الأمور بدأت تتسارع وتتعقد ابتداء من أوائل التسعينيات ، اذ لم يعد يكفى انتظار مسيح منتظر حسب احلامهم ، بل بدءوا يعطونه شكلا واسما وهو الحاخام. وفى أول الأمر ترك اتباعه ينظرون اليه على أنه المسيح المنتظر المتجسد وذلك دون مقاومة منه لكبر سنه ، الا انه لم يلبث ان أخذ يشجعهم فى هذا الخطاب بل ويشارك فيه ، وبعد قليل أصيب بفقدان

النطق بعد جلطة دماغية ، وفقد القدرة على القاء تعاليمه أو قيادة أتباعه؛ مما سمح بكل أنواع التوقعات .

وهذه النزعة المسيانية أخافت بقية الحركات الأرثوذكسية ، ويحكى أن أحد الطلبة سأل يوما الحاخام شاخ عن أقرب الديانات الى اليهودية، فأجابه بغير قليل من السخرية : « انها حركة حبد ! » .

ويشرح الحاخام باشتر هذا الاتجاه لحركة اللوبافيتش قائلا : « لقد كان الحاخام دوما رجلا متزنا يعتنى بكل كلمة ويقدر التخريجات والتفسيرات الممكنة ، وقبل ١٩٩٠ لم يسمح أبدا بالحديث عن شخصية المسيح المنتظر ، وفجأة انفتحت كل البوابات ولم يكتف بالسماح بتسميته المسيح المنتظر ، وانما شجع ذلك الخطاب ، مؤكداً أنه يمثل الجيل السابع بعد مؤسس حركة حبد . ومعروف أن الجيل السابع كان دائما مفضلا فى تاريخ اليهودية ، فموسى جاء بعد سبعة أجيال من ابراهيم .. كذلك قال الحاخام انه قد جاء ليعيد وجود الله على الأرض بصفة نهائية ويحقق الخلاص ، وهى كلمات خطيرة ، وقد مرت سنتان ونصف على هذا الوضع والحاخام يتحدث كل سبت بخلاف أيام الأعياد ، ولا يمكن والحال كذلك أن يقال ان الحسيديين قد امتلأت رؤوسهم بالحديث عن المسيح المنتظر من تلقاء ذواتهم أو انهم اخترعوا هذا الخطاب ! » .

ولبضعة أعوام انتظر عالم اللوبافيتش اعلان شخصية ذلك الذى أطلق عليه اسم الملك ـ المسيح المنتظر . وفى يوليو ١٩٩٤ دفعت وفاة الحاخام بالحسيديين الى الرعب واليأس ، وتصور البعض أنه سيقوم من الموت ويظهر على العالم بلباسه الأبيض ، وفى مدافن كوين حيث كانوا يستعدون لدفنه وقف بعض الأتباع يصرخون : لقد جاءت ساعة الخلاص ، أن نهاية العالم اليوم ... ولكن شيئا لم يحدث وغطى التراب النعش .

ومنذ ذلك اليوم المشئوم لم يعرف المقر رقم ٧٧٠ شارع ايسترن باركواى النشاط القديم ، ولم تعد طائرات الشارتر تأتى الى نيويورك حاملة نهر الأتباع من كل أنحاء العالم ، وعلى بعد خطوات من

مقر الأستاذ أغلق الفندق الذى كان يستقبل الزوار لابسى السواد أبوابه ، وبدأت صورة الحاخام المرسومة على سقف صالة الاستقبـال تتقشر ، والصور المرسومة على الجدران يعلوها التراب ، والغرف الخاليـة من الزبائن أخذت تتدهور فى حـالة من نهاية للعالم مصغـرة على مستوى كراون هايتس الحى فى بروكلين الذى يسكنه اللوبافيتش · ولكن فى الشوارع لازال الأمل موجودا ، فصورة الحاخام باقية فى نوافذ المحلات وفى المغسلة كما فى المكتبة ، وبائعة الخبز التى شعرها الأشـقر بلون خبز القرفة الذى تبيعه ، تحكى قصص المعجزات التى صنعهـا المعلم ، وتعترف بأنها تذهب الى قبره تستمد منه العون عندما تتأزم الأحوال ·

وقد ظهر تياران فى داخل الحركة التى فقدت سلطتها العليا وهما : تيار انتظار المسيح المنتظر وهو ينتظر قيامة الحاخام من الموت قريبا ، وتيار واقعى يتحدث لغة أكثر اتزانا . ويحاول حاييم نيسنباوم أن يضع اختفاء الحاخام فى اطار منظور أوسع .

« ان وفاة الحاخام كانت حدثا شديد الوقع ولكنها لا تؤثر على انتظار مجىء المسيح المنتظر ، وهذا الانتظار هو أحد أسس اليهودية وكان موجودا قبل ظهور حركة اللوبافيتش ولا زال موجودا اليوم ، وفضلا عن ذلك فقد أكد الحاخام كثيراً على قرب مجىء المسيح المنتظر وهذه رسالة ذات مغزى ، فقد أكد قرب مجىء المسيح المنتظر ثم اختفى ، فلماذا نتعرض لهذه التجربة المزدوجة ؟ اننا نعتقد أنه اذا كان الحاخام قد ألح على اعلان مجىء المسيح المنتظر وطلب منا الاستعداد لذلك المجىء ، وبذل مجهود اضافى لتقريب هذا الهدف ، فإن هذا معناه أنه لم يبق الكثير على تحققه . لقد ساد فى السنوات الأخيرة الفكر القائل : اطلبوا المسيح المنتظر باخلاص وهو سيستجيب لكم ويجىء ، والتلمود يؤكد أن كـل عمل ايجابى وكل وصية تنفذ تقـرب من وقت مجىء المسيح المنتظر . لقد اعتقد الكثيرون أن الحاخام نفسه هو المسيح المنتظر ولكن حركـة اللوبافيتش لم تؤيد مطلقاً هذه الفكرة . لقد حدد ابن ميمون (*) المفسر

---

(★) ابن ميمون : يعد موسى بن ميمون واحدا من أهم فلاسفة اليهود فى العصور الوسطى · وشغل ابن ميمون هذه المكانة ليس لغزارة انتاجه الذى شمل كافة مجالات المعرفة وانما لأن أعماله تمثل حلقة الوصل الأولى بين الشريعة والفلسفة · ويعـد كتاب دلالة الحائرين الذى أصدره فى عام ١١٩٠ من أهم أعماله · وقد تأثر فى هذا العمل بفلسفة كل من الفارابى وابن سينا وابن رشد ـ ( المراجع ) ·

الكبير فى القرن الثانى عشر بدقة الصفات التى يجب أن تتوفر فى شخصية المسيح المنتظر ، وفى الواقع توفرت بعض هذه الصفات فى الحاخام فقد كان من نسل الملك داود ، وقد كرس حياته من أجل اليهودية ودفع الناس الى التمسك بتعاليم التوراة ، وقد خاض حروبا روحية من أجل الله وحقق انتصارات ... ولكن ابن ميمون أكد انه حتى لو حقق أحدهم كل هذه الصفات ، فانه لا يمكن التأكد من أنه المسيح المنتظر الا عند انتهاء العملية ، أى عندما يجمع كل الشعب اليهودى فى اسرائيل ويعيد بناء الهيكل الثالث ومع الأسف لم تتحقق هذه المرحلة الأخيرة ... ».

أما الحاخام باشتر فهو أقل حرصاً ويقول مثل أغلب أتباع اللوبافيتش، ان الحركة قد انقسمت الى تيارين : أولئك الذين ينتظرون قيامة الحاخام من الموت قريبا ، وأولئك الذين ينتظرونه ولكن لا يعلنون ذلك خوفا من الاتهام بالتعصب الأعمى ! « بعد وفاة الحاخام قال البعض ان عملية مجىء المسيح المنتظر قد بدأت وان الحاخام قد يظهر ثانية فى أى وقت ، وآخرون صمتوا وأحنوا رؤوسهم بل ويؤكدون ان الحاخام لم يدع فى أى وقت أنه المسيح المنتظر .. انى أعرفهم جيداً ويمكننى أن أؤكد لك أن هؤلاء لهم نفس الاعتقاد مثل الأولين ولكنهم يخجلون من الاعتراف بذلك ، ويخشون أن يؤدى ذلك الى عدم الاستماع اليهم بشأن أى موضوعات أخرى ، أما أنا ، فواثق مائة بالمائة من تحقق ما قاله الحاخام ان العملية فى طريقها وعندى ثقة تامة بذلك ، اعتبرنى مجنونا فأنا أطالب بذلك ، أما القوم العقلاء فلا أهمية لهم فى نظرى ! » .

وتعبر ( بيت ماشيح ) وهى مجلة جمعية العمل من أجل مجىء المسيح المنتظر فى عدد أبريل ١٩٩٥ عن نفس الثقة العمياء ، وقد نشرت على الغلاف عنوانا عن الاحتفال بعيد الميلاد الثالث والتسعين للحاخام الذى توفى قبلها بعام ، فكتبت تقول : « لقد بدأت عملية الخلاص منذ ثلاث سنوات عندما أعلن الحاخام توقعات صريحة ، وفى الوقت الحالى نجد أنفسنا فى منطقة اضطراب أو فى حالة تناقض من نوع ما ، ولذلك فاختفاء الحاخام يجعلنا نشعر بتراجع خطير ، ولكننا فى الواقع على وشك حضور الرؤيا النهائية تلك التى انتظرتها الأجيال السابقة لنا كثيرا » .

قال لى أحد يهود شمال أفريقيا والذى استقر فى اسرائيـل وهو واقف أما صورة الحاخام : « لن نعرف ان كان هو المسيح المنتظر الا يوم الرؤيا الا انه أعطانا صورة وهذا هو الشىء المهم » .

وهو حديث قد يدفع أكثر الحاخامات اعتدالا الى الصراخ ، فتقاليد اليهودية كانت ترفض دائما تقديس الصور بصفتها الخطوة الأولى نحو عبادة الأوثان . والحاخام الباهو عوزان ذو الاتجاه الليتوانى المعــادى للوبافيتش ينتظر هو الآخر مجىء المسيح المنتظر ولكنه يرغض تسميته ، ويقول : « لقد وضع اللوبافيتش كل أملهم فى الحاخام ، انهم لا ينتظرون مجىء المسيح المنتظر وانما مجىء الحاخام ! ان هذه تمثل نقطة خــلاف خطيرة بين اللوبافيتش وبين بقية الأرثوذكس فهم لازالوا يتصـــورون أن الحاخام حى ، انهم يعتقدون بقيامه من الأموات .. نحن لا نقبل هذا ».

واللوبافيتش يعتبرون كل حدث دليلا على قرب مجىء المسيح المنتظر فقضية الدماء الملوثة وسقوط الشيوعية تشهد باقتراب اليوم الموعود ، وكذلك تبين عودة الكثير من الشباب الى الدين واستيعابهم فى الطائفة اليهودية بأعداد كبيرة قرب مجىء المسيح المنتظر .. وكثيراً ما قيل لى : « ان التلمود يصف ما سيحدث فى مرحلة مجىء المسيح المنتظر وهى تتحدث عن الركود الاقتصادى وانتشار الوقاحة وانتصـــار الكــذابين والغشاشين ... وهى أشياء نعيشها كل يوم » .

ويعتمد الحسيديون الذين يعترفون صراحة بانتظار قيامة الحاخام من الأموات ، على تقليد غيبى يقول إن كبار الحكماء لا يموتون حقيقة ، وانه حتى بعد دفنهم ، فان أجسادهم لا تتحلل وتستمر فى الحياة بشكل ما. وجـــاء فى مجـــلد كتوفـــوت من التلمـــود أن الحاخـــام هاكـــادوخ ، كان طوال سنوات طويلة بعد دفنه ، يقوم من قبره مساء كل يوم جمعة ويتوجه الى عائلته ، حيث يبارك الخبز والنبيذ الذى يفتتحون به يوم السبت المقدس ، وكان يشارك زوجته وأولاده الطعــام وهو بملابس العيد ثم يعود الى قبره. .يتناقش المفسرون بكل جدية بشأن هذا النص ؛ ولكنهم لا يشككون فى قيام الحاخام هاكادوخ من قبره كل اسبوع ، وانما يختلفون حول ما اذا كانت صلاة رجل ميت ذات فائدة لأقاربه الأحياء أم لا .

والحاخام نفسه أثار عدة مرات موضوع امكانية القيامة من الأموات لبعض الحكماء الكبار وبذلك اجاب مقدماً على المتشككين اذ قال : « على الرغم من أن ترتيب الأمور هو على النحو التالى : مجىء المسيح المنتظر ثم اعادة بناء الهيكل ثم جمع اليهود من المنفى ثم قيامة الأموات ، فان هذا لا ينفى أن قيامة بعض الأشخاص غير العاديين قد حـدثت فى الماضى وستحدث قبل عملية الخلاص » .

وفى المـاضى ، اتخـذ تبشير اللوبافيتش فى أوساط اليهود أشكالا متعددة ، فكانوا يطرقون ابواب العائلات ذات الأسماء التى يبدو أنهـا يهودية ليدعوهم للتمسك بتنفيذ الوصايا ، كما كانوا يستخدمون سيارات نصف نقل صغيرة يسمونها دبابات الايمان تحمـل كتبا دينية وأدوات اقامة الشعائر الى الأحياء التى يعيش فيها اليهود البعيدون عن طريق الدين . واليوم لم يعودوا يتصرفون بهذه الدرجة من العدوانية ؛ ولكنهم يستخدمون بالأحرى لغة التهديد والوعيد .

ويعترف حاييم نسنباوم قائلا : « لقد كان الحاخام هو الذى يضمن وحدة الحركة فقد كانت احدى مهامه دفع الأمور باستمرار واليوم توقفت هذه القوة الدافعة ... ولدينا تعاليمه وتوجيهاته بشأن النشاط على المدى الطويل ولكن لم تعد هناك أفكار جديدة ولا تشجيع ، وعلينا أن نكتشف طريقة جديدة للعمل . وقد نشأت فى نيويورك هيئة ادارية صرف لادارة الحركة وهيئاتها وأموالها ، وفى الواقع ، أدى غياب التوجيه المركزى الى اتجاه متزايد نحو استقلالية الفروع المختلفة ، ما الحل النهائى ؟ نتمنى مجىء المسيح المنتظر ... » .

وسيتعارض الاتجاهان الموجودان فى عالم اللوبافيتش فى المستقبل أكثر وأكثر ، لأنه لا توجد سلطة يمكن أن تحكم بين دعاة مجىء المسيح المنتظر والبراجماتيين ، واذا كانوا منقسمين ظاهريا حول المسيح المنتظر ، فانهم مختلفون أيضاً ــ وربما بشكل اكبر ــ حول السياسة الواجب اتباعها، فدعاة مجىء المسيح يؤيدون بكل قوة الاتجاهات الأشد يمينية فى اسرائيل وهم على استعداد للجوء للعنف ، أما البراجماتيون فيكتفون بالصلاة

والرقص حسب التقاليد الحسيدية ولا يتدخلون فى تعرجات السياســـة الاسرائيلية ، حتى عندما يسجن حاخام لوبافيتش فى تل أبيب. ولهذا يرفض حاييم نسنباوم ، الذى يمثل تماما التيار البراجماتى فى الأصولية ، قائلا :

« عندما نتحدث عن الأصولية يتبادر الى الذهن فورا ايران الخمينى أى الرغبة فى الوصول الى الحكم بكل الوسائل وباسم الدين ، ولكن هذه الاستراتيجية لم تكن أبدا من أهداف حركة اللوبافيتش ، فنحن لا نهدف الى الوصول للسلطة فى أى مكان حتى ولا فى اسرائيل ، واليوم يوصف بالأصولية اناس يمارسون الشعائر الدينية ... فهل هذه تهمة ؟ ان حركة اللوبافيتش ليست حركة أصولية ولكنى أدعوها حركة تكامليــة فنحن نريد تكامل وصايا التوراة ولكن هذا هو هدف كل يهودى متدين . وبأى مقياس يعتبر الحاخام الأكبر لفرنسا أقل أصولية منا ؟ انه هو أيضاً يلبس قبعة ويربى لحية ... أوهـــل يعتبر هذا أمرا مقبولا من حاخام على أنه نوع من مقتضيات الوظيفة ، فى حين انه يعتبر بالنسبة لليهودى من القاعدة دليلا على الأصولية ! لا ، ان الأصولية بصفتها طريقة لاستخدام العنف أو الرغبة فى استخـدام الدين لتحقيق أهــداف سياسية لا تتمشى مع اليهودية ، ولم يستخدم اللوبافيتش هــذه اللغــة أبدا » .

وهو رأى لا يقبله اسمار شورش عميد معهــد اللاهوت اليهودى ، الذى أدان أثناء اجتماع فى نيويورك انحرافات المنادين بمجىء المسيح المنتظر ، قائلا :

« ان السبب العميق لاغتيـال رابين لا يرجـع للخـطاب الدينى ولا للأرثوذوكسية وإنما للمناداة بمجىء المسيح المنتظـر ، فهى التى انتشرت بعد حرب الأيام الستة على شكل صيحــة النصر على يـــد حركتى اللوبافيتش وجوش ايمونيم . ان الزحف نحو الخلاص على يـــد المسيح المنتظر مع التشبث المرضى بقدسية الأرض يؤدى الى تحـريم اعادتها بشكل مطلق ، وهنا تصبح للشريعـــة اليهوديـــة مكانة اكثر سمواً من مكانة حقوق الإنسان ، كما أن اليهودية تصبح متعارضة مع الديمقراطية » (٧) .

ويتجاهل المنادون بمجيء المسيح المنتظر من اتباع حركة اللوبافيتش هذا الهجوم ، ويستمرون فى نشر رسالتهم العنيفة ويؤيدون الانجاهات المتطرفة فى اليهودية لأنه من الواجب تغيير العالم.وبعد اغتيال رابين بقليل نشر الحاخام باشتر اعلانا مدفوعا على صفحة من مجلة اكتواليتيه جويف (٨) يحلل فيه عملية الاغتيال ونتائجها جاء فيه :

« وفورا وجه الاتهام الى أحزاب اليمين وبالأخص الدينية حتى ينصب عليها سخط الرأى العام ، فخلال أسبوعين أو ثلاثة كانت وسائل الاتصال العالمية تتحدث عن مؤامرة دينية يمينية دبرت داخل مدارس الحاخامات ... وجو الارهاب هذا يسمح لخليفته شمعون بيريز بالحصول على أغلبية مريحة تسمح بالتعجيل فى خطة التنازلات ، وبذلك يتم التنازل عن « الأراضي » بسرعة غير مسبوقة ، وعلى ذلك فمن المستفيد من الجريمة ؟ » .

وبنفس المنطق يعتبر الحاخام باشتر باروخ جولدشتاين من أبطال اليهودية ، وهو يدعى انه يعرف حقيقة قصة القاتل المجنون فى ساحة الأنبياء : فقد كانت هناك مؤامرة من متطرفين عرب لقتل أربعمائة وخمسين يهوديا من المنطقة ... وعندما علم جولدشتاين بهذه المذبحة جرى الى أقرب مركز بوليس ، فأبلغوه أنهم لا يستطيعون التصرف ، وضحك أحدهم قائلا : « أنت بصفتك طبيبا يمكنك العناية بالجرحى ! » .

وهنا اخذ جولدشتاين بندقية وذهب الى الجامع بالخليل وأطلق النار على المصلين « لينقذ اخوته ! » .

وبالطبع ، فان الأصوات المتعصبة هى التى يعلو صوتها،ولكن حركة اللوبافيتش التى فقدت قيادتها منذ أكثر من سنتين لا بد أن تزداد انحرافا فى اتجاه التطرف ، فبقدر ما يمر الوقت دون اختيار حاخام جديد تأكد اقتناع الجناح المنادى بمجىء المسيح المنتظر ، بصحة توقعهم لقيامة الحاخام من الموت ، وكلما مر الوقت ، أصبح أكثر صعوبة على الجناح البراجماتى أن يؤكد رسميا موت الحاخام بعملية تكريس رئيس جديد . ومن الصعب

التغلب على هذه المشكلة بسبب أن تقاليد الحسـيديين تقتضى بأن ابن الحاخام هو الذى يحل محل أبيه المتوفى ، أو يسمى الحاخام قبل موته من سيحل محله ••• ولكن مناحم شنيرسون لم يكن له أبنـاء ولم يسم خليفته الروحى •

وفى كفار هاباد أخذت هيلينا تردد بلا انقطاع : « ان الحاخام لم يمت ، وكل ما فى الأمر انه اختفى من أمام أعيننا التى لا تستطيع أن تراه ، لا ، ان الحاخام لم يمت .. » وكلما كررت تأكيداتهـا ازدادت انتشـاء •

وزيادة فى اقناعى ، حكت لى القصة التالية التى تتردد فى أوساط اللوبافيتش لبث الراحة فى نفوسهم : فى الليلة التى اختفى فيها المعلم عن عيوننا ، توجه رجل الى قبر والد الحاخام فى مكان ما فى أقـاصى روسيا وطلب من الحارس أن يفتح له باب القبر وأخذ يصلى على الحائط البارد ••• وفى اليوم التالى ذهب الحسيديون الذين أزعجهم خبر وفاة الحاخام الى نفس المكان القصى فى سهوب روسيا ، وطلبوا هم أيضـا الدخول الى المقبرة وأوضحوا أنهم يريدون زيارة قبر والد معلمهم ، وقدموا صورة الحاخام لتأكيد قولهم ، ولكن حارس المقبرة صاح قائلا : « اننى أعرف هذا الرجل ، فقد جاء هنا البارحة واستمر يصلى لعدة ساعات ثم انصرف دون أن ينطق بكلمة ••• » •

# الكلاشنيكوف ونير الرب

## أو المتطرفون الأمـريكيون

يتدرب الشباب وهم يلبسون أقمصـة مرسوم عليها مسـدس فى وسط نجمة داود وبيريهات زرقاء ، على سباق اختراق الضاحية فى ريف نيويورك ، وتسمع طلقات نارية من مجموعة تتدرب على اطـلاق النار ، فى حين تنصت مجموعة اخرى الى مدرب الكاراتيه ، ويواظب اعضاء منظمة الدفاع اليهودية على هذه التدريبات فى نهاية كل أسبوع وهدفهم اثارة رعب «السكينهيدز» ( ذوى الرؤوس الحليقة ) والاسلاميين الملتحين . وقد ابدوا شجاعة ملحوظة فى الوقوف موقف الند مـن العنصريين البيض فى بعض الأحيان ، ففى فبراير ١٩٩٦ نجحوا بمساعدة بعض جماعات السـود فى تعطيل اجتماع لجماعـة الكوكلوكس كلان العنصرية فى فلوريدا .

ويشرح موردخاى ليفى ، زعيم المنظمة ، الموقف بالقول بأنه قد مل من جبن زعماء الطائفة الذين يتحدثون بعبارات مهذبة ومدروسة ، مع ان الزمن فى رأيه لا يسمح بالتأجيل وانما باللجوء الى القوة لأن العالم يتجه نحو كارثة ، فالنازية الجديدة تشل الولايات المتحدة فى ظل عدم المبالاة العامة ، فضـلا عن أن الحكومات الاسرائيليـة المتعاقبة تصفى بدرجات مختلفة من الصراحة الأراضى اليهودية وتتنازل عنها للعرب ...

وتعتبر منظمة الدفاع اليهودية بتركيزها المرضى على الدفاع الذاتى، وخطابها الصهيونى المتطرف عن اسرائيل الكبرى ، الوريث المباشر لعصبة الدفاع اليهودية التى أنشأها الحاخام مائير كاهانا فى ١٩٦٨ . لقد كانت تلك هى المرحلة التى تعرف فيها المتطرفون السود على هويتهم خلال الاتجاهات الراديكالية للفهود السود ، والتى لجأ أثناءها زعماء هذه الحركات أحيانا الى العنف ضد السامية ، وكان رد كاهانا هو رد الضربة بضربة ، فقد نجمع شباب من عائلات كثير منها من الناجين من الكارثة النازية وراء الشعار « لن تتكرر ! » ؛ مما كان يعنى التواصل التاريخى وفى نفس الوقت الانفصال عن الخطط القديمة . ولكن الجماعة لم تكن لتكتسب شهرتها العظيمة لو كانت قد بقيت مجرد جماعة ، تستخدم ذراعها القوية فى الرد على اعتداءات السود ، فقد وجد مائير كاهانا سريعا قضية أخرى تخدم جماعته وهى قضية الدفاع عن يهود الاتحاد السوفيتى ، فقد حرك الشباب المتحمس ليجعلوها قضية اليهودية فى أعوام السبعينيات . وقد رفض كاهانا وجماعته باحتقار الاجتماعات والمظاهرات وأشكال النضال المتحفظة للتنظيمات الأخرى ، وأخذوا بدلا من ذلك يشوشون على كل العروض الفنية السوفيتية على الأراضى الأمريكية ، واستخدموا سياسة ارهابية منظمة تتلخص فى : التشويش على العروض الآتية من الشرق ، والقاء القنابل الحارقة على سيارات الدبلوماسيين ، وتخريب الأماكن ، واحتلال المكاتب ، والدعوة الى المقاطعة . وقد صاحبت بعض هذه الأعمال الاستفزازية أحداث مأساوية : فقد ألقى القبض على شاب فى الواحدة والعشرين من العمر ، بعد القائه قنبلة مسيلة للدموع على أوبرا المتروبوليتان أثناء عرض لفرقة مويسييف للرقص ، وبدلا من انتظار الحكم عليه بالسجن لمدة عشرين عاما انتحر قبل بدء المحاكمة .

والى جانب قضية تحرير اليهود السوفيت ، تبنى كاهانا العمل على اقامة حكومة دينية فى القدس ، ودفعته صهيونيته الى ترك الولايات المتحدة والتوجه الى اسرائيل فى ١٩٧١ ، حيث أنشأ عصبة دفاع يهودية محلية ثم حزبا سياسيا ، ولكنه لم ينتخب فى الكنيسيت الا بعد تسعة عشر عاما .

وفى الولايات المتحدة ، كانت تعاليم الحاخام مرتبطة بالتقاء عدة ظواهر عميقة الارتباط بالمجتمع ، ففى مواجهة العلاقات الصعبة والمتعارضة بين اليهود والسود والبورتوريكيين قدم فكرة الدفاع عن النفس ، وفى قلب أحياء مثل بروكلين حيث تتجاور الجماعات العرقية ، نجح فى فرض احترام اليهود . وبعد ذلك اكتشفت اليهودية الأمريكية الكارثة النازية ، التى كانت قد أهملت طويلا وصاحب ذلك شعور بالذنب ، فمع الكشف عن فظائع النازية شعر الشباب بأن الطائفة وأعيانها قد صمتوا طويلا دون مبالاة ، وأحس الجيل الجديد أن التكفير عن ذلك يكون بالوقوف بالقوة ضد كل أنواع معاداة السامية ، وكان الشعار « لن تتكرر ! » مناسبا تماما لهذا التفكير . وأخيرا ، وهذه نقطة هامة لتفسير استمرار التعاليم الكاهانية فى أمريكا ، فان الهوس العنصرى الكاهانى ضد العرب لم يبدأ فى نيويورك وانما بدأ فى اسرائيل من ١٩٨٠ فقط ، وعليه فالناس لا يتذكرون فى أمريكا الا المعلم الجذاب الذى بث فى الشباب حب اليهودية .

وقد انهارت حركة كاهانا التى كانت قد ضعفت بعد رحيله الى اسرائيل لتحقيق طموحاته السياسية ، بعد اغتياله فى ١٩٩٠ ، فقد انتقل الكثيرون للكفاح فى جهات أخرى وأراد البعض الاستمرار فى الحركة ، فى حين انضم آخرون الى ابنه بنيامين كاهانا فى حركة ( كاهانا حى ) .

ومن بين الجماعات الصغيرة كانت جماعة ( كاهانا حى ) هى أشدها عنفا وتشددا ، وفى ليلة ٢٦ فبراير ١٩٩٢ انفجرت قنبلة قرب مقر البعثة السورية فى الأمم المتحدة مسببة أضرارا مادية ، فى حين ابطل مفعول قنبلة أخرى وضعت فى صندوق بريد جنوب مانهاتان ، ووجد المحققون رسالة تقول « حرروا اليهود السوريين » ، وقد أنكر بنيامين كاهانا أية مسئولية عن أعمال العنف هذه ؛ولكنه صرح فى اليوم التالى لجريدة النيويورك تايمز :

« نحن نأمل أن هذه الحادثة تجعل السوريين والارهابيين الذين تدعمهم سوريا يفهمون أن يد الانتقام اليهودية تستطيع أن تصل اليهم ... » .

ولتكوين العناصر المتميزة فى حركتها نظمت جماعة ( كاهانا حى ) دراسات شبه عسكرية ، كان على أفرادها بعد ذلك تجنيد قوات جديدة من كل أنحاء أمريكا وحتى اسرائيل ، ووصفت جريدة معاريف الاسرائيلية (١) أحد معسكرات التدريب هذه فى تلال كانسكيل فى منطقة نيويورك على النحو التالى : « كان المعسكر يضم مائة وعشرين صبيا جاءوا من الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا ، واشتركوا فى تدريبات اطلاق النار بالكلاشنيكوف وحرب العصابات فى المدن ومواجهة الارهاب واستخدام المتفجرات ، والى جانب ذلك محاضرات أيديولوجية ودروس فى اللغة العبرية » .

وقد أعلن ميخائيل جوزفسكى ، الزعيم الأمريكى لـ ( كاهانا حى ) بفخر للصحفى الاسرائيلى أن جماعته تحظى بتأييد ثمانية آلاف يهودى فى الولايات المتحدة ! وهو رقم خيالى بالطبع فالسلطات الرسمية تقدر أتباع ( كاهانا حى ) بما لا يزيد عن مائة وخمسين شخصا وهو تقدير يتجاهل عدد المتعاطفين ، ففى جولة استغرقت ثلاثة أسابيع فقط فى الولايات المتحدة جمع بنيامين كاهانا مائتين وخمسين ألف دولار ، وصحيح أن من أعطوا نقودهم لكاهانا لا يؤيدون جميعهم فلسفته العدوانية ، وانما هم يمنحون تأييدهم السياسى لسياسة الاستيطان فى يهوذا والسامرة ، وبصفة خاصة لمدرسة الحاخام ميئير ، وهى مدرسة تلمودية أنشئت فى مستوطنة تابوا فى ذكرى الحاخام المقتول .

وقد تغيرت أهداف الكاهانيين ، حيث لم تعد هناك جماعات يهودية مضطهدة وانتقلت أهدافهم الأساسية الى اسرائيل ، والأهداف الموجهة اليها بنادق هؤلاء المتعصبين الآن هى انصار عملية السلام سواء أكانوا يهودا أم عربا ، وفى ٢٩ نوفمبر ١٩٩٣ قبض على الحاخام ابراهام توليدانو ، وهو كاهانى معروف ، عند وصوله الى مطار تل أبيب ، وقد وجد بحوزته عند مجيئه من نيويورك مستودع أسلحة : كاتمات صوت وتليسكوبات ومواد لصنع قذائف البنادق وكتب لشرح كيفية التعامل مع المتفجرات .

وحتى فى أمريكا يتعرض الدبلوماسيون الاسرائيليون للخطر ، ففى أحد معابد واشنطن ألقى ناشطو ( كاهانا حى ) القبض على السفير الاسرائيلى ايتامار رابنوفتش وحاولوا الاعتداء عليـه ، أما قنصـل اسرائيل العام فى نيويورك كوليت آفيتال فقد هددوها بالقول : « سنقتلك يا داعرة ! » .

وفى ٥ يناير ١٩٩٤ أمكن ابطال مفعول قنبلـة وضعـت فى مبنى بنيويورك توجد به عدة منظمات يهودية يسارية ، ولكن قنبلة أخـرى وضعت بالقرب من صندوق اسرائيل الجديد — وهو هيئة تجمع التبرعات لصالح اسرائيل — انفجرت دون خسائر بشرية لحسن الحظ ، ووجدت فى الموقع منشورات تهدد « بحرب أهلية اسرائيلية » قادمة ، « وبنشر الدم فى اسرائيل » فى الوقت المناسب . ولم تعترف منظمة ( كاهانا حى) بهذه الأعمال الارهابية ، الا أن جوزوفسكى أيدها قائلا : « نحن لا ندين أولئك الذين يستهدفون المجموعات اليهودية التى تسببت فى قتل العديد من اليهود على أيدى الارهابيين العرب ... واذا لزم استخدام العنف لمنع تدمير الدولة اليهودية فليكن » (٣) .

وبعدها بقليل كرر جوزوفسكى فى حديث تلفزيونى عبارات المنشور الذى ترك فى مكان الحادث وقال مهددا : « ان اسرائيل فى خطر واليهود سيحاربون ، أننى أتحدث عن حرب أهلية دموية ... » .

وبعدها وضعت منظمة ( كاهانا حى ) على قائمة المنظمات الارهابية المحظورة بمعرفة ادارة كلينتون ، ولكن هل يكفى الحظر الرسمى لالغاء تهديداتهم « بحرب أهلية يهودية » ؟ ألن يشجع الاختفاء تحت الأرض هؤلاء الناشطين على أعمال عنف جديدة ؟

وفى الوقت الحاضر ، تنكرت الحركة اليهودية الأمريكية المنظمة لتلك الجماعات ذات التوجه العدوانى ، وهى : جماعة ( كاهانا حى ) وكذلك عصبة الدفاع اليهودية والمنظمة اليهودية للدفاع . وحتى الجمعيـات التى تقترب سياسيا من تلك الحركات المتطرفة ، لا تتحرج من أن تطلب من قوات البوليس أن تبعد هذه الحركات عن المظاهرات التى تنظمها .

وكل ما يستطيع هؤلاء الشباب المتحمسون القيام به بعد تهميشهم ، هو الظهور أمام وسائل الاعلام بأقمصتهم الصفراء المرسوم عليها نجمة اسرائيل وبداخلها قبضة اليد ، وهى شعار أتباع الحاخام كاهانا .

ومع ذلك ، فما زال صوت الكاهانيين مسموعا ، من خلال مجلة اسمها ذا جويش فويس ( الصوت اليهودى ) والانترنيت ومنظمة جديدة تسمى كارد ( وهو اختصار الأحرف الأولى للجنة ضد العنصرية والتمييز ) ، وجميعها تسمح لهؤلاء الناشطين بالتعبير بقوة عن العيوب التى ينسبونها للاتفاقيات التى وقعتها اسرائيل مع السلطة الفلسطينية، وعن طريق وسائل الاعلام هذه يزجون المديح للمتدينين المتطرفين المعتقلين بالسجون الاسرائيلية .

وتوجد الروح الكاهانية حيث لا ينتظرها المرء دائما : وذلك فى بعض اليشيفوت فى بروكلين ، ففى عهد حكومة رابين رأى حاخام أحد المعابد الأرثوذوكسية أن من المناسب أن يضيف الى الصلاة اليومية فقرة ، يدعو فيها الله أن يحبط مؤامرات « أولئك المخربين الذين يريدون تمزيق بلدنا الموروث » . وبعدها أعلن الحاخام ابراهام هيخت أن القانون الدينى يسمح باغتيال رئيس الوزراء رابين ؛ لأن سياسته السلامية تعرض للخطر اليهود الآخرين (٤) . وأمام الضجة التى أثارتها هذه التصريحات المجنونة حتى فى الأوساط الأرثوذوكسية ، تراجع الحاخام عن هذه التصريحات وأرسل خطاب اعتذار الى اسحاق رابين ... وبعدها بشهر سقط رئيس الوزراء الاسرائيلى قتيلا برصاصات أحد المتعصبين .

تعرف جانيت تويزر الحاخام كاهانا جيدا ، حيث حاربت لسنوات طويلة الى جانبه وهى تشعر اليوم بيأس شديد وتقول : « ماذا نستطيع أن نفعل اذا كان شعبنا نفسه لا يريدنا ، رغم الأخطار الجسيمة التى تعرضنا لها ؟ كل ما نستطيعه هو تكرار تحذيراتنا ولكن اليهود الأمريكان مصممون ألا يصغوا الينا ، فلم يعد هناك تنظيم لأى شىء ، لا للكفاح ضد معاداة السامية ولا لحماية اليهود فهذا يحتاج الى أموال والى مقر وتليفون والى كمبيوتر ... ويتصل بنا الناس عندما يحتاجون الى مساعدة أو يتعرضون للتمييز ؛ ولكنهم ليسوا على استعداد لتأييدنا

ولا تذهب التبرعات الا للمؤسسة الرسمية ! ومع ذلك ، فكل هـــذه المؤسسات الرسمية لا تعمل شيئا من أجل القضية اليهودية . الجميع يرفضوننا على الرغم من أننا لسنا متعصبين وعلى عكس ما يقال ، فان الحاخام ليس وثنا نعبده ، انه كان مثلما كان موسى أيام الخروج مـــن مصر ... لقد استنرنا كثيرا بكتبه وطريقته فى التفكير والاستدلال على فهم أحداث الحرب العالمية الثانية ونحن الآن على حذر دائم ، لقد علمنا الحاخام الا نثق بأحد ؛ ولكن يهود الولايات المتحدة يشعرون بثقة لا حد لها ويظنون انه ليس من الممكن أن يتعرضوا إلى أى حدث مأساوى ... ومع ذلك ، فالخطر ماثل دوما ! لقد شاهدت فى الجامعة التى أعمل بها سوداً يلقون خطبا معادية صراحة للسامية على مستمعين يزيدون عن الآلف طالب » .

وتشعر جانيت باليأس لا لأن أغلبية اليهود الأمريكيين لا يشعرون بخطر معاداة السامية فحسب ، وانما لأنهم يقبلون كذلك ببساطة تبديد الأرض اليهودية واعطاءها للفلسطينيين وتقول :

« لقد كان رابين خائنا ، فقد باع بلاد اسرائيل مع الشعب والأرض والتوراة ... وانتخاب نتنياهو لا يغير شيئا فهو لم يقصد أبداً الدخول فى معارضة حقيقية مع عملية السلام ، وربما قد يؤخرها قليلا وهـــذا كل شيء ، وكل ما يهمه مثل الآخرين هو أن يقبله العالم وأن يستقبل بدوره فى البيت الأبيض ... لقد قال كاهانا انه سيأتى اليـــوم الذى يتعين فيه الاختيار بينه ، أى بين الحاخام وبين عرفات ! وقد اختار اليهود عرفات فهم يفضلون الارهابيين على صوت نبى.لقد أخذ العرب فعلا أكثر من نصف اسرائيل وهو ما يسمى بالأردن ! ولكن أن تخترع حكومة اسرائيل دولة عربية جديدة فهذا أكثر مما قد يحتمله العقل ! » .

والدكتور فريجير لا يتحدث عن كاهانا ولا عن الشبـــاب المتحمس لعصبة الدفاع اليهودية ، فهو يريد الظهور بصورة الشخص المحـــترم الشاعر بالمسئولية ، ولكنه مثل الكثيرين من نشطاء اليمـــين الـــدينى الصهيونى سبق أن كانت له علاقة بالعصبة ، وبعد اغتيال الحاخام كتب هذه السطور الحماسية فى تمجيد القائد الذى اختفى : « لقـــد كنت رجلا رقيقا ذا معتقدات قوية وقلب شجـــاع ، لقد كنت أحســـن

اليهود ، وسيبقى تأثيرك على مصيرنا أقوى من تأثير كل رؤساء الوزراء وأعضاء الكنيسيت الذين طردوك . ان تعاليمك ستصبح نبوءات » .

وهكذا ، فالحاخام كاهانا لا زال موجودا بوضوح — وان كان فى الأغلب بشكل غير معلن — فى قسم كامل من الطائفة اليهودية الأمريكية ، فقد ازداد النشطاء السابقون سنا وهم يعبرون عـن نفس مخـاوفهم القديمة ، ولكن بشكل أكثر انضباطا ليكتسبوا اعترافا واحتراما مـن جهات أخرى ، ومن الناحية الأخرى فان أحد التغييـرات الواضحـة لليهودية الأمريكية هو الضعف الواضح للكاهانية المعـلنة : فقد جفت الموارد المالية للعصبة وتحولت المدارس التى ربت جيلا يعبر عن يهودية متشددة فى مواجهة المدينة ، الى معاهد أرثوذوكسية لا يهتم طلبتها كثيراً بالسياسة . وفى نفس الوقت ، أخذت الجماعة الدينية التى تنمو بسرعة مصيرها بين يديها ، وقد ازدادت عددياً وهى تحمى نفسها اليوم اما عن طريق جمعيات للحراسة أو بتنظيم نفسها ، والتسلح فى اطار ما يسمح به التعديل الثانى للدستور الأمريكى وهو الشكل الأغلب .

وفى حى كراون هايتس فى بروكلين ، توجد لافتات كتبت باللون الأحمر على الحوائط والأشجار فى المناطق التى يسكنها اليهود ، تنبه المار سيىء النية الى أن الطائفة تحت اشراف مجموعة للحمايـة ، وهـو تنبيه لا يخلو من الفائدة فالكل هنا يتذكر الاضطرابات العنيفة المعادية للسامية فى صيف ١٩٩١ . ففى أغسطس من ذلك العام فقـد أحـد الحسيديين السيطرة على سيارته وصدم طفلا أسود عمـره سبـع سنوات صدمة عنيفة قتلته ، وأيقظت هذه الحادثة المأساوية حقـد السود ضد جيرانهم فتجمع جمهور غاضب من الشوارع القريبة على استعداد لقتل السائق الأرعن ... وقد وصلت سيارة اسعاف تابعة للطائفة اليهودية الى موقع الحادث فى نفس الوقت الذى وصلت فيـه سيارة الاسعاف التابعة للبلدية ، وحمل رجال البوليس جثة الطفـل وطلبوا من سيارة اسعاف الطائفة أن تبعد السائق بسرعة حتى تحميه من الجمهور الغاضب ، وبسرعة انتشرت الشائعة بأن اليهود لم يهتموا بانقاذ الأسود وانهم فضلوا انقاذ زميلهم فى الدين !

وانفجر الحى ، ولمدة أربعة أيام حدثت فى كراون هايتس أعمال عنف لم يسمع بمثلها ، ففى أمريكا نهاية القرن حدث ما يذكر بمذابح اليهود القديمة وبمواجهة قوات بوليسية عاجزة . وكان السود يصيحون « الموت لليهود ! » وأحرقت منازل واعتدى على المارة ، وقتلت احدى الناجيات من معسكرات الموت نفسها بالقفز من نافذة شقتها رعبا من عودة زمن الكراهية ؛ وهاجم حوالى العشرين من السود شابا يهوديا فقتلوه بطعنات الخناجر ...

وبعدها أفاقت الطائفة اليهودية من الدوار المؤقت الذى أصابها ، وعاب الكثيرون على أعيان الطائفة موقفهم السلبى وصمتهم ، وتتذكر بيث جيلينسكى المتزعمة للثورة من أجل القضية اليهودية ما حدث قائلة :

« لقد أثارنى ما حدث ! فخلال أيام الاضطرابات الأربعة ، لم يتدخل لا البوليس ولا الطائفة اليهودية لمساعدة يهود بروكلين ، وعادت الى ذكريات الطفولة حيث حكى لى كيف تم اغتيال اليهود فى أوروبا ، دون أن تتحرك الطائفة اليهودية الأمريكية ... وبدا كما لو كان الأمر سيبدأ من جديد ، فقد اعتدى على اليهود فى أراضينا دون أن يتحرك أحد ! » .

وكما حدث فى اسرائيل حدث فى أمريكا ، فقد بدأت الحركات المتطرفة تفقد وظيفتها حيث حلت محلها جماعات أكثر قبولا ، فقد أسس الحاخام دافيد الجاز فى ١٩٩٤ مؤتمر القيادة من أجل اسرائيل لتجميع تيارات اليمين الصهيونى ، وهو يفسر النجاح الاعلامى لحفنة من الكاهانيين قائلا :

« ان الصحفيين ليس لديهم الوقت للاستماع لمحاضرة تستغرق ساعة ، ومن الأسهل لهم تصيد العبارات العنيفة لأعضاء لجنة الدفاع اليهودى ، أما نحن فقد قررنا استبعادهم ، وانا أحبهم طبعا كيهود وأعلم أنهم يحبون أرض اسرائيل ولكن ينقصهم النضج والتمييز ، ومن المؤسف أن يجرى التعبير عن كل هذا الحب بهذا القدر من الكراهية » .

وعلى الرغم من الحلة جميلة التفصيل التى يلبسها ومن لحيته التى بلون الملح والفلفل ، فان الحاخام الجاز يتحدث بنفس اللغة السياسية التى يتحدث بها الشباب ذوو القمصان الصفراء ويقول :

« ان نتنياهو سيؤخر قليلا من سرعة التصرفات المجنونة للحكومة السابقة وذلك دون احداث انقلابات كبيرة ، فان جـزءا من الشـعب الاسرائيلى لا زال ينظر الى المكاسب الاقليمية على أنها كانت خطأ وهم لا يقدرون العلاقة بين الشعب اليهودى وارضه ! ان الفرد البعيد عن التقاليد لا تتوافر لديه المصادر الثقافية أو الروحية أو النفسية أو العاطفية، التى تسمح له أن يفهم الأسباب التى تجعل من الأرض المقدسـة ملكية لنا . ان اليسار لديه الرغبة فى انكار التاريخ وانكار الدين وحتى انكار ذاته ... انه يبحث عن مثل أعلى للعدالة ويعتقد انه يتمثل فى اعطاء دولة للعرب ! ان اليسار يشعر بالاغتراب الكامل والانفصال عن المثل الأعلى اليهودى ، وهو يحلم بالعيش فى اتحاد مثل البنيلوكس بلا حدود ولا تقاليد ... » .

ويستنكر الحاخام الجاز ، وهو أرجنتينى مقيم فى نيويورك ، موقف الاسرائيليين المقيمين خارج اسرائيل قائلا :

« يحزننى أن كثيراً من الاسرائيليين يفضـلون اليوم الاقـامة فى نيويورك (٥) . والمكسيكيون على سبيل المثال عندهم من المشاكـل مثل الاسرائيليين بل وأشد بكثير وهم مع ذلك لا يريدون ترك بلادهم ، انهم يعتزون بأصولهم ، ولكن الاسرائيليين اليساريين مع الأسف ليس لديهم هذا الشعور ... انها مشكلة اغتراب ، انهم لا يفهمون العلاقة بين الشعب اليهودى وأرضـه ، وهـذا النفى للتـاريخ قد خلـق « اللوفتمنتش » (٦) كما يقولون بالألمانية ، أى الرجل فى الهواء أو الفرد بلا جذور . وبالتأكيد فان الكثيرين من اليهود فى اسرائيل ، لا يختلفون عن اليهود الأوروبيين قبل الحرب فان لديهم عقلية المنفى أو الاندماج ، لقد قيل لهم ان اسرائيل هى اليهودية بين الأمم ، ففقدوا الرغبـة فى الاستمرار كيهـود ... » .

يدير الدكتور جوزيف فريجبر جمعية لاعادة القدس ، وهو يؤمن بحماس بدوره كحارس للتقاليد ومنقذ للمدينة المقدسة ، وهو يكثر من الاجتماعات ويشترك فى كل المظاهرات فى نيويورك ضد اتفاقيات السلام ، ويطلق بصوته الوقور وفمه ملتصق بالميكروفون اللعنات ضد التخلى عن أية قطعة من الأراضى المقدسة ليهوذا والسامرة ، وينهى حديثه بالصلاة حتى تستمع السماء نفسها لأقواله ، وهو يشرح لى السبب فى أنه جعل من القدس محور نشاطه :

« ان القدس هى مركز الكون وكل الأشياء تشع من القدس ، والقدس هى أيضاً القلب منا ونحن نريد انقاذ القلب ، أى انقاذ كل اسرائيل سياسياً بدءاً من القدس ! » .

وتحت تأثير الصدمة ، أسست بيث « جويش آكشن اليانس » (اتحاد العمل اليهودى) والتى تتمثل مهمة أعضائها المعدودين على الأصابع فى تحديد ما لا يريد الآخرون ، فى رأى رئيستهم ، رؤيته ألا وهو نمو معاداة السامية . وقد كان هذا العداء محصورا حتى الآن داخل بعض النوادى المغلقة ؛ ولكنه بدأ يتخذ أبعادا أوسع . وان التصريحات الأخيرة لمارلون براندو بأن سينما هوليوود يسيطر عليها اليهود ، ليست الا الجزء الظاهر من حركة كبيرة تهز المجتمع الأمريكى بأسره وخاصة المجتمع الأسود .

والرجل الذى يثير خوف اليهود الأمريكيين يدعى لويس فاراخان ، وهو يكرر أن اليهودية هى دين ( المجارى ) « وأن اسرائيل دولة « خارجة على القانون » ، ومع أنه يكره البيض جميعاً إلا أنه يستثنى هتلر الذى يعتبره « رجلا عظيما » ! وجميع البيض يتآمرون على الشعب الأسود واليهود فى قلب هذه المؤامرة التى ترمى ، باستخدام الايدز والمخدرات والفقر ، الى ابادة السود من على وجه الأرض . . . وتنظيمه أمة الاسلام يعيد الى الحياة أشباح أيام مالكولم اكس وينادى بالخلاص عن طريق العنف والفصل بين الأجناس ، وتثير خطبه الثائرة السود فى أحيائهم الفقيرة ، وتكشف مجلة تايم فى عدد فبراير ١٩٩٥ أن ثلاثة وستين بالمائة من السود يعتقدون أن فاراخان على حق .

ولا تتردد بيث جيلينسكى فى الوقوف أمام فاراخان وأتباعه ، فقد أعلن فى الصحافة فى يناير ١٩٩٤ عن اجتماع ضخم سيعقد فى احد الأبنية العامة فى هارليم للرجال السود ، وكان واضحا من الاعلان أن هناك خرقاً للقانون ضد التمييز العنصرى ، ولذلك قررت بيث جيلينسكى بصفتها امرأة بيضاء أن تمارس حقها الدستورى بحضور الاجتماع .. بعد أن ابلغت الصحف بنيتها تلك ، وهكذا وجدت نفسها فى تلك الليلة النيويوركية قارسة البرد وسط جمع من ستة عشر الف أسود ، وطبعا منعت من دخول القاعة تحت أضواء كاميرات الصحفيين الذين تعرضوا هم أيضا للمضايقات .

تقول بيث جيلينسكى : « وبفضل هذا العمل ، لم يعد فاراخان يستطيع عقد اجتماعاته فى المبانى العامة وهذا مهم جدا ؛ لأنه لا توجد ابنية خاصة كثيرة تسع جماهير غفيرة ، كذلك كشفت مدى نفاق الزعيم الأسود عندما يدعى انه يدافع عن الحريات » . وفى واقعة أخرى ، اتصل أحد طلبة جامعة لونج ايلاند باتحاد العمل اليهودى ؛ ليبلغهم بحضور بعض الخطباء من رجال فاراخان الى حرم الجامعة ... وكان موعد وصولهم بعد أربع وعشرين ساعة من المكالمة فكيف يكون الرد ؟ واتصلت بيث بحاخامات وببعض الشخصيات ولكن احداً منهم لم يتحرك ، وحاولت الطالبة أن تنبه الأساتذة او المنظمات ولكن أحداً لم يتضامن معها ! وتتنهد بيث جيلينسكى قائلة :

« ومع ذلك ، فاليهودية الرسمية لديها ملايين الدولارات وتضم تنظيمات مليئة بالأسماء الرنانة ولكن شيئا لا يحدث ، أما نحن بمكتبنا الصغير فنستطيع أن نفعل شيئا ! فقد توجهت الى الجامعة ومعى حوالى الخمسة عشر ناشطا وعبأنا الصحافة المحلية والصحافة اليهودية . وعندما بدأت الخطب المعادية للسامية ، ارتفع صوتنا بالاحتجاج الصاخب ... وفى النهاية طردنا . وفى هذه الحالة تظهر أهمية نشاطنا ، فقد شعر الطلبة اليهود فى هذه الجامعة أن هناك من يساندهم ، وأثبتنا اننا لا نخشى التواجد الجسمانى عندما يكون ذلك ضروريا وكذلك عرف رجال أمة الاسلام أن هناك شهودا على أقوالهم . وما يثير القلق

بالنسبة للمستقبل أن جمهور المستمعين ، وجميعهم سيصبحون من رجال القانون ، كانوا يستمعون بحماس للعبارات العنصريـــة للمتحدثين ، وكلما اتخذت التصريحات طابعا أكثر معاداة للسامية ، زاد تصـــفيق الطلبة السود ! » .

وترى بيث جيلينسكى أن الطائفة اليهودية الأمريكيـــة تتأرجـــح بين نقيضين ، فمن جهة هناك من تسميهم « الدينوصـــورات » ، وهـــم المسؤولون الجالسون على مقاعد ثابتة ويديرون أجهزة ثقيلة للغايـــة وينقصهم الحماس لتحقيق أى مشروعات كبيرة ، ويعتبر النشاط الطائفى بالنسبة لهم اما عمل موظفين روتينياً ، واما فرصة للحصول على سمعة رنانة ، وفى المقابل يوجد الناشطون من المجموعات الصغيرة للصهيونية المتطرفة مثل عصبة الدفاع اليهودى ، ولكن بيث تشك فى فائدة هؤلاء المتحمسين لليهودية اذ تقول :

« لو أرسلنا أشخاصا فى الشارع يحملون لافتات مكتوباً عليهـــا « الموت لكل العرب » ، فاننا نكون قد سلمنا أعداءنا حججا على طبق من الفضة ونغرق قضيتنا ! وعلينا اذن أن نجد وسائل أخرى للتعريف بأنفسنا . ولكن ما يقوله الناس فى تلك المجموعات الصغيرة لا يخلو من فائدة فلديهم بالتأكيد الكثير من الأفكار المفيدة ... ودورى هو تطهير كل تلك الرسائل وتجديدها وخلق قيادة جديدة متحمسة وخلاقة وشاعرة بالمسئولية ، اننى مقتنعة تماما بفكرة الدفاع الذاتى ، والدستور يسمح للمواطنين بحمل السلاح فلماذا لا يتمتع اليهود بالحقوق التى يتمتع بها بقية الأمريكيين ؟ وطبعا ليس من المستحب الوصول الى العنف ولكن لو كانت المنظمات اليهودية قامت بعملها بشكل جيد ، لما كنا نتنـــاقش هذه الأمور الآن . ان جماعتى يطلق عليها عادة اسم « عصبة الدفاع اليهودية ذات المخ » ! فاذا كان المقصود بذلك أن لدينا الطاقة والعزيمة اللتين كانتا لدى عصبة الدفاع اليهودية ، فان هذا يرضينى » .

والحماس الذى تبديه بيث جيلينسكى فى محاربـــة معاداة السامية ، تظهره كذلك فى الدفاع عن وحدة أراضى اسرائيل ، ولأقل بادرة تأخذ جيشها الصغير للتظاهر أمام قنصلية اسرائيل أو أمام الأمم المتحدة ، وهى تقـــول :

« لقد سجن يهود فى اسرائيل بسبب ما يعتقدونه أو ما تعتقد الحكومة انهم يعتقدونه ! لقد اشترك ممثلنا فى اسرائيل وهو رجل مسالم فى مظاهرة بعد محاولة اعتداء فضربه البوليس بوحشية : ان اسرائيل يجب ان تكون منارة الأمم ، يجب أن تكون بلد الديمقراطية التى تقود بقية بلاد المنطقة الى الديمقراطية ، ولا يجب ان تتحول اسرائيل لأنها تقع جغرافيا وسط دكتاتوريات الى دكتاتورية هى الأخرى ! » .

وفى الواقع،فان الانقسام بين اليهود يحدث مرة أخرى بسبب السياسة الاسرائيلية ، ففى ١٩٤٨ كانت الأسلحة والذخائر تجمع فى مبنى رمادى مستطيل فى ظل ناطحات السحاب فى الشارع الخامس لترسل الى دولة اسرائيل الوليدة ، واليوم فان مقر المجلس الوطنى لاسرائيل الفتاة هو مركز المعارضة لعملية السلام ، ولأية محاولة للانفتاح تقوم بها اية حكومة اسرائيلية . والمجلس الذى ضم خمسة وعشرين ألف عضو ينتمون الى مائة وخمسين جماعة ارثوذكسية فى الولايات المتحدة وكندا ، له تأثير قوى على الطائفة اليهودية فى مجموعها . ويدافع الحاخام بيساخ ليرنر الرئيس الوطنى للتنظيم عن الشرعية الدينية لنشاطه السياسى قائلا :

« ان اسرائيل تحتل مكانا مركزيا فى حياة الأرثوذوكس الذين أمثلهم : من الذى سيدرس فى يشيفوت اسرائيل ؟ ومن سيسكن فى يهوذا والسامرة أو فى مرتفعات الجولان ؟ انهم نحن الأرثوذوكس ! فنحن وثيقو الصلة باسرائيل ؛ ولذلك لا يمكننا للحظة أن نتصور اعادة يهودا والسامرة ، ومن يعرف النصوص ومتشبع بها لا يمكنه تصور اعادة أماكن مثل الخليل شخيم ( نابلس ) ، وبالمقابل ، فإن من ينظر الى اسرائيل كما لو كانت هونج كونج او أى مركز مالى ، يمكنه أن يقبل أى شىء وأن يفعل ما يريد ... نحن نعرف ما هو جيد بالنسبة لاسرائيل واكثر من كل اليهود اليساريين المنفصلين تماما عن الواقع ، فهم لا يعرفون الا يهودية ثقافية بدون صلوات ولا طقوس . ومن حسن الحظ أن بنيامين نتنياهو قد أبطأ من سرعة عملية السلام ، حيث يطالب عرفات بمزيد من الضمانات ومزيد من الأمن ، ولكن الشىء الذى يجب أن يأخذ

الأولوية هو تدعيم الهوية اليهودية فى اسرائيل وليس بناء هوية اسرائيلية ... » .

إن حركة يونج اسرائيل ( اسرائيل الفتاة ) التى تفخر بارتباطها باليمين السياسى عند نقطة التقاطع بين الدينى والزمنى ، تعبر عن الثقة العميقة لليهود الأمريكيين المقتنعين بأهميتهم الأساسية بالنسبة لمصير اسرائيل ، وهم يعتقدون أن ما يحدث فى الكواليس المبطنة للبيت الأبيض أو الكابيتول ، أو فى شوارع مانهاتان أو مكاتب هيئات الطائفة ، أهم بكثير بالنسبة لمستقبل الشعب اليهودى مما يحدث فى القدس ذاتها .

ويصل الأمر الى أن جماعة تسمى نفسها « أميريكانز فور ايه سيف ازرايل » ( الأمريكيون من أجل اسرائيل آمنة ) ، توجه كل نشاطها منذ خمس وعشرين سنة نحو صانعى الرأى العام وأعضاء الكونجرس ، وهدفها هو اقناع كل الأمريكيين المهتمين بحيوية دور اسرائيل فى الاستراتيجية العالمية للولايات المتحدة ، ولكن منذ توقيع اتفاقيات أوسلو من ثلاث سنوات ، تركز كل نشاط هذه الحركة الصهيونية على محاربة عملية السلام . ويصف دافيد ايزاك أحد مسئولى هذه الحركة الأهداف الجديدة قائلا :

« صحيح أن نتنياهو غير الوضع قليلا ولكنه لا يمس الأسباب الحقيقية للمشكلة ، فهو مهتم أكثر من اللازم بأن يظهر كشخص معتدل ووسطى . وفى الماضى عندما كان أحد أعضاء الكونجرس يؤيد اسرائيل ، فان هذا كان يعنى أنه ببساطة يؤيد دعمها ماليا ... واليوم لم يعد يكفى تأييد اسرائيل باعطاء صوت فى الكونجرس ، فنحن نريد أن يتم دعم اسرائيل على المستوى الاستراتيجى وكذلك على المستوى الأخلاقى والتوراتى ، ولو استطعنا افهام أعضاء الكونجرس أنهم لا يدافعون عن مجرد اعانات مالية وانما عن حقوق دولة ، فان ارتباطهم سيصبح أكثر عمقا ويرتبطون بقضية اسرائيل قلبا وقالبا ، وهذه الفكرة تجد تجاوبا بين أعضاء الكونجرس المسيحيين المتدينين ، وهى فى نفس الوقت احدى الوسائل التى نستخدمها لتشجيع الناس على البقاء فى « الأراضى » » .

وهذه الرغبة فى تعميق العلاقة بين اسرائيل واليهودية بأكملها وبين الولايات المتحدة دون غيرها ، ربما كانت محاولة لتقوية الطائفة اليهودية الأمريكية التى تجد نفسها فى وضع غير مريح ، فالطائفة التى يبلـغ عددها الآن ستة ملايين ونصفاً ستنخفض الى أقل من المليون عند عام ٢٠٧٦ ، أى عندما تحتفل الولايات المتحدة بعيد استقلالها الثلاثمائة ، أو هذه على الأقل تنبؤات الياهو برجمان مساعد مدير مركز هارفارد لدراسات السكان (٨) — وان كانت تنبؤات متشائمة اكثر من اللازم — وفى الواقع ، فان انخفاض عدد المواليد وارتفاع نسبة من يتخلون من اليهود عن تقاليدهم الدينية ، يسهمان بطبيعة الحال فى تضـاؤل عـدد الطائفة اليهودية الأمريكية .

وحتى سنوات الخمسينات ، كان معدل الزيجات من خارج الطائفة ثابتا ومنخفضا بشكل مدهش ، فلم يكن يتجاوز اربعة الى ستة بالمائة ، ثم ارتفعت نسبة الزواج من خارج الطائفة أربع مرات حتى عام ١٩٧٠ ، الى ان انفجرت فى الأعوام التالية ، ويقدر البعض حاليا أن ثلثى الشباب اليهودى فى الولايات المتحدة يتخذون ازواجا من غير اليهود ، وان كانت هذه تقديرات جزافية غير مبنية على دراسات علمية ، حيث ان اجراء هذه الدراسات أمر متعذر من جهة ؛ لأنها تقتضى عمل بطاقات حصر لكل اليهود ، الى جانب صعوبة تحديد معايير الدراسة مثل تعريـف الشخص اليهودى وأماكن تواجدهم جغرافيا . وقد أعلن آفراهام بيرج رئيس الوكالة اليهودية ، وهى الهيئة الاسرائيلية المسئولة عن العلاقات مع الدياسبورا ، صيحة تحذير قائلا : « أن اثنين وخمسين بالمائة مـن الزيجات بين يهود الولايات المتحدة هى زيجات من خارج الطائفة » (٩). ولما كان الزواج بين اليهود يمس شخصين فى حين أن الزواج من خارج الطائفة يمس شخصا يهوديا واحدا فقط ، فان هذا يعنى أن ثلثى اليهود يتزوجون فى داخل الطائفة وهذا بعكس الاتجاه المنوه عنه سابقـا ! وهذا يوضح مقدار غياب الدقة فى هذه الاحصاءات .

ويتنبأ مركز ميلتون الدراسات العبرانية بأن تسعة من كل عشرة أطفال ممن ينتجون عن الزيجات المختلطة حاليا ، لا يعتبرون أنفسـهم

يهودا ، ولوقف هذا النزيف يتصور البعض يهودية أكثر قبولا لاعتناقها، فيقول ايجون ماير مدير مركز الدراسات اليهودية فى جامعة سيتى فى نيويورك : « يستطيع اليهود الذين ابتعدوا عن أصولهم أن يعودوا اليها بسرعة لو أمكن تنشيط دوائر تضم المليونين من الزوجات والأزواج غير اليهود والأطفال المولودين للزيجات المختلطة ، فبالسماح لأعضاء العائلة غير اليهود بالاشتراك فى الأنشطة الطائفية ، سينضمون فى نهاية المطاف الى حياة الشعب اليهودى وثقافته ، الشىء الذى سيدعم الشعب اليهودى ويعيده الى النمو » .

ولعل هذه وسيلة لانقاذ طائفة ذات تاريخ طويل ، وكان أول يهودى قد وصل الى جزيرة مانهاتان فى ١٦٥٤ ، ثم تبعته أربع موجات كبيرة من الهجرة اليهودية الى أمريكا ، وكانت الموجة الأولى تضم يهودا أغنياء من البرتغال وهولندا وانجلترا جاءوا للتجارة مع جزر الهند الغربية وافريقيا وأوروبا ، وبعدهم — حوالى ١٨٣٠ — جاءت مجموعة من التجار المتجولين وصغار أصحاب الحوانيت من ألمانيا ؛ ليحققوا الحلم الأمريكى وغالبا ما نجحوا فى تنمية تجارة مزدهرة حول المدن الكبيرة على الساحل الشرقى . وابتداء من ١٨٨٠ نزل فى نيويورك يهود أوروبا الشرقية الهاربون من المذابح والبؤس ، وكانوا فقراء وغرباء تماما بالنسبة للحضارة الأمريكية الجديدة التى لم يكونوا يعرفون عنها شيئا وقد تأقلموا معها بصعوبة ، وفى الثلاثينيات وبعد الحرب العالمية الثانية جاءت الموجة الرابعة تبحث عن الثروة والأمان فى « الجولدينى مدينا » ( أو بلاد الذهب باليديش ) ، وقد أحضر هؤلاء اليهود شديدو الاختلاف معهم فهمهم المختلف للدين ، فضلا عن المناقشات التى كانت تثير الطائفية فى بلدانهم الأصلية .

وينعكس هذا التنوع على اليهودية الأمريكية اليوم ، فالمؤمنون ينقسمون الى ثلاث حركات كبيرة ، أكبرها تضم المحافظين ويمثلون اثنين وأربعين بالمائة من السكان اليهود ، ويمثل هؤلاء أبناء الذين ولدوا فى ألمانيا فى القرن الماضى وفلسفتهم « الوضعية التاريخية » والتى تميل الى التطوير الهادىء للتقاليد . أما الاصلاحيون — ويمثلون ثلاثة وثلاثين

بالمائة — فهم ورثة اليهود الليبراليين الأوروبيين ، الذين تأثروا بالحركات الفكرية التى راجت فى القرن التاسع عشر ونادوا بيهودية متأثرة بالحداثة والمسيحية ، وهذا معناه التخلى عن الطاقية اليهودية والاكتفاء بترديد الصلوات بالانجليزية وأخذ الاجازة الأسبوعية يوم الأحد بدلا من السبت . ووجدت هذه الأفكار المجددة رواجا فى أمريكا ؛ لأن هذه اليهودية الجديدة انزلقت بنعومة فى أوساط الأغلبية البروتستانتية ، ففى بلد يكون فيه الدين جزءا لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية ، وحيث يعنى الايمان فى أغلب الأحيان الاندماج فى جماعة محددة والانصهار فى إطار اكبر ، فقد أدت الحركة الاصلاحية هذا الدور بكفاءة ولم يكن مطلوبا منها أكثر من ذلك ، وفى طليعة هذه اللبرالية يوجد عدد صغير من المتطرفين الذين يريدون قلب القوانين الدينية القديمة راساً على عقب .

وينتمى احد عشر بالمائة فقط من اليهود الأمريكيين الى الجناح الأرثوذكسى ومع ذلك ، ففى نيويورك — حيث يعيش مليون وسبعمائة الف يهودى — فان ربع الطائفة يعلنون انتماءهم لهذا الاتجاه الدينى ، ولكن هذا التيار ليس متجانسا ويضم رؤى متباينة . وعلى سبيل المثال ، فان هوة كبيرة تفصل بين الحاخام الصهيونى بيساخ ليرنر المسئول الروحى لحركة إسرائيل الفتاة ، والحاخام موشيه تايتلباوم معلم حسيديى ساتمار والمتحدث بصوت معاداة الصهيونية المطلق ، ولا ينحصر الخلاف بين التيارين فى موضوع اسرائيل ، فبينما تسعى حركة إسرائيل الفتاة الى جذب الشباب التائه الى الدين ، فإن الساتمار يتقوقعون فى قلعتهم ويرفضون أى تبشير واهتمامهم الوحيد هو المحافظة على سلامة قلعة الأرثوذوكسية المتطرفة . ولكن بصفة عامة فى حين تتفتت الأجزاء الأخرى من اليهودية الأمريكية بشكل مستمر ، فان قلاع الدين المتشددة تتقوى .

ويقارن الحاخام آفى شافران رئيس تحرير مجلة « كواليشن » ، التى تعبر من حزب « آجودات يسرائيل » فى أمريكا ، الشعب اليهودى بجسم الانسان فكل عضو له وظيفته ؛ ولكنها جميعا تتشارك فى قلب واحد ومصير واحد ويجب أن تجتمع معاً لتضمن للمجموع حياته وتفرده ،

ويأسف الحاخام شافران لتمزق هذا الجسم الواحد ، وهو اليهودية ، الى كنائس مختلفة ذات اتجاهات متعارضة قائلا : « ان التعددية الدينية لليهود هي من أعراض مرض عميق هو انفجار الشعب اليهودى الى أنواع مختلفة من اليهود أو أنواع مختلفة من اليهودية » (١٠) .

والشباب الذين تجتذبهم الروحانيات يعودون بطبيعة الحال الى ما يظنون أنه القلب الحقيقى لهذا الجسم الممزق ، ويفسر جرشون جاكوبسون مدير أسبوعية « الجيماينرجورنال » التى تصدر بالانجليزية واليديش هذه العودة نحو الأرثوذوكسية بتطور الأجيال منذ نهاية القرن الماضى ، فعندما هاجرت طائفة كبيرة من اليهود الى الولايات المتحدة منذ مائة عام ، كان هدف أغلب هؤلاء المهاجرين هو بناء حياة أفضل ولم تكن لهم أية اهتمامات روحية ، وقد حقق أبناؤهم هذا الهدف بنجاح وصاروا أطباء ومحامين ومثقفين ولكنهم فقدوا الشعور بهويتهم اليهودية ، ونشأ الجيل الثالث فى ظل الثروة والراحة والتعليم العلمانى واندمجوا تماما فى الأمة الأمريكية . وأخذ هذا الجيل يبحث أحياناً عن أصوله ، ودفعتهم الكارثة النازية الى البحث فى الكتب والتعمق فى الدراسة واكتشاف ثقافتهم الخاصة .

ويقول جرشون جاكوبسون : « لقد اكتشف هؤلاء الشباب أن اليهود لهم روح ، وكانوا قبلا يظنون أن اليهود ليس لهم الا « جيفيلت فيش ! » فى اشارة ساخرة الى طبق السمك التقليدى لمساء الجمعة .

ولا يدرك آباء وأجداد جيل العودة هذا مبررات ارتباط أبنائهم بالمصادر اليهودية ، فبينما حاولوا أن يتخلوا عن كل بقايا الماضى فإن أبناءهم يسعون اليوم لاستبدال البريق بالبحث عن الجذور القديمة . وينضم أغلبية الشباب الذين يعودون الى اليهودية الى معسكر الأرثوذوكسية ، ويرفضون الحلول الوسط ويلبسون الطاقية اليهودية ويأكلون الأطعمة التى تحلها الشريعة اليهودية ، لقد كبروا فى مجتمع علمهم الحرية وليست لديهم أية عقد ، انهم لا يخفون مظهرهم ولا ممارساتهم ولا معتقداتهم ، وهكذا فحوالى أربعين بالمائة من اليهود المنتمين الى التيار الأرثوذوكسى نشأوا فى أوساط غير دينية .

ويشرح الحاخام ببساخ ليرنر هذا الاقبال الجديد من جانب الشباب على ديانة أصولية بقوله :

« فى الستينيات ، كان الحصول على كل الأشياء سهــلا كالثروة والجنس ؛ ولكن الناس تبحث اليوم عن أشياء أكثر عمقا وأقرب الى الروحية ، وشكراً لله فديننا فيه ما يجتذب شبابنا ، وبدلا من البحث فى أماكن أخرى فانهم يحاولون العثور على الروحية فى داخل اليهودية . لقد تجاوز الاصلاحيون ودعاة اعادة البناء الحدود ، فقد باركوا الزواج بين الشواذ جنسيا وحاولوا تحطيم كل شيء ؛ ولهــذا السبب ترك البعض الاتجاهات المحافظة أو الاصلاحية واتجهوا الى الديانة الحقيقية » .

تعتبر مدينة ليكوود الهادئة الغارقة فى مساحات نيوجيرسى الخضراء مركزا نابضا لليهودية الأرثوذوكسية ، ويأتى اليها الطلبة من بعيد لدراسة التوراة . وتشبه ليكوود بشوارعها المستقيمة ومنازلها المستقــلة ذات الواجهات الخشبية المدهونة وعماراتها من الطوب الأحمر الغامق وحدائقها الصغيرة المتربة ، كل تلك المدن المخططة بدقة والتى تتكرر بشكل ممل فى عمق أمريكا ، وينقسم سكانها الأربعون ألفا الى عدة جماعات عرقية يفصل بينها نظام فصل عنصرى غير مرئى ، فالسود والبروتوريكيون والبروتستانت البيض من أصل آنجلو ساكسونى ، واليهود يتقاطعون دون أن يتعارفوا ويتجاهل كل منهم الآخر .

وتذكر اليشيفوت القديمة التى بنيت منذ نصف قرن بمبانيها الثقيلة ذات الشبابيك الضيقة المرتفعة ، بمدارس بولونيا قبل الحرب ولــكن لا يوجد بها حاليا سوى مكاتب الادارة ؛ ولكن الأكاديمية التلمودية قــد تطورت ويتلقى طلبتها الألف والخمسمائة دروسهم فى مبان حديثة بعضها من النوع سابق التجهيز . وبعدد سكانها الخمسة عشر ألفا من اليهود ، تعتبر ليكوود عاصمة صغيرة للعالم الدينى .

واحد طلبة الأكاديمية يدعى اسحق وعمره خمسة وعشرون عامــاً وأب لطفلين صغيرين ، وقد درس لمدة خمسة أعوام فى يشيفا فى بينى براك فى اسرائيل ؛ ولكنه أراد أن يجرب « شيئا آخر » ، يقول : « كنت

ابحث عن مجتمع متطور كاسرائيل ولكن من نوع آخر أقل تطرفا سياسيا، ففي اسرائيل ينتمي كل شخص بالضرورة الى حزب ما ، ويفصل حائط من انعدام التسامح بين التنظيمات المختلفة ... اما ليكوود فأكثر انفتاحا، اذ يتقابل بها طلبة من كل الاتجاهات الدينية ، وحتى من وجهة النظر الدينية فالمواقف أقل تشددا . فى اسرائيل تنظر الأوساط الأرثوذوكسية نظرة سيئة لمن يغادر اليشيفا للعمل لكسب عيشه ، أما هنا فأجد طلبة منتظمين فى الدراسة ولكنهم يعملون بعض الوقت لاعالة عائلاتهم » .

وحتى يشع ضوء الايمان من ليكوود على الطائفة اليهودية بأكملها ، فان كثيرا من الطلبة يغادرونها مرة فى الأسبوع لينقلوا الرسالة الطيبة الى جماعات المناطق المجاورة ، ويتوجه اسحق مساء كل أربعاء الى برنستون حيث يدرس مع عالم شاب استيقظ ايمانه ، يقول : « هذه البرامج مخصصة عادة للتائبين عن الذنوب أو حتى لمن لم يصلوا بعد لمرحلة التوبة ، انها مبرر للاقتراب من غير المتدينين » .

لقد اصبحت ليكوود بجماعات طلابها ومبشريها الأسبوعيين أحد مراكز الأرثوذوكسية المتكاملة ، كما ان «بوروبارك» فى قلب بروكلين تعتبر اقطاعية دينية هى الأخرى ، فالطائفة تعيش هنا كما فى الأحياء اليهودية الأخرى فى حالة اكتفاء ذاتى بمتاجرها ومدارسها وصحفها والأتوبيسات التى تربط بين الأماكن اليهودية المختلفة . وكثيرا ما يجرى الفصل بين الرجال والنساء فى هذه المواصلات العامة ، بل ان بعضها كانت به ستائر تحجب الجنسين واحدا عن الآخر ، الى أن تنبه احدهم الى أن ذلك مخالف للقوانين الفيدرالية ، وتقدم بشكوى وصدر حكم بمنع وضع هذه الستائر غير القانونية .

وعندما يتجول المرء فى شوارع « بوروبارك » أمام المتاجر الصغيرة المليئة بالمخللات والخبز بالبصل والسجق والأطعمة الحلال ، وعندما يرى المارة من الحاخامات كبار السن بلحاهم الصغيرة الرمادية،والطلبة بالقبعات الكبيرة من القطيفة السوداء ، وكذلك الفتيات الصغيرات بالفساتين الطويلة المقفلة بياقات صغيرة بيضاء ، وسيدات يدفعن عربات الأطفال الصغار ، يشعر المرء كما لو كان الزمن قد توقف وأنه عاد الى العالم

اليهودى الذى ساد فى الأزمان الغابرة حيث كانت تزدهر الحياة اليهودية. ومع ذلك ، فخلف هذا المنظر المألوف نجد أن أرثوذوكسية القرن العشرين قد أصابها تغير عميق . كتب الحاخام حايم سولوفيتشيك الأستاذ بجامعة اليشيفا فى نيويورك ذات الاتجاه الأرثوذوكسى الجديد ، والتى تحبذ دينا متسامحا ومنفتحـــاً :

« فى محاولة المحافظة على يهودية تقليدية ، يحاول اليهود المتدينون أن يجدوا الجذور لروحانيتهم الوليدة فى علاقة مع ارادة الرب بدلا مـــن العلاقة مع ذاته التى يجدونها مستحيلة ، وفى سبيل ذلك يغرقون حياتهم اليومية فى متطلبات معقدة ، وحيث انهم فقدوا الاتصال مع الرب ذاتــه فانهم يبحثون ثقل نيره فحسب » (١١) .

وعلى الرغم من التشابه الظاهرى بين اليهودية الدينية اليوم وبين الحياة التقليدية فى الماضى ، فقد غيرت الأرثوذوكســية من طبيعتهـــا ، فابتعاد الأجيال التى هاجرت الى الولايات المتحدة فى القـــرن الماضى ، وكذلك القضاء المنظم على يهودية وسط أوروبا على يد النازية قد أحدث انقطاعا فى السلسلة . والشريعة بصفتها نظاما للحياة اليومية يشمل كل مناحى الوجود لا الصلاة فقط ، وانما كذلك الطعام والشراب والملبس والعلاقات الجنسية وأسلوب العمل والراحة ، فليس من الممكن الاكتفاء بأن تلقن وانما يجب أن تستوعب ، ويؤكد الحاخام سولوفيتشيك أن استمرارها كان يتم فى الماضى ، عن طـــريق التقليد وأداء الطقـــوس والعادات داخل العائلة وفى الطريق وفى المعبد والمدرســـة ، ويكتب : « لو طلب منى أن أحدد فى عبارة واحدة التغير الذى طرأ على اليهودية الدينية فى الجيل الأخير ، لقلت انه الدور المؤثر الجديد الذى يلعبه النص فى الحياة الدينية » .

وهذه هى السمة الرئيسية للأرثوذوكسية الحديثة ألا وهى التعلق المرضى بالنص ، اذ يأخذ التشدد الدينى الجديد شكل زيادة ملحوظة فى عدد الدراسات المتعلقة بطبيعة الممارسات الدينية والصلوات والأعياد الدينية ، فنشرت خلال جيل واحد كتابات كثيرة أبـــرز فيها الباحثون المدققون فى التوراة مبادىء جديدة أو أحيوا عادات قـــديمة مهملـــة ، وهكذا يعـــاد النظر فى الممارسات الدينية فى ضوء تمســـك بالطقوس لم يعرف من قبل .

وبزغ هذا النوع من اليهودية فى الولايات المتحدة غير انه ينتشر كذلك فى اسرائيل وانجلترا وفرنسا ، وتلعب اليشيفا والمدرسة دوراً حيوياً فى الترويج لهذا الضرب من اليهودية ، ففى نهاية الحرب العالمية الثانية كانت هناك بالولايات المتحدة ثلاثون مدرسة يهودية تضم خمسة آلاف وثمانمائة طالب فقط وكانت اليشيفوت أقل من ذلك ، واليوم تضم ستمائة مدرسة يهودية اكثر من مائة وستين الف طالب ، اى ان العدد تضاعف ثلاثين مرة خلال خمسين سنة !

وفى الماضى ، كانت الهوية اليهودية تبدو ثابتة تماما ، وكان الاهتمام الاول للمهاجرين هو ان يمنحوا أبناءهم التعليم الذى يمكنهم من الاندماج فى وطنهم الجديد ؛ ولذلك لم تكن المدرسة اليهودية محل اهتمام الطائفة اليهودية التى لم تكن تتصور أن ارثها الثقافى يمكن أن يضعف ، ولكن هذه الهوية لم تلبث أن تهلهلت وأصبح من الضرورى تكليف الأساتذة التلموديين بمهمة نقل التعاليم اليهودية التى فقدت بريقها إلى داخل العائلات اليهودية . وهكذا تحولت اليشيفوت الى مؤسسة جماهيرية مهمتها تكوين غالبية القوات الأرثوذكسية ، فاليهودية التى تلقن عن طريق الحياة لم يعد لها وجود وحل محلها تمحيص النص ، وهذا الالتجاء الى حرفية الشريعة هو من أعراض تشدد التدين الذى شعر بخطر الحداثة والذى يعتبر وظيفته الوحيدة الباقية هى المحافظة على الارث سليما ، ومن هذا المنظور وجد أساتذة الأرثوذكسية من واجبهم تدعيم تجانس الجماعة ، وتقوية الروابط التى تضمها وتمنعها من الانفجار .

وفى ليكوود — أو بوروبارك — ينكب الطلبة طوال اليوم على الكتب، وبكل تدقيق يمحصون الشريعة الالهية التى تنظم حياتهم ، ويصل بهم هذا التدقيق الى نهاية النهاية من النص ؛ بما يدفعهم فى النهاية الى تساؤلات جوهرية ، مثل ما اذا كان حلالا أكل بيضة باضتها الدجاجة يوم السبت ، أو تناول طبق من السلاطة قد تختفى بين أوراقه بعض ديدان الأرض الدقيقة والتى لا تنطبق عليها شروط الطعام الحلال بطبيعة الحال !! .

# فى أعقاب المسيح المنتظر
## أو التعصب المعـادى للصهيونيـة

يمتلك ميخويل ايريرا متجرا فى ليكوود لبيع الأدوات المستخـدمة فى الطقوس اليهودية ، وقد قدم الى هذه المدينة الصغيرة فى نيوجيرسى بعد دراسة التلمود لمدة سنتين فى اسرائيل ، وتزدهر تجارته الصغيرة بفضل المدرسة الدينية اليهودية المحلية الواقعة فى المدينة . ويؤمن ميخويل بأن لحظة خلاص العالم قد حانت وأن موعد مجىء المسيح المنتظر يقترب ، غير أن وجود دولة إسرائيل يحول دون مجىء المخلص المنتظر ، وغيبية تفكير ميخويل تجعله يتشعر من فكرة قيام حركة يهودية للتحرر القومى ويقـول :

« أى عمل مخالف لارادة الله يؤخر مجىء المسيح المنتظر ، وقيـام الدولة ليس من ضمن علامات المرحلة السابقة للمجىء التى نعيشها بـل لعلها تعطل لحظة التنوير ، وكل أولئك الذين يعرفون التوراة متفقون على أن اقامة دولة بالقوة الذاتية مخالف لشريعة الله فالدولة تقف ضد التوراة وضد الله . ولكنه مكتوب أيضا أن المسيح المنتظر سيجىء مهما كان الأمر ، وأن موعد مجيئه محدد مقدما فى السماء ... وسيكون من سوء حظ من لم يتوبوا مجيئه قبل توبتهم ، وسيكون الوضع جيداً لمن تابـوا قبل ساعة الخلاص وبعدها سيكون وقت الندم قد فات » .

وقد جاء فى مجلد « كتوفوت » من التلمود : ان الله طلب من العبرانيين عند ذهابهم الى المنفى بعد هدم الهيكل الثانى أن يقسموا على ثلاثة اشياء وهى : الا يعودوا بالقوة ، والا يثوروا ضد الأمم ، والا يحاولوا التعجيل بنهاية الزمان . وعلى اساس هذه التعاليم يعتبر ميخـويل أن دولـة اسرائيل نوع من الهرطقة ، وعندما يتحدث عن الأرض المقدسة يستخدم التعبير بريتز يزرويل ( أرض اسرائيل ) بتأكيد واضح على الاسم بلغة اليديش ؛ حتى لا يقترب من التعبيرات المحدثة لليهود غير الأتقياء الذين يتحدون السماء ، ويعتبر ميخويل دولة اسرائيل بمدنها ومشاكلها وجيشها غريبة بالنسبة له كأى بلد أجنبى قائلا : « اننى لا أهتم بما يحدث فى الصين ، وبالمثل لا أهتم بما يحدث فى اسرائيل » .

ولكنه فعلا قضى سنتين يدرس فى القدس لا فى بكين ...

« نعم ، ولكن ذلك ليس بسبب أن اليشيفا توجد فى اسرائيل ، فالى حد ما فان الصهيونية لم تدنس تماما قداسة بريتز يزرويل ، وبالطبع عندما لم يكن فى بريتز يزرويل كل هؤلاء السكان المعادين للتوراة كانت الأرض اكثر قداسـة ... » .

اى عندما لم يكن بها يهود ؟

« لقد كان بها بعض اليهود ، حفنة من الأرثوذوكس ولكنهم لم يتلفوا شيئا . ان بريتز يزرويل تعتبر كقصر للملك وعندما يكون القصر خاليا وليس به سوى بعض الخدم ، فان ذلك يكون أمرا محزنا بالطبع ولكنهم على الأقل ينفذون أوامر الملك ، ولكن عندما يمتلىء القصر بجماهير كل همها مخالفة ارادة الملك فالوضع يكون أسوأ بكثير ! » .

ومن هذا المنظور ، فان تدهور الأرض المقدسة انما هو تعبير عن انحطاط عام ، ويذكر ميخويل قصة يهودية تقول ان تطور الانسانية عبر تاريخها يشبه جسم الانسان، فالأجيال الأولى تشبه الرأس وتتسم بالرقى الروحى ، وكلما تقدم الزمان ظهرت أجيال أقل رقيا ، ونحـن الآن قرب عقب هذا الجسم وهى الفترة التى تسبق مجىء المسيح المنتظر ؛ ولكنها أيضا فترة تعانى فيها الانسانية من ضعف الحواس ، يقول :

« كانت الأجيال السابقة تجد من السهل أن تفتح عيونها وأن ترى وتشعر بالله ، اما نحن فلم تعد لدينا القدرة أن نرى وأن نشعر بما كانوا يرون ويشعرون به قديما .. بل وحتى لم يعد لدينا ذلـك النوع مـن الحاخامات الذين كانوا موجودين منذ خمسين عاما بل وحتى منذ ثلاثين عاما » .

ويرثى ميخويل القريب من حسيديى ساتمار وفاة الحاخام يوئيـل تايتلباوم فى ١٩٨١ ، وكان أستاذ هذا التيار ومن كبار مناهضى الصهيونية، ويرى أنه منذ اختفاء الأستاذ فان «تدهور الأجيال» يزداد سوءا ، ويقول :

« لقد كان حاخام ساتمار يرفض العنف دائما ومع ذلك ، فقـد رأى البعض أن يقذفوا باسمه قنصلية اسرائيل فى نيويورك بالبيض ، ولكنه لم يكن ليفعل ذلك أبدا » .

كان يوئيل تايتلباوم يعتبر نفسه الوريث الأكثر تشددا للحسيدية ، وقد عبأ حوله فى مدينة ساتمار أشد أعداء الصهيونية ، فى حين كانت بقية الطائفة تتقبل الأفكار الجديدة ، ولكن من سخرية الأقدار أنه عندما كانت مدينة ساتمار فى ١٩٤٤ تحت أقدام آدولف أيخمان بصفتها جـزءا من المجر ، كان الصهيونيون هم الذين أنقذوا الحاخام تايتلباوم مـن الموت .

ومنذ بداية الملاحقات المعادية للصهيونية ، أسس بعض الصهيونيين فى بودابست لجنة سرية اسمها فاعادت عزراه فهتسالاه ( لجنة المساعدة والانقاذ ) ، ومكنت هذه الحركة اليهود المطاردين من البلدان المجاورة من الالتجاء الى المجر التى كانت لا تزال تحتفظ ببعض الاستقلال ومنهـا يسافرون الى فلسطين للمشاركة فى البناء . وبعد أن اجتاحت القـوات الألمانية المجر فى ١٩٤٤ ، حاول أحد مسئولى هذه اللجنة وهو ريســو كاستنر اجراء مفاوضات مجنونة مع النازيين لشراء حياة المعتقلين ؛ ولكن أيخمان هزأ من هؤلاء القوم الذين يريدون مبادلة « يهود لا قيمة لهم ببضائع قيمة » ،ولكن الرايخ كان قد نزف كثيراً وكان بحاجة الى عملات والى نيكل والومنيوم وكاميونات وجرارات ، وبدات المفاوضات بين كورت بيخيـر

رئيس الادارة الاقتصادية لهيملر والسويسرى سالى ماير ممثل الـ ( أميريكان جوينت ديستريبيوشن كوميتى ) ، وهى منظمة يهودية أمريكية للمساعدة .

وقد اقترح ايخمان فى أول الأمر مبادلة مليون يهودى بعشرة آلاف كاميون(شاحنة)،الا أن المفاوضات تراخت بعد ذلك،فقد كان الحلفاء يخشون من دعم المجهود الحربى الألمانى ، فقد أوضح روزويل ماكليلاند من السفارة الأمريكة فى برن بكل صراحة ، موقف حكومته فى خطاب موجه الى مجلس لاجئى الحرب فى واشنطن : « من المستحيل أن نبدأ فى برنامج لشراء اليهود من النازى ، خاصة اذا كان المطلوب مبادلتهم بسلع يمكن أن تساعد العدو على اطالة الحرب » (١) . وعندما أخطرت سويسرا للاستعداد لاستقبال الهاربين ، رفضت اعطاء تأشيراتها الثمينة ولم تقبل فى أول الأمر الا من لهم أقارب فى البلاد ، وحتى اللجنة الدولية للصليب الأحمر رفضت الاشتراك فى محاولة الانقاذ وأجابت بترفع أنها لا يمكن بأية حال « أن تتعامل مع اناس يستخدمون وسائل غير قانونية لانقاذ اليهود » (٢) . ومن جهته ، عاد ايخمان بعد أن قطع على نفسه عهودا لم يكن ينوى أبدا تنفيذها الى مهمته الأصلية وهى ابادة اليهود ، ولم يعد يهتم الا بابتزاز أكبر مبالغ مالية من المنظمات اليهودية مقابل أقل عدد من الأرواح . أما المجريون النازيون ، فكان همهم هو الاستيلاء لحسابهم الخاص على ثروات الضحايا ، ويشهد كاستنر بذلك قائلا : « لقد صمم المجريون على منع حلفائهم الألمان من الاستيلاء على هذه الأموال اليهودية ، وقامت جماعات من البوليس السرى ومكافحة الجاسوسية المجرية بحملات على مكاتب « الوادا » ، حيث استولوا على أموال ونفائس المتواجدين بها والذين سلموها وهم يرتعشون ، وكانت تلك عملية حساسة . . »(٣) .

وسمحت هذه المساومات المقززة واليائسة فى نهاية المطاف لألف وثلاثمائة وثمانية وستين يهودياً كانوا فى معتقل بيرجن — بيلسن بالدخول الى سويسرا فى عشية عيد الميلاد فى ١٩٤٤ ، وكان من بين هؤلاء المحظوظين — الذين باعهم النازى بسعر الف دولار للواحد — أطفال وشخصيات صهيونية نشيطة وكاستنر نفسه مع عائلته وبعض الحاخامات

الأرثوذوكس . وهكذا أمكن للحاخام يوئيل تايتلباوم الذى نجا من الجحيم أن يتنفس هواء الحرية ، ولكنهم لم يستمتعوا طويلا بهدوء وسلام الاتحاد السويسرى ، فقد كانت حكومة برن متزمتة جدا بشأن سياسة الهجرة وسافر الحاخام مع اغلبية الناجين الى فلسطين ، ولكنه لم يبق بها طويلا، ففى ١٩٤٧ اسرع يوئيل تايتلباوم بترك الأرض الموعودة قبل قليل من تحولها الى دولة يهودية ذات سيادة ، واستقر نهائيا فى بروكلين حيث عاود حملته ضد الصهيونية بضراوة أكبر .

وهناك الكثير مما يمكن أن يقال عن علاقة الحب ـ الكراهية بين الضحية والمنقذ ، ويمكن للتحليل النفسى مساعدتنا على فهم حالة معاداة الصهيونية الجنونية لحاخام ساتمار ، فقد علمنا سيجموند فرويد أن الكراهية تنبع من نبضات الابقاء على الذات فى صراع الأنا من أجل البقاء وتأكيد الذات . ويبدو نكران الجميل كعاطفة عميقة فى الانسان للدرجة التى جعلت مؤلفا مسرحيا هو يوجين لابيش ، يبرز فى مسرحيته الشهيرة ( رحلة المسيو بيريشون ) بشكل كوميدى « ذلك العبء القاصم الذى يسمونه الاعتراف بالجميل » .

ان الناجين من الخطر لا يحبون تذكر منقذيهم ، فكرم الآخر يذكرهم بلحظة ضعفهم عندما كانوا تحت رحمة القدر ، والاعتراف بالجميل يفرض عليهم أن يقبلوا ويتصوروا ـ ويعترفوا ـ بموقف يثير رعبهم ، ويضاف الى ذلك بالنسبة للناجين من معسكرات الموت ، الشعور بالذنب غير المنطقى بأنهم نجوا فى حين اختفى ملايين غيرهم ابتلعتهم غرف الغاز .

لقد استطاع يوئيل تايتلباوم أن يصل باخفاء الاعتراف بالجميل الى حده الأقصى ؛ ولكننا نجد هذه الظاهرة عند آخرين بدرجات متفاوتة من العلنية ، وهكذا نجد أن الآلاف من الأطفال والبالغين اليهود الذين أنقذهم ، خلال السنوات السوداء ، السكان البروتستانت من قرية شامبون سير لينيون ، قد سارعوا فور التحرير بمغادرة هذه الأرض التى أنقذتهم ، بلا عودة ، مما سبب خيبة أمل لسكان هذه القرية فى «السيفين» الذين بذلوا جهداً واعيا للالتقاء بأهل الكتاب وتعرضوا لمخاطر

كبيرة . لقد كانت شجاعة اهل شامبون في نظر الناجين من الكارثة النازية، هي الصورة العكسية لبؤسهم وخوفهم وهربهم هم ... قال لي أحد هؤلاء الفلاحين بحزن : « لقد تناثروا واختفوا كمجموعة من العصافير » .

ولقد مر اربعون عاما قبل أن يقبل الأطفال الذين اختبأوا في شامبون في نهاية المطاف ، أن يتذكروا وأن يعودوا ليكرموا أولئك الذين أنقذوهم في الماضي .

وفي حي ويليامسبرج في بروكلين ، انشأ الحاخام تايتلباوم المركز الجديد لحسيدية ساتمار ، ولم يتوقف عن الهجوم على دولة اسرائيل بصفتها من عمل الشيطان وكتب يقول : « لقد تسبب الصهيونيون بأعمالهم السيئة وانشطتهم السياسية الخاطئة والمحرمة في جميع التجارب والآلام لشعبنا ؛ حتى يستغلوا بعد ذلك المظاهر ويدعوا دور منقذي أمتنا ، ولقد نجحوا في هذه المزايدة » (٥) .

أعمال سيئة ... مظهر المنقذين .. المزايدة .. لقد ادان الحاخام تايتلباوم دون هوادة أولئك الذين أنقذوا حياته ، بل اسوأ من ذلك لقد اتهم الصهيونيين بانهم كانوا في قلب مؤامرة كبيرة الغرض منها إثارة الهتلرية ؛ حتى يثبت عنفها الوحشي لجماهير اليهود ضرورة إيجاد وطن مستقل ، لقد قلب الحاخام الوضع رأساً على عقب ليؤكد رأيه وليحول الاتصالات التي جرت بين الصهيونيين والنازي لانقاذ يهود المجر الى مؤامرة مكيافيلية .

ويشرح لي هيرشل فريدمان الصحفي بمجلة دير ييد التي تصدر باليديش لماذا يتمسك الحسيديون من هذا الاتجاه بالعداء المطلق لدولة اسرائيل ، قائلا :

« نحن ضد وجود دولة يهودية قبل مجيء المسيح المنتظر سواء أكانت حكومتها دينية أم لا ، أن الساتمار لا يمكنهم قبول هذا الأمر الواقع الذي يخالف كل ما تعلمه لنا التوراة . ان احدى الوصايا اليهودية التي يقدر عددها بستمائة وثلاث عشرة تفرض علينا الايمان بالآتي : « أنا أؤمن بمجيء المسيح » . فلو كنا نؤمن بخلاصه فان هذا يقتضي أن ننتظر الحدث مهما تأخر ، فماذا

فعل الصهيونيون ؟ لقد قالوا إنهم لا يؤمنون بمجيء المسيح المنتظر ، ولذلك عليهم اقامة الدولة بأيديهم ! وهذا لا يؤدى فقط الى عدم استعجال مجيء المسيح المنتظر وانما يؤخر الخلاص ، ولكى يمكن أن يظهر المسيح المنتظر يجب أن تختفى اسرائيل ، وعلى أية حال ، فكل ما بناه الصهيونيون سيدمر ... اننا لسنا ضد اسرائيل لأسباب سياسية مثل الفلسطينيين ؛ ولكننا نعارض هذه الدولة على أساس من التوراة فقط ، فلو آمنا بأن التوراة كتاب مقدس وانه صادق لاستحال علينا الموافقة على قيام دولة اسرائيل . عندما أصلى كل يوم أدعو لمجيء المسيح المنتظر ومن أجل العدالة . فان صلاتى تدعو ضمنا لهدم دولة اسرائيل ولكن دون اهدار دم يهودى ، فكيف يمكن أن يحدث ذلك ؟ نحن لن نقول لله أو للمسيح كيف يتصرف فالله يعرف كيف يرتب مثل هذه الأشياء . ولو كان احد قال لنا منذ بضع سنوات ان امبراطورية عظيمة مثل الاتحاد السوفيتى ستسقط دون اطلاق رصاصة واحدة ، لما صدقناه ولكن هذا هو ما حدث فعلا ... » .

وقد ظل هذا الخطاب هامشيا لبعض الوقت ، الا أنه أخذ ينتشر بين الجماعات الدينية خاصة بسبب المعارضة السياسية للاتفاقات بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية ، فحيث ان الدولة بمتابعتها لعملية السلام ستصل عاجلا أم آجلا الى تصفية بعض الأراضى اليهودية فى يهودا والسامرة فانها تفقد شرعيتها الدينية ، وهكذا تنتشر الأرثوذوكسية المتطرفة آراء الحاخام تايتلباوم خارج أوساط الساتمار .

يدرس بيريل المواد اليهودية فى لندن ، وقد فقد إحساسه بالاستقرار بسبب عملية السلام ويتساءل اليوم عن امكانية استمرار اسرائيل اصلا ، قائلا :

« ان مؤسسى دولة اسرائيل لم يستندوا الى أسس دينية وفى الواقع لم تستحق اسرائيل لنا بهذه الطريقة ، وكان الواجب ان يجرى اسكان البلاد بطريقة مختلفة ، وأعتقد أن الله سيجبرنا على ترك ما هو من حقنا وحصلنا عليه بحق الفتح وكلفنا غاليا جداً ؛ وذلك حتى يمكن لنا الحصول عليه فى وقت لاحق وانما على أسس احسن أى المسيح المنتظر . ان الساتمار لا يوافقون على حق اسرائيل فى الوجود ؛ لأنه لا يجب فرض ارادتنا على

الله وانما يجب انتظار التدخل الالهى دون ضغط على التاريخ ، ويبدو أن الأحداث ستثبت صحة وجهة نظرهم .. ان استحقاق الخلاص لا يمكن أن يأتى عن طريق أعداء الدين وأولئك الذين ادعوا فى ١٩٤٨ أن من حقنا العودة الى أرضنا ، والذين رأوا فى ذلك بداية للخلاص قد كانوا مخطئين، وكلما ازداد وضع دولة اسرائيل سوءا ، كان ذلك علامة على قرب مجيء المسيح . ان ما بنى دون هدف دينى يجب هدمه ليعاد بناؤه من جديد ، إن ما بنى على أساس غير سليم لا بد وأن يسقط .. » .

وهكذا ، فعداء الساتمار للصهيونية لا يضعف وانما تقويه الأحداث، وقد زار الحاخام الحالى موشيه تايتلباوم أتباعه فى اسرائيل فى يونيو ١٩٩٤ ، ولكنه رفض أن يستخدم طائرة الطيران الاسرائيلية ، وكرر ادانته للدولة التى « هدمت الدياسبورا اليهودية وأحدثت مواجهة مع الاسلام » (٦) .

يقول هيرشل فريدمان ان جماعة الساتمار واحدة من أكثر جماعات اليهود الأرثوذوكس عدداً وان كانوا يبدون أقلية ، ويكمن سبب ذلك فى عزوفهم عن التبشير بأفكارهم ، ولا يستهويهم النشاط التبشيرى لحسيديى اللوبافيتش ويقول :

« نحن نعتبر أن هناك خطورة فى ارسال الشباب الى الشارع لكسب الأتباع ، فهذا عمل فيه خطورة على شباب قضوا وقتهم كله يدرسون فى اليشيفا ولا يعرفون شيئا عن العالم الخارجى فنحن لنا موقف مختلف تماما ، اننا نريد أن نكون نورا يجتذب أولئك التائهين فى الظلمة . نحن نعتقد أننا بقدر ما نكون صادقين فى ايماننا وأقوياء فى ممارساتنا وسائرين بوضوح فى طريق الحق والاستقامة ، فاننا سنكون كالمنارة ترسل ضوءها وينجذب اليهود الينا . طائفة الساتمار أقامت حولها جدرانا لتحميها من العالم الخارجى وحتى لا تمتصنا الحداثة ، ولكن هذه الجدران ليست صماء لدرجة منع ضوئنا من الاشعاع للخارج ، وهذا الموقف لا ينبغى أن يصدم أحدا ، فكل الطوائف اليهودية لا تسهل لغير اليهود أن ينضموا اليها . والأمر مشابه بالنسبة لنا فعندما يريد يهود أن يصبحوا من الساتمار فاننا ننبههم : « ان الأمر سيكون صعبا » .

وهذا الانغلاق داخل الجيتو الذى يصل الى كونه عقيدة يحيط الساتمار باطار ليس روحيا فحسب ، وانما مادى وجغرافى كذلك ، ففى ويليامسبرج تستخدم العبرية فى الدراسة والصلاة فقط ، أما الأشباح السوداء التى تتمشى بين مبانى الطوب العتيقة فتتحدث باليديش ، وكذلك فى الحوارى المتربة فى الحى الأرثوذوكسى فى القدس — كما فى مبانى عصر الباروك فى آنفرس — يتجمع نفس الناس الذين يعتبرون أنفسهم ممثلين لخلاصة اليهودية الكاملة . لخص لى أحد شباب الساتمار مبداه فى بضع كلمات قائلا : « نحن حراس أرثوذكسية النص دون تشويهه أو تفسيره » .

ومنذ سقوط الأنظمة الشيوعية ، اكتشف الساتمار لأنفسهم وظيفة جديدة ألا وهى اعادة الروس اللاجئين الى الولايات المتحدة الى الدين ، فقد تخلوا عن اليهود الأمريكيين غير المتقبلين لتعاليمهم ووجدوا فريسة أسهل فى هذه العائلات التى يجعلها المنفى فى وضع هش ، ففى بروكلين انضم مئات من الطلبة لاحدى مدارسهم، وهم بذلك يكونون العجينة السهلة التى سيتكون منها جيش الساتمار فى المستقبل . وتشغل هذه المهمة المقدسة جزءا كبيرا من طاقات طائفة الساتمار ويجوب رسلهم الاتحاد السوفيتى السابق؛ ليقنعوا اليهود بعدم الاتجاه الى أرض الميعاد ويقودونهم الى طريق امريكا ، حيث يجد أطفالهم مدارس مستعدة لقيادتهم الى حظيرة اليهودية الصحيحة ، ويمتد نشاط هداية النفوس هذا الى بلاد أخرى ، فقد نجحت منظمات الساتمار فى نقل بعض يهود ايران الى فيينا ، حيث توجد مدرسة كبيرة تستوعب أطفالهم الصغار قبل هجرتهم النهائية لأمريكا ، وهم نشطون كذلك فى اليمن حيث يوفرون لليهود الباقين فى تلك البلاد المطبوعات المعادية للصهيونية؛ لاقناعهم بعدم التوجه لاسرائيل.

وهكذا نرى أن الساتمار يوجهون تعصبهم الدينى نحو الأصغر سنا ، فهم لا يهتمون باقناع بعض البالغين الذين أتلفتهم الحياة والذين ستكون عودتهم الى الدين ذات طبيعة فاترة ، انهم يفضلون تشكيل نفوس طازجة .

وهم على استعداد فى صراعهم الدائم ضد أعداء التوراة أن يواجهوا كل سلطات العالم فماذا تساوى عدالة الانسان أمام العدالة الالهية ؟ وقد قامت دوائر الساتمار أكثر من مرة باخفاء أطفال انتزعوا من آبائهم الذين اعتبروا غير صالحين . وكانت أول وأشهر حادثة اختطاف من هذا النوع هى اختطاف الطفل يوسيلى شوشماخر والذى استغرق البحث عنـه سنتين من العمل المضنى للمخابرات الاسرائيلية والأمريكية ، حتى أمكن تحديد مكانه فى بروكلين ، بعد أن أخفى فى فرنسا وسويسرا والولايات المتحـدة .

وكانت بطلة هذه القصة الحزينة هى روث بلاو ، وهى فرنسيـة اعتنقت اليهودية وتزوجت الحاخام عمرام بلاو ، وهو رئيس جماعـة « الناتوراى كارتا » المعادية للصهيونية فى القدس والقريبة أيديولوجيـا من الساتمار . ونظرا لان جد الطفل يوسيلى لأمه لم يكن راضيا عـن تمسك والديه بقواعد الدين بالجدية الكافية ، حيث كانا مهاجرين من الاتحاد السوفيتى ، فقد قامت روث بلاو بجر الطفل وقد البسته ملابس طفلة الى أوروبا ثم أمريكا؛ وكل ذلك حتى تضمن أن ينشأ الطفل حسب التعاليم الدقيقة للتوراة .

وقد أثار الحادث الخوف فى العالم اليهودى ، فلم يكن أحد يظن أن يصل التعصب الدينى الى حد فصل طفل عن امه ، وقد حاولت روث بلاو عبر بيان دفاعى طويل (٧) أن تصف عملية الخطف الخسيسة هذه بأنها كانت عملا بطوليا وتضحية ، ولكن لم يؤيدها الا مقال واحـد ظهر فى « الجويش هيرالد » فى جوهانسبرج ونقل عن حاخام المدينة ويـدعى كوسوفسكى قوله : « اذا كان الهدف هو انقاذ الطفل حتى يبقى يهوديا ، فان تصرف ناخمان ستراكس ( جد الطفل ) يعتبر سليما فمن واجـب الطائفة أن تسهر على منح الطفل تعليما مناسبا » . وسأل الصحفى الحاخام كوسوفسكى ما اذا كان تصرف الجد مخالفاً لوصية الله « أكرم أباك وأمك » وهى أهم الوصايا فأجاب حاخام جنوب أفريقيا : « فى هذه الحالة هناك وصية أكثر أهمية وهى طاعة الله » ، وبعدها احتلت حادثة خطف أطفال أخرى مكان الصدارة فى الأخبار ، وانقضت ست سنوات هذه المرة قبل أن تجد المخابرات الأمريكية أطفال سيدة بلجيكية غـير

يهودية أودعهم أبوهم اليهودى عند طائفة من المستعمار فى الولايات المتحدة، بعد أن استيقظ ايمانه اليهودى فجأة ليعتنق أشد اشكال اليهودية أصولية .

والأصولية اليهودية فى القدس لها تاريخ طويل يزيد عن القرن ، ففى ١٨٧٤ كانت المدينة المقدسة مجرد مدينة فى ولاية عثمانية ، وخلف الأحجار البيضاء لأسوار السلطان سليمان القانونى العالية ، كان السكان المختلطون،يتحركون فى الشوارع الضيقة المعتمة للسوق حيث تنتشر روائح التوابل . وبالقرب من باب دمشق ارتفعت لافتة بالفرنسية على مبنى جديد جاء بها « أو جوردان بون فان بون تابل » ( عند الأردن نبيذ جيد ، طعام جيد ) ، فقد افتتح فندق صغير فى هذه الأرض المقدسة لخدمة الأوروبيين الذين أخذوا يفدون على فلسطين فى السنوات الأخيرة ، فقد أخذت السفن تصل الى ميناء يافا كل أسبوع تقريباً وتنزل فى ظل قلعتها جماعات من الأغنياء الذين يمتلكون الثروة ، وقد حضروا ليعيشوا مغامرة الحياة فى الشرق . وتنقلهم العربات فى أقل من أربع ساعات الى القدس ، حيث يتابعون بالقبعات الكولونيال للرجال والقبعات العريضة للسيدات ، من حارة الى حارة مسيرة الصليب فى طريق الآلام المسقوف والذى تنيره الفتحات القليلة .

وازداد عدد الطائفة اليهودية وأغلبها من الأرثوذوكس فى القدس ، وبدأت العائلات الكثيرة تجد صعوبة فى العثور على مأوى ، ولذلك قامت جماعة صغيرة من المؤمنين بشراء قطعة أرض صحراوية شمال غرب جبل الهيكل على التلال القاحلة التى تحيط بالمدينة ، ووضع حجر الأساس وأطلقوا عليها ميئا شعاريم أى المائة باب وهى عبارة اقتبسوها من قراءة التوراة يوم السبت السابق : « وزرع اسحق فى تلك الأرض فأصاب فى تلك السنة مئة ضعف وباركه الرب » (٨) . مائة ضعف .. وتعبر ( ميئا شعاريم ) بالعبرية عن الثقة بالمستقبل وكانت المائة باب هى أبواب المعابد التى ستبنى قريباً فى هذا الموقع الصحراوى .

وبعد سنة، كان قد تم بناء سبعة منازل وأصبح للجماعة الأرثوذوكسية الصغيرة أسطورتها ، ففى أول ليلة قضاها هؤلاء الأتقياء فى منازلهم الجديدة لدغ عقرب أحد الأطفال فى أصبعه ... وفى تلك الساعة

المتأخرة كانت أبواب المدينة قد أغلقت ولم يكن ممكنا استدعاء طبيب ، ولكن الحاخام زالمان بهران معلم هذه الجماعة الصغيرة ومهندس المشروع، اعتنى بالطفل وبقى الى جوار سريره حتى شفى بعد بضعة أيام .

وفى عام ١٩٠٠ كانت ( ميئا شعاريم ) تضم مائة وعشرين مبنى ودارين للدراسة والعبادة وبئرين وسبعة منازل لاستقبال الغـرباء ، وفى نفس الوقت بدأ يسكن فى فلسطين يهود أوروبيون ذوو تصرفات غريبة ، اذ كانوا يسيرون ورؤوسهم عارية ولا يتناولون الطعام الحلال ، ويتحدثون عن انشاء وطن قومى عـلى الأراضى المقدسـة ! وانزعج سكـان ( ميئا شعاريم ) بملابسهم السوداء واحترامهم المطلق للتوراة وترقبهم مجيء المسيح المنتظر من هؤلاء اليهود ذوى الاتجاهات الحديثة ، وتحول حيهم الى مركز الصراع ضد الصهيونية وقلب المعارضة للتأثيرات العلمانية .

وفى عام ١٩٣٥ ، نشأت فى ميئا شعاريم تحت لواء الحاخام عمرام بلاو جماعة الناتورى كارتا أو حراس المدينة بالأرامية ، وهى اشد الجماعات عداء للصهيونية ، وقد استمدوا اسمهم هذا من قصة تعليمية وردت فى التلمود ( كتاب حجيجة ) ، وجاء فيها أن الحاخام يهودا الأمير أرسـل بعض الحاخامات إلى فلسطين لتنشيط تعليم التوراة ، وفى أحـد المواقـع لم يجدوا مدرسين للتوراة فسألوا عن حراس المدينة فأحضروا لهم رجال الشرطة فقالوا :

« أهؤلاء حراس المدينة ؟ انهم مدمروها !

— فمن هم حراسها اذن ؟

— انهم أساتذة التوراة ... » .

وحراس المدينة على الطراز الحديث يعتبرون الصراع ضد الصهيونية هو مبرر وجودهم ، ويؤكد نشيدهم الرسمى عدم شرعية الدولة اليهودية اذ يقـول :

الله ملكنا

ونحن خدمته

والتوراة شريعتنا
ولها نخضـــع
وحكومة الملحدين لا نعترف بها
أما حكومة المسيح المنتظر
التى ستتبع التوراة فهى التى نعترف بها .

ولا تخدعنا سذاجة هذه العبارات ، فالناتورى كارتا هم المعبرون عن أشد أعداء الصهيونية اليهود تعصبا ، وقد ازدادت هذه الحفنة من المتطرفين الخمسمائة أو الستمائة تطـــرفا منذ وفاة عمرام بلاو فى ١٩٧٤ ، اذ أصبحوا بلا رئيس حيث لم ينجح أورى بن عمرام فى السيطرة على هذه القوات غير المنضبطة والمتناثرة والتى تعمل دون أى تنسيق حقيقى ، ووصل تعصبهم المرضى الى حد قيام بعض أفرادهم بتدنيس قبور بعض الشخصيات الصهيونية .

ودون الوصول الى هذه الحدود ، فان الناتورى كارتا يجمعـــون على القيام بأعمال رمزية تعبر عن الرفض ، ففيما مضى طلبوا ضـــم حيهم الى الأردن ، كما طلبوا من حكومة النمسا منحهم الجنسية النمسوية بحجة أن امبراطور النمسا كان فى الماضى يسمى دوق القدس ! واليوم لا يشاركون فى أى انتخابات ولا يدفعون الضرائب ويرفضون الجنسية الاسرائيلية ، ويعتبرون عيد استقلال اسرائيل يوم حداد فيصومـــون ويرفعون الرايات السوداء على منازلهم ، فى الوقت الذى تحتفل فيـــه بقية البلاد . وحيث انهم يؤمنون بضرورة تدمير دولة اسرائيل قبل مجىء المسيح المنتظر ، فانهم وصلوا منطقيا الى تأييد أشد مواقف منظمة التحرير الفلسطينية تشددا ، ويؤكدون شرعية الهجمات الارهابية بوصفها عقوبة عادلة للصهيونيين ، ويحلم حراس المدينة وهم متقوقعون فى الجيتـــو الخاص بهم فى القدس بصـــوت عـــال بالدولـــة الفلسطينيـــة ، التى ستخلصهم من الأمة اليهودية .

وفى يوليو ١٩٩٤ استقبل أحد الناتورى كارتا ، وهو الحاخام موشيه هيرش ، ياسر عرفات فى أريحا بحرارة ...

وقد أبلغنى ابراهيم سليمان مدير وكالة الأنباء الفلسطينية وفـا : « ان الحاخام هيرش والرئيس عرفات يتقابلان بانتظام ، وتوجد بينهما اتصالات منذ مدة وقبل بدء عملية السلام » .

ويقوم موشيه هيرش الى حد ما بدور مستشار عرفات فى « الشئون اليهودية » ، وحيث ان حاخام ميئا شعاريم يؤيد اى اتفاق يخفف مـن قبضة السلطة اليهودية على الأرض المقدسة ، فانه لا يعتبر متطرفا من وجهة نظر السلطة الفلسطينية ، وهكذا تقفـل الـدائرة : فمعـاداة الصهيونية الأشد تطرفا تلتقى مع يسار الآباء المؤسسين للدولة ، وفى انتظار مجىء المسيح المنتظر ليضع حداً للفوضى الانسانية .

# خاتمــــــة

## المســتقبل من منظــور المــاضى

منذ أربعة قرون تقريبا ، كان الحاخام يهوذا ليف مهارال براغ يقوم بدراسة تحليلية عن الخبز العظيم ، وهو الفطـــير الذى يأكله اليهود خلال أيام عيد الفصح الثمانية ، وفى تفسيره وصل الأستاذ الى أن هذا الخبز مصنوع من دقيق غير مخلوط بأى شىء آخر ... وهذا الطعام الذى يرمز للنقاء يذكر المؤمن بأن أساس الخلاص هو فى رفض الخلط أى احترام الوحدانية . وصحيح أن الاهتمام المرضى بالنقــاء الــدينى لا يعذب الا اقلية من بين الثلاثة عشر مليون يهودى فى أنحاء العالم ، ولكن هذا الطرف الصغير هو الجزء الأكثر ظهورا من اليهودية والأعلى صوتا كذلك ، حيث إنه بعيدا عن هذه النواة تمتد الأرض المنبسطة من عدم الاكتراث .

يقول حاييم موزيكانت مدير المجلس التمثيلى للمؤسسات اليهودية فى فرنسا ان العودة للايمان المتكامل ، لا يمس الا وسطا محدودا دون أن يصل الى المحيط الخارجى :

« على الرغم من هذه العودة الى الممارسة وهذا البروز للعــالم المتدين ، فانه يكفى النظر الى عدد اليهود المنغمسين بشكل أو بآخر فى الجماعة ، فى المدارس أو حركات الشباب أو المنظمات ، لكى نلاحظ أنه لم يحدث انفجار فى أعداد المشاركين ، وهذا معناه أن تحديد هــوية

اليهود عن طريق الكيانات المنظمة لم يزد ، وفى النهاية لم ينجح أحد فى تجاوز دائرة معينة ، وهذا يعتبر فشلا عاما للجماعة » .

وفى الواقع ، فان الاندماج السريع قد يحول اليهود الى « جنس على وشك الاختفاء » حسب تعبير آفى بيكر مؤلف تقرير عن الديمرجرافية اليهودية (١) . وفى جو التحلل هذا تعى الأرثوذوكسية أنها تعتبر الخندق الأخير أمام خطر انحلال الشعب اليهودى .

وحيث ان المستقبل محفوف بالاخطار يجرى التخندق فى الماضى ، وتمجيد الذكريات الأسطورية التى يتم على ضوئها تفهم المستقبل . ان التعايش مع الحاضر يقتضى قبول التغيرات التى تدفعها حركة نشطة متجهة للأمام ، ولكن البعض يفضلون الدخول الى المستقبل من منظور الماضى ، وتكتشف اليهودية الشتاتية التى لا مشروع لها معتقداتها المريحة فى نموذج التقوقع الآتى من الماضى السحيق .

ومع نهاية هذا القرن حيث تزول الغشاوة عن العيون ، يصبح موت الأيديولوجيات أخطر فى نتائجه من موت الاله الذىأعلن فيما مضى ، وفى عصر اصبح الشك فيه قيمة فى حد ذاته تكون العودة الى نظام الحقيقة المطلقة ذات صدى جذاب لشباب تعوزه الحقائق ، ويحدث التقوقع والانفصال تحت شعار عقائد مطمئنة لا تشتمل الا على اجسابات ، ولا يحتاج الأمر الى الاختراع أو البحث فكل شىء جاهز وسهل ومباشر، ولا مانع من الخضوع لألف واجب طقسى فى سبيل الحصول على راحة البال للفكر الموجه . وتدعى الأرثوذوكسية المتطرفة أنها الفصيل النقى المستعد لاخضاع حياته للتعقيدات اللانهائية للنير الالهى ، فى حين يختار العلمانيون بدوافعهم الانسانية الطريق السهل . قال لى أحد الأرثوذوكس :

« عندما أكون فى القدس فانى أختار السكن فى حى يغلق يوم السبت ؛ لأنى لا اطيق رؤية أخى اليهودى مستعبدا لشهواته وغير قادر على الانفصال عن العالم كما يقضى القانون » .

وعندما يستمع المرء للخطاب الدينى الأصولى المشوب بالخوف ، يدرك بسهولة مدى الراحة فى اتباع الشريعة بدقة ، فلم تعد هنـــاك حاجة لتغيير أى شيء أو تعديله على يد الانسان فالعناية الالهية وحدها هى التى ستعدل مسار التاريخ ، وفى انتظار أن تفعل ، يكفى تنفيذاً الوصـــايا .

وبنفس الطريقة تردد الأرثوذوكسية أنه لولاها لكـــان الشـــعب اليهودي قد اختفى منذ زمن طويل ، بعد أن ابتلعه الاندماج واغراءات الأيديولوجيات الكثيرة ، ولكن لعله بالعكس فان اليهودى يؤدى دوره خارج الجيتو ، واذ يتحرر من عالمه المستقل فانه يضيف الى العالم قليلا من حكمته وقليلا من ثقافته . واذ تحول الشعب اليهودى الى مجـــرد مجموعة غريبة الشأن من الناس الرافضين لكل الحـــركات الفكريـــة على مر العصور ، فانه لم يستمر باقيا الا بفضل الانغلاق وعداء الأغيار ، واذا كان قد استطاع البقاء رغم انقلابات الحضارات واضاف حجرا الى البناء الشامخ للانسانية ، فان ذلك تم بفضل تجاوزه للفراغ الأثيرى للايمـــان .

وعلينا أن نقرر هنا انه حتى فى الأكاديميات التلمودية الأكثر انغلاقاً، فان الأصولية اليهودية الدينية النقية تكتفى دائما بالاكتفاء على نفسها دون محاولة النيل من الآخر ، وهناك سببان هامان أحدهما بنيوى والآخر تاريخى وقد منع هذان السببان العقيدة الأصولية من الطغيان ، ويتمثل السبب الأول فى أن هذا التدين المطلق القـــائم على التوراة والتلمـــود يفترض مستوى أخلاقياً رفيعاً ، أما السبب الثانى فيتمثل فى أن اليهود ولألفى عام لم يكن لهم استقلال عسكرى ؛ وبالتالى لم يتمكنوا من بناء قوة غازية ، فالأقلية المضطهدة ليس فى مقدورها الا الاحتماء وراء حـــائط اخلاقى مغلق .

وللأسف ! فانه يكفى أن تعطى أرضا لهؤلاء المؤمنين وأن يمسكوا السلاح بأيديهم ، حتى يتحول البعض منهم الى أصوليين قوميين ويحاولوا فرض انفسهم بالقوة ، وحيث ان موجههم هو الله فانهم قادرون عـــلى ارتكاب كل التجاوزات ؛ لأن خلافاتنا الانسانية التافهة لا تساوى شيئا

أمام التدبير الالهى العظيم والذى يملكون وحدهم مفاتيحه وأسراره .
وان كانت اليهودية قد قدمت عبر القرون المثل الأخلاقى ، فان العنف هو الآخر كان جزءا من تاريخها ، ألم تعلمنا التوراة أن الاستيلاء على أرض الميعاد قد تم بالحرب ، وأن الملك داود كان يستخدم الاغتيالات لتحقيق مصالحه ؟ ففى اسرائيل وبعد الحصول على السيادة تستطيع الأصولية أن تتخذ أشكالا عدوانية .

ان الهدف الكبير ليهودية القرن الواحد والعشرين سيكون اذن محاولة اختراع المستقبل مع استمرار الاخلاص للماضى ، ففى الشتات يجب اعطاء مضمون لهوية تعرضت أسسها للخلل تحت تأثير الانقلابات فى المجتمع . فماذا سنصنع ليهودية خرجت من الجيتو ؟ وعندما يوقد الحسيديون شمعدان هائلا فى ميدان التروكاديرو ، فانه ليس من المؤكد أنهم يكملون فراغا فى الهوية وانما يستبدلون باليهودية الفاعلة فى الماضى يهودية مظهرية لا تحل شيئا ، ففى مجتمع متسامح من السهل اضافة علامة خارجية الى أخرى دون التعرض لأى خطر ودون مغزى .

ويبدو الأرثوذوكس فى باريس الكبرى فى الوقت الحالى أكثر اهتماما بمضاعفة رموز الانغلاق من اهتمامهم بخلق يهودية منفتحة على المجتمع ، وحيث انهم بصفة عامة لا يكترثون كثيرا بدولة اسرائيل ، فانهم يعلنون بفخر أنهم ورثة طوائف الشتات التى اختفت ، ويحلمون صراحة بالجيتو الماضى الذى كان يحافظ على اغراءات العالم العلمانى خارج الجدران ، ومع ذلك وعلى الرغم من مقاومتهم العنيدة فانهم على اتصال بالعالم الخارجى وتتحدد طبيعتهم على أساس حقيقة معروفة ، ولا يستطيعون بأى شكل مقارنة أنفسهم بالحريديين فى اسرائيل الذين يتكونون داخل حيز مغلق .

لقد كان لانتخاب نتنياهو فى اسرائيل عدة أسباب ؛ ولكنها تكشف قبل كل شىء كيف يلتف جزء من المجتمع حول قيم الخوف من السير للأمام ، والخوف من التحول الى «دولة مثل بقية الدول» . إن هذا التعبير الذى يكرره الصهيونيون الدينيون كثيرا هو أمر غير منطقى تماما ومثله مثل

انغلاق المعادين للصهيونية داخل الجيتو ليحموا أنفســـهم من المؤثرات الخارجية . ومن من الشعوب أو الدول تستطيع أو تريد أن تقول بفخر انها «مثل الآخرين»؟ فالكل لهم تاريخهم ولهم خصائصهم التى تحدد مصيرهم ، ومن الواضح أن كل شىء يمكن أن ينقلب عندما نضع يد الله أو انتظار مجىء المسيح المنتظر فوق المغامرات الانسانية ، حيث يمكن عندئذ تبرير التجاوزات بالقوة العليا الغالبة . ويستريح الأرثوذوكس فى اسرائيـــل فى مهمتهم الخلاصية الى الهوة المتزايدة بين المؤمنين والعلمانيين بعـــد حرب الأيام الستة ، فالدينيون يعتبرون أنفسهم بعدها الحراس الوحيدين للتقاليد والمحـــاربين المخلصـــين دون غيرهـــم . كتب البـــروفيسور الأرثوذوكسى آفراهام رافيتسكى من الجامعة العبرية فى أورشليم يقول : « قبل ١٩٦٧ كان الصهيونيون العلمانيون هم الذين فى السلطة وكانت تتكون منهم الطبقة السياسية الحـــاكمة وكـــانوا على راس الجيش ، أما الأرثوذوكس فكانوا حراس الشريعة والتوراة .. ولكن الاستيلاء على حائط المبكى جعل الدينيين هم حملة العـــلم لصهيونيـــة تضـــمن استمرارها المستوطنات الدينية فى « الأراضى » ... » (٢) .

وفى الوقت الحالى ، هدأ انتصار اليمين من مخـــاوف القـــوميين الاسرائيليين من احتمالات تهديد المستوطنات فى يهوذا والسامرة ، وكذلك يرضى أغلب الأرثوذوكس لأن استمرار السيطرة اليهودية على الأراضى التوراتية فى المرحلة السابقة على مجىء المسيح المنتظر ، يؤكد اقتراب نهاية الزمان وساعة الخلاص المرتقبة .

وماذا بعد ؟ فعندما ينتهى نتنياهو من مواقف الرفض الرمزيـــة ، وعندما تدفعه البراجماتية والضغط الأمريكى الى متابعة عملية السلام بشكل جدى ، سيزداد اليأس لدى القوميين والأرثوذوكس ساعتهـــا وتزداد ردود أفعالهم عنفا . فمن الذى سيسيطر على أولئـــك الذين يعتقدون أن الله ذاته هو الذى يأمرهم بالعصيان المدنى ، ولديهم مـــن التقاليد اليهودية ما يبرر أوهامهم ؟ ، فابن ميمون المفسر الكبير فى القرن الثانى عشر قال بأنه لو أصدر ملك اسرائيل أمراً يخالف قوانين التوراة ، فعلى المؤمن أن يرفض تنفيذ مثل ذلك الأمر .

وتزداد خطورة الأمر بسبب ان الأصوليين اليهود فى اسرائيل ، قد أظهروا قدرة غريبة على الاندماج ، فباستثناء قلة من المتشددين مثل حسيديى ساتمار وجماعة ناتورى كارتا ، فان التيارات الأرثوذوكسية المختلفة تتبع طريقا سيؤدى بها فى المستقبل الى أرضية مشتركة الا وهو اقتناعها جميعا بقرب مجىء المسيح المنتظر ، واذا كان حسيديو اللوبافيتش هم الأعلى صوتا فى القول بقرب مجىء المسيح المنتظر ، فان بقية الفئات الدينية قد اقتنعت بهذه الفكرة ، فاذا كان المخلص على وشك الظهور ، فان كل التناقضات الظاهرية تكون مبررة ؛ لأنها تهيىء العالم والأرض المقدسة لاستقبال مبعوث الله .

وعند الحريديين نجد اعادة نظر فى المعتقدات باعمال حد أدنى من الواقعية ، فالشباب لا زالوا يرفضون الصهيونية السياسية التى يعتبرونها معادية للدين ؛ ولكنهم خففوا من عدائهم المبدئى لوجود دولة اسرائيل ، وحتى فى بنى براك ، المدينة الدينية على مشارف تل أبيب ، يؤدى بعض الأساتذة الخدمة العسكرية ويفتخر طلبتهم ببطولة هؤلاء الجنود الأرثوذوكس .

أما الاتجاهات الأشد تطرفا من الصهيونية الدينية ، فتطبق النموذج الليتوانى فى الانغلاق على كل القيم العالمية والانطواء على معتقداتهم الخاصة ، وقد أداروا ظهورهم بتصميم الى الدينامية المجددة للصهيونيين الدينيين فى أول القرن وخلال العقود الأولى من نشأة دولة اسرائيل . وكان المطلوب وقتها هو التعبير عن فكر يهودى جرىء يتمشى مع الانقلابات التاريخية ، أما الآن فيجب تحقيق المصداقية برفض كل ما لا يطابق النموذج الأصلى وكل التاثيرات التى تعمل على تلويث النقاء الأصلى لليهودية ، وهذا الشكل المتطرف قد استطاع البقاء فى بعض الأحياء المغلقة تماما فى بروكلين ، ولكنه لم يترعرع الا فى اسرائيل سواء فى القطاعات الأرثوذوكسية المتطرفة أو فى المستوطنات الدينية فى يهودا والسامرة .

وهكذا ، فعلى عكس المتوقع فان فلسفة الجيتو تجد من الأسهل لها الاستمرار فى اسرائيل ، فالأصوليون بسبب تصميمهم على اقامة حضارة

يهودية أصيلة يتحصنون فى عالم من صنع خيالهم ، فهم على سبيـــل المثال يرفضون الاعتراف ، باستخدام التقويم المدنى ويحسبون الأيـــام والشهور والسنين طبقا للتقويم التوراتى القـــديم . ويساعـــد على استمرار عقلية المحاصرين هذه الشعور بأن الدياسبورا معرضة لكارثة فى المستقبل ، فالأرثوذوكس مقتنعون جميعا بأن اليهودية خارج اسرائيل ستندثر فى وقت قريب تحت تأثير الاندماج ومعاداة السامية ، وأنه لن تبقى سوى بعض الجزر الدينية المنعزلة ؛ وان واجبهم لذلـــك هو ان يحافظوا على النقاء اليهودى بكل عناد ، والا يسمحوا لأية قوة على الأرض أن تقف عقبة فى هذا الطريق المؤدى الى زمن مجىء المســيح المنتظر .

# هـــــوامش

## تمهيـــد

## الأوجـــه المختلفـــة للتوحيـــد

(١) Cite par Martine Gazlan, Pour comprendre l'integrisme islamique, Ed. Albin Michel 1995.

(٢) سفر التثنية ، الاصحاح ٣٠ العدد ١٩ ..

(٣) Bernatd Lazare, l'Antisemitisme sot histoire et ses causes, Leon Chailley editeur, 1894. Reedite aux editions de la Differences, 1982.

(٤) على العكس من الوضع عند الكاثوليك فان التعبير « تقليدى » يطلق عند الطائفة اليهودية على أولئك الذين يمارسون الدين باعتدال .

(٥) Djura, La Saison des narcisses, Ed. Michel Lafon, 1993.

(٦) Ilan Greilsammer, Israel, Les hommes en noir, Presses de la Fondation national de sciences politique.

## الفصل الأول

## نهاية العالم للسيكاريين ( حملة الخناجر ) أو جذور الأصولية

(١) Interview au Figaro litteraire, 16 septembre 1991.

(٢) سفر الخروج ، الاصحاح ٣٢ العدد ٢٧٠ .

(٣) Cf. Jacques Pirenne La Societe hebraique d'apres la Bible, Ed. Albin Michel, 1965.

(٤) Cite par Liebman et Don Yehiya Judaism and Civil Religion in Israel. Judaism and Political Culture in the Jewish State, University of California Press, Berkeley, 1983.

(٥) Cf. Marius Schattner, Histoire de la droite israelienne Ed. Complexe, 1991.

## الفصل الثانى

## العودة الى الجيتو أو صعود الأرثونكسية فى فرنسا

(١) Cf. François Pietri, Napoleon et les Israelites, Ed. Berger Levrault, 1965.

(٢) In Simon Schwarzfuchs, Les Juifs de France, Ed. Albin Michel, 1975.

(٣) Ed. Belfond, 1987.

(٤) In Cactus, mensuel du mouvement de jeunesse Tagar, Janvier 1995.

(٥) تصريح لمجلة لنفور ماسيون جويف عدد أبريل ـ مايو ١٩٩٦ ، وقد نشر شمويل تريجانو مؤخرا فى منشورات ستوك « منفى بلا عودة ؟ » تأملات بشأن الطائفة اليهودية فى فرنسا .

(٦) منشورات دو سيرف ١٩٩٢ .

(٧) تصريح لجريدة الموند فى ٢٩ ديسمبر ١٩٨٧ .

(٨) اقتباس النوفيل أوبسيرفاتير فى ٩ يونيو ١٩٩٤ .

(٩) فى اكتواليتيه جويف فى ١٦ مايو ١٩٩٦ .

## الفصل الثالث

## لنتقابل العام القادم فى أورشليم
## أو اسرائيل كما ترى من فرنسا

(١) سفر أشعيا الأصحاح الحادى عشر العدد ١٢ .

(٢) Andre Spire, Souvenirs a batons rompus, Ed. Albin Michel, 1962.

(٣) تصريح لمجلة اكتواليتيه جويف فى أول فبراير ١٩٩٦ .

(٤) اقتباس جريدة جيروزاليم بوست فى ٢٨ يناير ١٩٩٦ .

(٥) فى آلبرت المجلة الشهرية لهيرو فرنسا فى ديسمبر ١٩٩٢ .

(٦) وفى نفس الفترة ، أى خلال سنتين ، اختار حوالى ثلاثة آلاف يهودى فرنسى من جميع الاتجاهات السياسية العيش فى اسرائيل .

## الفصل الرابع

## أبواق صهيون أو الأرثوذكس فى اسرائيل

(١) اقتباس اكتواليتيه جويف فى ٢١ ديسمبر ١٩٩٥ .

(٢) عدد أول أغسطس ١٩٩٥ .

(٣) فى ١٨٩٧ أعلن ٦ر٩٦٪ من اليهود الروس أن اليديش هى لغتهم الأم ، وفى تعداد ١٩٢٦ كان ١ر٧٦٪ من يهود أوكرانيـا و ١ر٩٠٪ من يهود روسيا البيضاء و ٤ر٤٨٪ فقط من يهود روسيا المركزية يتحدثونها . وفى بولندا حيث كانت لغة الكلام هى معيار

القومية سجل ٧٢٫٨٪ ممن يعتنقون الديانـة اليهودية على أنهم من القوميـة اليهودية فى ١٩٢١ ، أما فى المجر فى نفس الفترة فقد أعلن ٤٫٨٪ فقط من اليهود أن اليديش هى لغتهم الأم · وقبل الحرب العالمية الثانية بخمس سنوات كتب البروفيسور آرثر روبين المسئول عن الدراسات الاجتماعية اليهودية فى الجامعة العبرية بالقدس يقول : « لازالت اليديش سائدة بين الجيل القـديم فى حين يتبنى الشـباب بسرعة اللغـة الوطنيـة » ·
ـ اقتباس من « اليهود فى العالم الحديث » الناشر بايو فى ١٩٣٤ ·

(٤) In Le Juif errant est arrive, Ed. Albin Michel, 1930.

(٥) كان هذا تعليق الحاخام صوفر فى ١٨٣٣ عندما كان يقدم شكر الطائفة فى بريسبورج للحكومة بشأن اعتزامها تحرير اليهود ( اقتباس هليل ليختنشتاين فى كتاب « الفكر حول الفقر » المنشور بالعبرية فى كولوميا فى غاليسـيا فى ١٨٨٠ ) ·

(٦) من طرق الحياة أو السلام وهى مقـالات وعظات للحاخام حـاييم اليـازار شابيرا منشورة بالعبرية فى مونكاتش فى ١٩٤٠ ·

(٧) درست مارتين تيميست هذه الظاهرة وبصفة عامة الصهيونية الدينية بدقة شديدة فى رسالة غير منشورة عنوانها ( الاتجاهات القتالية الدينية الجديدة فى اسرائيل ) ، جامعة باريس فى نانتير فى يناير ١٩٩٦ ·

(٨) تصريح للجيروزاليم ريبورت فى ٢٤ فبراير ١٩٩٤ ·

(٩) رقم أعطاه ايتامار فارهافتيج الأستاذ بجامعة بار ايلان وياكوف شافس مدرس ويصلان من ذلك الى النتيجة « من الممكن وجود دولة متمشية مع التوراة » من جريدة هآرتس فى ٢٤ نوفمبر ١٩٩٥ ·

(١٠) من مقال لنيتى جروس عنوانه « هيد تو بلاك » ( الأتجاه الى الأسود ) منشور فى مجلة الجيروزاليم بوست فى ٢٣ فبراير ١٩٩٦ ·

## الفصل الخامس

## طريق ابراهام او الصهيونيون الدينيون

(١) فيما يتعلق برابين يشير دافيد اكسلرود الى الهجرة على الالتالينا ، أما بشأن بنيامين نتنياهو فالصحافة الاسرائيلية التى تهتم كثيرا بالفضائح ، قد كشفت الكثير من خياناته الزوجية ·

(٢) سفر تكوين الأصحاح الثالث عشر العددان ١٤ و ١٥ ·

(٣) من « باج ليبر » ( صفحات حرة ) ٢٩ اكتوبر ١٩٠٤ ·

(٤) In 'Sionisme et Messianisme' Cahiers de l'Institut pour l'etude du monotheisme, Ed. Synthesis, Geneve. 1954.

(٥) منشورات دو سى ١٩٦٨ ·

(٦) اقتباس من رياليته فى نوفمبر ١٩٩٣ ·

(٧) خلال عام ١٩٩٥ انتقل ٧٧٠٠٠ يهودى للمعيشة فى اسرائيل وطبقا لاحصاءات وزارة الاستيعاب الاسرائيلية ، كان ٦٥ الفا منهم من الاتحاد السوفيتى السابق ، و ٣٣٥٠ من أوروبا أغلبهم من الفرنسيين ، و ٢٧٠٠ من الولايات المتحدة ، و ١٧٢٠ من أثيوبيا ، و ٩٥٠ من الارجنتين ، و ٣٠٠ من جنوب أفريقيا ، و ٢٠٠ من البرازيل ٠

(٨) تصريح للانفور ماسيون جويف فى ١٩٩٥ ٠

(٩) Cf. Simon Epstein, Les Chemises Jaunes, Ed. Calman Levy 1990.

(١٠) Cite par Chalom Cohen in Dieu est un baril de poudre. Ed. Calman-Levy, 1989.

(١١) اقتباس أكتواليتيه جويف فى ٢٥ يناير ١٩٩٦ ٠

(١٢) من ألبرت جريدة الهيرو دى فرانس عدد يونيو ـ يوليو ١٩٩٤ ٠

## الفصل السادس

## دبابات الايمان أو انحراف اللوبافيتش

(١) عدد ١١ مارس ١٩٩٦ ٠

(٢) من أوفير المجلة الشهرية للمتحدثين بالفرنسية فى اسرائيل وحسب تعاليم الحاخام فى أبريل ١٩٩٦ ٠

(٣) مقتبسة فى أسبوعية الجيماينر جورنال فى نيويورك ، فى ٢٦ أبريل ١٩٩٦ ٠

(٤) In Les Grands Courants de la Mystique Juive, Ed. Payot, 1946.

(٥) تصريحات موجهة الى موشيه كاتساف وزير النقل فى حكومة اسحق شـامير ونشرت فى مجلة بيت ماشيح فى مارس ١٩٩٥ ٠

(٦) من الجيروزاليم بوست فى ١١ مارس ١٩٦٢ ٠

(٧) اقتباس الجويش ويك فى نيويورك فى ١٥ ديسمبر ١٩٩٥ ٠

(٨) عدد ٤ يناير ١٩٩٦ ٠

## الفصل السابع

## الكلاشنيكوف ونير الرب أو المتطرفون الأمريكيون

(١) ٩ يوليو ١٩٩٣ ٠

(٢) معلومات نقلا عن الجويش ويك فى نيويورك فى ٨ أبريل ١٩٩٤ ٠

(٣) تصريح لجريدة نيويورك نيوزداى فى ١٠ يناير ١٩٩٤ ٠

(٤) اقتباس من تقرير ١٩٩٥ لعصبة معاداة التشهير فى نيويورك بعنوان ( التطرف باسم الدين : السجل العاصف لحركة كاهانا وخلفاؤها ) ٠

(٥) اكثر من نصف مليون اسرائيلى هاجــروا من اسرائيــل منذ ١٩٤٨ أولا الى الولايات المتحدة ( ٣٧٥٠٠٠ ) وكندا ( ٤٠٠٠٠ ) وفرنسا ( ٤٠٠٠٠ ) والمملكة المتحدة ( ٣٠٠٠٠ ) وجنوب أفريقيا ( ١٠٠٠٠ ) ٠ ( المصدر : التقرير الديموجرافى الذى أعده آنى بيكير للمؤتمر اليهودى العالمى ونشر فى الجيروزاليم بوست ، الطبعة الفرنسية فى ٢٠ فبراير ١٩٩٦ ) ٠

(٦) التعبير ماخوذ عن ماكس نورداو وهو أديب نمساوى مقيم فى فرنســا وصديق لتيودور هرتزل ومن أوائل الصهيونيين ، كتب يقول : « ان لدينا الآن عددا كبيرا من العمال اليهود ؛ ولكن الأصحاء نسبيا والذين يقضون اليوم كيفما اتفق وعند حلول المساء يعتبرونها معجزة أن يجدوا بعض اللقيمات لهم ولمن يعولون ٠ انى أؤكد أن اللوفتمينش هو طراز يهودى أساسا ( ٠٠٠ ) وهو أمين تماما ويريد أن يعمل وقادر على ذلك ولكنه محروم بشكل شبه رسمى من أى عمل منتج ٠ وعدد كبير من « الرجال فى الهواء » يكونون شعبا فى الهواء ، والحقيقة أن الشعب اليهودى هو شعب فى الهواء : وذلك بالضبط لأنه لا يمتلك أرضية اقتصادية متينة ويعيش كالرجل فى الهــواء من يوم الى يوم بفضــل المعجزات والصدف العجيبة لا بفضل العمل المنتظم المضمون » ٠ ( من « كتابات صهيونية ماكس نورادو ، الناشر مكتبة ليبشوتس فى ١٩٣٦ ) ٠

(٧) فى Tribute to rabbi Meir Kahane, edite par Kahane Chai, Brooklyn, 1990.

(٨) اقتباس من تريبون جويف فى ٢٥ يناير ١٩٩٦ ، ويقــدر السيد برجمان أن عدد اليهود فى الولايات المتحدة بأكملها عام ٢٠٧٦ سيكون ٩٤٤٠٠٠ ، وهو تقدير تعارضه الأستاذة فيفيان كلاف من جامعة ديلاوير والتى تقدر أن اليهود سيتناقصون بمعدل ١٥٪ فى السنة ليصل عددهم بعد خمسين سنة الى أربعة ملايين ، وتؤكد « ان معــدل خصوبة منخفض مع تركيبة سكانية مرتفعة السن ومعدل استيعاب مرتفع جدا ستؤدى بلا شك الى انخفاض عدد السكان » ٠

(٩) اقتباس من انفورماسيون جويف فى مارس ١٩٩٦ ٠

(١٠) In Coalition, News and Currents in Agudath Israel of America and the World of Torah Action, New York, avril 1996.

(١١) « Rupture and Reconstruction : The Transformation of Contemporary Orthodoxy » par Haym Soloveitchik. Tradition, 1994.

## الفصل الثامن

## فى أعقاب المسيح المنتظر أو التعصب المعادى للصهيونية

(١) خطاب مؤرخ ١١ أغسطس ١٩٤٤ اقتباس ايمانويل هيمان فى كتاب « معســكر نهاية العــالم » ، الناشر فافر بلوزان ١٩٨٤ ٠

(٢) من تقرير ماركوس فيلر شميدت فى ١٥ يونيو ١٩٤٥ محفوظ بأرشيف الجوينت بنيويورك ٠

(٣) من « أيخمان فى المجر » وثائق نشرها ينوليفى ، الناشر بانونيا فى بودابست فى ١٩٦١ ·

(٤) بعد الحرب وجه نقد شديد لريسو كاستنر لأنه أعطى الأولوية لانقاذ عائلته وأصدقائه السياسيين ، وجرت مناقشات كثيرة فى اسرائيل حول هذه القضية كما نظرتها المحاكم فى قضايا بلا نهاية ، وفى ١٩٥٧ اغتيل كاستنر رميا بالرصاص فى أحد شوارع تل أبيب ·

(٥) اقتباس لنادلر فى « التقوى والسياسة : قضية حاخام ساتمار » فى جودايزم ١٩٨٢ المجلد ٣١ ·

(٦) مقتبس فى الجيروزاليم ريبورت فى ٢٠ يونيو ١٩٩٤ ·

(٧) روث بلاو حراس المدينة ، قصة حرب مقدسة · الناشر فلاماريون ١٩٧٨ ·

(٨) سفر تكوين الأصحاح السادس والعشرون ، العدد ١٢ ·

## خـــــاتمة

## المستقبل من منظــور المــاضى

(١) تقرير مقدم للجمعية العامة للمؤتمر اليهودى العالمى المنعقد فى أورشليم فى يناير ١٩٩٦ ، وبحسب هذه الدراسة فان اسرائيل هى البلد الوحيد تقريبا الذى يزداد فيه عدد اليهود حتى بدون حسبان الهجرة ، والبلدان الأخرى هى كندا التى تضاعف فيها عدد اليهود خلال ٣٠ عاما والمانيا حيث تضاعف عددهم خلال ٢٠ عاما وبناما وهونج كونج ، وفى هذه الحالات ترجع الزيادة الى الهجرة ، وفى كل مكان آخر ينخفض عدد اليهود ·

( منشور فى أكتواليتيه جويف فى ٨ فبراير ١٩٩٦ ) ·

(٢) من الجويش كرونيكل فى أول ديسمبر ١٩٩٥ ·

# ثبت بالكلمات العبرية

**اجودات يسرائيل** : حرفيا « اتحاد اسرائيل » تأسس فى ١٩٠٩ فى ألمانيا على أساس دينى معاد للصهيونية ، وأثناء الحرب العالمية الثانية اتخذ موقفا أكثر تساهلا تجاه هجرة اليهود الى فلسطين ، وبعد ١٩٤٨ دخل الكنيسيت مع اعتبار نفسه حزبا غير صهيونى ، ويعتبر أجودات يسرائيل اليوم واحدا من أهم الأحزاب الأرثوذوكسية المتطرفة .

**أرثوذوكسية** : اسم عام يضم كل الحركات اليهودية الدينية المتطرفة .

**أرتس يسرائيل** : حرفيا « أرض اسرائيل » وهى تعنى فى المفهوم الدينى اسرائيل كما وردت فى التوراة دون التقيد بالدولة الحديثة .

**اشكيناز** : ( وجمعها أشكينازيم ) وتعنى حرفيا « ألمانى » وهو يطلق على اليهود الذين نشأوا فى البلاد الأوروبية ( ألمانيا والالزاس وأوروبا الوسطى ) والملاحظة الغريبة ان اليهود ينسبون أنفسهم إلى المانيا وأسبانيا ( انظر سيفاراد ) وهما البلدان اللذان تعرضا فيهما الى أشد المعاناة .

**بوند** : اتحاد العمال اليهود فى روسيا وبولندا وليتوانيا ، وهى حركة يهودية ثورية كبرى تأسست فى ١٨٩٧ فى اطار الحركة الاشتراكية السرية الروسية .

**بيتار** : الحروف الأولى من العبارة العبرية بريث هاتوار الشيم يوسف ترامبلدور ، أى اتحاد الشبيبة على اسم يوسف ترامبلدور ، وهى حركة للشبيبة الصهيونية اليمينية ( ترامبلدور بطل وطنى قتل فى ١٩٢٠ أثناء نضاله من اجل فلسطين يهودية ) .

**تساهال** : الحروف الأولى للكلمات العبرية تسانا هاجانا ليسرائيل أى جيش الدفاع الاسرائيلى .

**تقليدية** : التيار الذى يضم اغلبية اليهود ، ويمثل الطريق الوسط بين اللبرالية والأرثوذوكسية .

**تلمود** : ( من الفعل لاماد بمعنى يدرس ) ، وهو عمل كبير كتب بين القرنين الأول والخامس ( بعد الميلاد ) ، وهو يجمع التقاليد الشفوية التى تلقاها موسى على جبل سيناء وكذلك تعاليم وتعليقات الأساتذة ، وهو يضم الميشنا والجيمارا ( ارجع لهاتين الكلمتين ) ، وتوجد صورتان من الجيمارا وهما تلمود أورشليم وتلمود بابل ، وكان للقصص والمناقشات القانونية والأمثال والمبادىء الأخلاقية التى وردت فى التلمود أثر حاسم على الفكر اليهودى فى المرحلة اللاحقة للتوراة .

**توراة** : حرفيا « التعاليم » وهى تضم بالمعنى الضيق الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى ( التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية)، وبمعنى أوسع تضم التعاليم الأساسية لليهودية بما فى ذلك التقاليد والتعليقات التى أضافها الأساتذة فيما بعد . وتقول التقاليد ان الله أعطى لموسى على جبل سيناء التوراة المكتوبة وكذلك التوراة الشفوية ، ويشرح ابن ميمون أحد كبار المفسرين فى القرن الثانى عشر الأمر قائلا : « لقد أعطى الله لموسى كل وصية ومعها تفسيرها ، فكان ينطق له الوصية ثم يشرح له كل ما يتعلق بها وعند نقل التوراة الى الشعب كتبت الوصية ولكن تفسيرها نقل شفاهة » .

**تيشوفا** : حرفيا « اجابة » وهى تعنى بالنسبة لليهودى العودة الى الدين بعد أن كان بعيدا عنه أو التوبة .

**جالوث :** نفى الشعب اليهودى أو السبى .

**جوى :** ( وجمعها جوييم ) حرفيا « أمة » وهى تعنى فى الاستعمال الدارج غير اليهود أو الأغيار .

**جيمارا :** ( وهى تعنى فى نفس الوقت « ينهى » و « يعلم » ) وهى العمل الذى يضم المناقشات والتفسيرات للميشنا ( انظر هذه الكلمة ) ، وهى جزء من التلمود .

**حائط المبكى :** هـو الحـائط الذى تقول التقاليد انه آخر ما بقى من الهيكل الثانى فى أورشليم ، وان أحجاره السفلى تنتمى أصلا للهيكل الأول ، وهو فى واقع الأمر الأساس الغربى لفناء الهيكل الذى بناه الملك هيرودس . وتحكى أسطورة أنه عند بناء هيكل الملك سليمان كـلفت الفئات المختلفة من السكان بتنفيذ الأعمال وكان الحائط الغربى مـن نصيب الفقراء وهؤلاء لم يكن باستطاعتهم استئجار العـمال فقـاموا بالبناء بأنفسهم ، وعندما التهمت النار الهيكل فيما بعد حمت الملائكة هذا الحائط قائلين : « ان نتاج عمل الفقراء هذا لن يدمر » . وقد سمى هذا الحائط « حائط المبكى » ؛ لأن اليهود يبكون بجواره منذ قرون عـلى هـدم أورشـليم .

**حريد :** ( وجمعها حريديم والصفة منها حـريدى ) وتعنى حرفيـا « المرتعشون » أى الذين يرتعشون خوفا من الله وتستعمل لوصـف اليهود الأرثوذوكس المتطرفين وخاصة فى اسرائيل وليسوا صهيونيين .

**حسيد :** ( جمعها حسيديم ) وتعنى حرفيا « الأتقياء » وهم أتباع الحسيدية وهى التيار الذى أسسه فى بولندا فى القرن الثامـن عشر اسرائيل بعل شيم توف وهو يركز على الحس الدينى بالفـرح والترنيم والرقص أكثر من المعرفة الباردة للنص المقدس ، وتضم الحسيدية عدة مدارس تتجمع كل منها حول حاخام هو قائدها المطلق والـذى تنسب اليه قدرات خارقـة .

**ديجيل هاتوراه :** حرفيا « علم التوراة » وهو حزب دينى تأسس فى ١٩٨٨ واتجاهه أشكينازى ليتوانى .

**راف :** ( وجمعها رافانيم ) وهو اللقب الذى يطلق على معلم كبير ، وفى تعبيرات الأرثوذوكس يقابل أو يعارض « حاخام » وهو اللفظ الذى يطلق على الموجه الروحى لجماعة تقليدية .

**ساتمار :** حركة حسيدية معادية للصهيونية بعنف ، ونشأت فى مدينة ساتو مارى الرومانية حاليا ، وكانت قبل ذلك فى المجر وكان اسمها ساتمار .

**سيفاراد :** ( وجمعها سيفارديم ) وتعنى حرفيا « اسبانى » وهو يطلق على اليهود الذين نشأوا فى بلاد الشرق وافريقيا الشمالية وهم الذين طردوا من اسبانيا فى ١٤٩٢ ( مع عرب الأندلس — المترجم ) فاستقروا حول حوض البحر المتوسط .

**شاس :** وهى الحروف الأولى من الكلمات العبرية « السيفارديم المحافظون على التوراة » وهو حزب دينى اثنى تأسس فى ١٩٨٤ .

**شبات :** السبت ، وهو اليوم السابع فى الأسبوع اليهودى ، أى اليوم الذى استراح فيه الرب بعد خلق العالم ، ويبدأ من ساعة الغروب يوم الجمعة حتى ساعة الغروب يوم السبت . وهو يوم مقدس لليهودى المتدين لا يجوز أن يقوم فيه بأى عمل مثل الكتابة أو ركوب سيارة بل ولا حتى أن يوقد نارا ... الخ .

**شتيتل :** وتعنى حرفيا باليديش « المدينة الصغيرة » ، وهى القرى اليهودية فى أوروبا الوسطى .

**شولحان عاروخ :** وتعنى حرفيا « المائدة المعدة » وهى مجموعة المبادىء والقواعد التى تنظم حياة اليهودى المتدين ، وأعدها فى أوائل القرن السادس عشر جوزيف كارو ، وهو معلق ولد فى اسبانيا وعاش فى صفد بفلسطين .

**شواح** : وتعنى حرفيا « الكارثة » وتطلق على الحل النهائى وهو الابادة المنظمة لليهود على يد النازى ، ويستعمل هذا التعبير بدلا من « ابادة الجنس » أو « الهولوكوست » ؛ لأن التعبير الأول عام جدا ، والتعبير الثانى غير مناسب ؛ لأن كلمة هولوكوست تعنى ذبيحة لله ، اما الكلمة العبرية التى تستخدم على نطاق واسع فتحدد بدقة مصير اليهود تحت حكم الرايخ الثالث .

**عاليا** : وتعنى حرفيا « الصعود » والمقصود « الصعود » لاسرائيل للاقامة بها . ( والأصل فى تعبير الصعود هو الصعود الى أورشليم ، حيث كانت مبنية على جبل صهيون ويصعد الذاهب اليها الجبل — المترجم ) .

**كاشير** : كل ما يسمح دينيا بأكله ( كاللحم والنبيذ الخ ) ، أو باستخدامه ( مثل الكتب وملفات التوراة الخ ) .

**كاشروت** : القواعد التى تحدد ما هو كاشير .

**كنيسيت** : وتعنى حرفياً « التجمع » ، وهو البرلمان الاسرائيلى والذى يضم مائة وعشرين عضوا وينتخب كل أربع سنوات ، ويعطى نظام التمثيل النسبى المطلق فى اسرائيل اهمية غير عادية للأحزاب الصغيرة ، مما سمح لها فى الماضى بتحديد الأغلبيات أو اسقاطها ، ويساعد نظام انتخاب رئيس الوزراء بالتصويت العام والذى اقر فى ١٩٩٦ على التقليل من ذلك النفوذ .

**كيبا** : ( وجمعها كيبوت ) هى الطاقية التى يغطى اليهود المتدينون بها رؤوسهم اجلالا لله ، وهى تعبر كذلك عن الانتماء الى تيار معين ، فالأرثوذوكس يرتدون كيبا سوداء كبيرة ، أما الصهيونيون المتدينون فيرتدون كيبا مشغولة وملونة ، ويرتدى إتباع الأرثوذوكسية الجديدة الامريكية كيبا صغيرة من الجلد الأسود .

**كيبور** : عيد الغفران وهو مخصص للصلاة والصيام .

**ليبرالية** : تيار يميل الى تطويع قوانين الشريعة اليهودية لتتلاءم مع العالم الحديث ، فبعض الصلوات تتلى بالفرنسية ، ورسمت بعض النساء حاخامات ، وخففت بعض قواعد الكاشروت ، وكذلـك بعض قواعد راحة السبت ، وهو تيار اقلية في فرنسا واسرائيل ، ولكن التيار المناظر في الولايات المتحدة ويدعى الريفورم تيار كبير .

**لوبافيتش** : هي الحركة الحسيدية حبد ( الحـروف الأولى مـن الكلمات العبرية حيسيد وبينا ودات وتعنى الحكمة والذكاء والمعرفة ) وقد تأسست واستمرت لمدة طويلة في مدينة لوبافيتش قـرب فيتبسك بروسيا البيضاء ومقرها منذ ١٩٤٠ في بروكلين بنيويورك .

**ليتواني** : تيار أرثوذوكسي مصدره ليتوانيا وله الأغلبية في الأكاديميات التلمودية اليوم ، ويركز على الدراسة المدققة للنصوص واستخـدام المنطق بعيدا عن الغيبية ، وهو يعارض الحسيدية .

**ليكود** : اتحاد اليمين الاسرائيلي الذي تأسس في ١٩٧٣ .

**مزراحي** : اختصار الكلمات العبرية مركز روحاني ( بنفس المعنى بالعربية ) وهي حركة صهيونية دينية وعقدت اول مؤتمر عالمي لها في بريسبورج — حاليا براتسلافا — في ١٩٠٤ وانشأت بعد ذلـك بعشر سنوات فرعا فلسطينيا في يافا . وقد حلت في ١٩٦٤ لتندمج في الحزب الجديد المفدال وهو حزب وطني ديني .

**مفدال** : الحزب الوطني الديني الذي تأسس في ١٩٦٤ .

**ملح** : وهي الكلمة العربية ، وهو الحي اليهودي في مراكش ولا شك في أنه سمي كذلك بسبب ضريبة الملح التي كانت مفروضة على الطائفة اليهودية .

**ميتسفا** : ( وجمعها ميتسفوت ) وصية الله في التوراة ، وقد أعطى الله اوسى ٦١٣ ميتسفوت على جبل سيناء .

**ميشنا :** ( من الفعل شانا أى يتعلم ) مجموعة القوانين التوراتية والتفسيرات والتعليقات ، التى طورها ورتبها حاخام الجليل يهوذا هناسى ( الذى عاش من ١٣٥ حتى ٢٢٠ م ) وتعتبر جزءا من التلمود .

**ناتورى كارتا :** تعبير أرامى يعنى « حراس المدينة » وهى جماعة أرثوذوكسية متطرفة فى أورشليم وهى على رأس محاربة الصهيونية .

**هاجانا :** وتعنى حرفيا « الدفاع » وهى حركة الدفاع اليهودية فى فلسطين قبل انشاء الدولة ، وهى تابعة للتيار العمالى .

**هالاخا :** مجموعة التعاليم والشرائع اليهودية .

**يشيفا :** ( وجمعها يشيفوت ) وتعنى حرفياً « مكان الجلوس » وهى الأكاديميات التلمودية ومركز الدراسة الدينية والمركز الأساسى للحياة الأرثوذوكسية ، وفيها تتكون التيارات والاتجاهات ويظهر الأساتذة الكبار ، وحيث ان الجنسين مفصولان تماما فى التعليم والصلاة فان اليشيفوت مخصصة للرجال فقط ، وتحت تأثير الحداثة التى بدأت تمس الأوساط الأرثوذوكسية بدورها ، ظهرت أخيراً بعض اليشيفوت المخصصة للسيدات موزعة فى أنحاء العالم ولكن تعليمها اقل عمقا .

**يهوذا والسامرة :** هو الاسم الذى يطلقه اليمين الاسرائيلى والحركات الدينية اليوم على الضفة الغربية التى احتلتها اسرائيل بعد حرب الأيام الستة فى ١٩٦٧ ، ويوضح تغير التعبير على مدى السنين التغير فى العقلية فتعبير « الأراضى المحتلة » وهو الذى كانت تستعمله جولدا مائير على الأقل حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، يدل على وضع مؤقت سيتم تعديله عند حدوث مفاوضات شاملة حول السلام ، وبعد بضع سنوات صار الحديث عن « المناطق » دون تحديد وهو تعبير غامض يسمح بكل التفسيرات ، وادى انتصار اليمين فى ١٩٧٧ الى اشاعة استعمال الاسم المزدوج يهودا والسامرة وتم بذلك ادخال الحيز الجغرافى فى التاريخ اليهودى . وآخر لعبة هى استخدام التعبير « يشع » وهو اختصار بالعبرية ليهودا والسامرة وغزة وبذلك يعيد زرع المنطقة فى دولة اسرائيل الحديثة .

# كشـــاف

( ب )



( ت )

( د )



( ر )



( ز )



( س )



( ش )

اقرأ في هذه السلسلة

برتراند رسل
**احلام الاعلام وقصص اخرى**

ى· رادو نكاياوم جابوتنسكى
**الالكترونيات والحياة الحديثة**

ألدس هكسلى
**نقطة مقابل نقطة**

ت· و فريمان
**الجغرافيا فى مائة عام**

رايموند وليامز
**الثقافة والمجتمع**

ج· فوربس و ا· ج· ديكستر
**تاريخ العلم والتكنولوجيا**
**٢ ج**

ليستردبل ى
الأرض الغامضة

والتر آلن
**الرواية الانجليزية**

لويس فارجاس
المرشد الى فن المسرح

فرانسو دوماس
**آلهة مصر**

· قدرى حفنى واخرون
**الانسان المصرى على الشاشة**

أولج فولكف
**القاهرة مدينة الف ليلة وليلة**

هاشم النحاس
**الهوية القومية فى السينما**

ديفيد وليام ماكدوال
**مجموعات النقود · صيانتها**
**تصنيفها – عرضها**

عزيز الشوان
**الموسيقى تعبير نغمى ومنطق**

د محسن جاسم الموسوى
**عصر الرواية**

ديلان توماس
**مجموعة مقالات نقدية**

جون لويس
**الانسان ذلك الكائن الفريد**

جول ويست
**الرواية الحديثة · الانجليزية**
**والفرنسية**

د· عبد المعطى شعراوى
**المسرح المصرى المعاصر**
**أصله وبدايته**

انور المعداوى
**على محمود طه الشاعر والانسان**

بيل شول وادبنيت
القوة النفسية للأهرام

د صفاء خلوصى
**فن الترجمة**

رالف ئى ماتلو
**تولستوى**

فكتور برومبير
**ستندال**

فيكتور هوجو
رسائل واحاديث من المنفى

فيرنر هيزنبرج
**الجزء والكل « محاورات فى مضمار**
**الفيزياء الذرية »**

سدنى هوك
**التراث الغامض · ماركس**
**والماركسيون**

ف· ع· ادينكوف
**فن الأدب الروائى عند تولستوى**

هادى نعمان الهيتى
**ادب الأطفال « فلسفته ، فنونه**
**وسائطه »**

د نعمة رحيم العزاوى
احمد حسن الزيات كاتبا وناقدا

د فاضل احمد الطائى
اعلام العرب فى الكيمياء

جلال العشرى
**فكرة المسرح**

هنرى باربوس
**الجحيم**

السيد عليوة
**صنع القرار السياسى فى**
**منظمات الادارة العامة**

جاكوب برونوفسكى
**التطور الحضارى للانسان**

د· روجر ستروجان
**هل نستطيع تعليم الاخلاق**
**للأطفال ؟**

كاتى ثير
**تربية الدواجن**

ا· سبنسر
**الموتى وعالمهم فى مصر**
**القديمة**

ناعوم بيتروفيتش
**النحل والطب**

جوزيف داهموس
**سبع معارك فاصلة فى العصور**
**الوسطى**

د· لينوار تشامبرزرايت
**سياسة الولايات المتحدة**
**الأمريكية ازاء مصر**

د· جون شندلر
**كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى**
**السنة**

بيير البير
**الصحافة**

د· غبريال وهبة
**اثر الكوميديا الالهية لدانتى**
**فى الفن التشكيلى**

د· رمسيس عوض
**الأدب الروسى قبل الثورة**
**البلشفية وبعدها**

د· محمد نعمان جلال
**حركة عدم الانحياز فى عالم**
**متغير**

فرانكلين ل· باومر
**الفكر الأوربى الحديث ٤ ج**

شوكت الربيعى
**الفن التشكيلى المعاصر فى**
**الوطن العربى**

د محى الدين احمد حسين
**التنشئة الأسرية والأبناء الصغار**

ج· دادلى اندرو
**نظريات الفيلم الكبرى**

جوزيف كونراد
**مختارات من الأدب القصصى**

د· جوهان دورشنر
**الحياة فى الكون كيف نشأت**
**واين توجد**

طائفة من العلماء الأمريكيين
**مبادرة الدفاع الاستراتيجى**
**حرب الفضاء**

د· السيد عليوة
**ادارة الصراعات الدولية**

د· مصطفى عنانى
**الميكروكمبيوتر**

مجموعة من الكتاب اليابانيين القدماء
والمحدثين
**مختارات من الأدب اليابانى**
**« الشعر – الدراما – الحكاية –**
**القصة القصيرة »**

جابرييل باير
**تاريخ ملكية الأراضى فى مصر الحديثة**

انطونى دى كرسبنى وكينيث مينوج
**اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة**

دوايت سوين
**كتابة السيناريو للسينما**

زافيلسكى ف. س
**الزمن وقياسه ( من جزء من البليون جزء من الثانية وحتى مليارات السنين )**

مهندس ابراهيم القرضاوى
**اجهزة تكييف الهواء**

بيتر رداى
**الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى**

جوزيف داهموس
**سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى**

س. م. بورا
**التجربة اليونانية**

د. عاصم محمد رزق
**مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية**

رونالد د. سمبسون ونورمان د. اندرسون
**العلم والطلاب والمدارس**

د. انور عبد الملك
**الشارع المصرى والفكر**

وات وتيمان روستو
**حوار حول التنمية الاقتصادية**

فرد . س. هيس
**تبسيط الكيمياء**

جون لويس بوركهارت
**العادات والتقاليد المصرية من الأمثـال الشعبيـة فى عهد محمد على**

الان كاسبيار
**التذوق السينمائى**

سامى عبد المعطى
**التخطيط السياحى فى مصر بين النظرية والتطبيق**

فريد هويل وشاندرا ويكراما سينج
**البذور الكونية**

حسين حلمى المهندس
**دراما الشاشة ( بين النظرية والتطبيق ) للسينمـا والتليفزيون ٢ جـ**

روى روبرتسون
**الهيروين والايدز واثرهما فى المجتمع**

دور كاس ماكلينتوك
**صور افريقية . نظرة على حيوانات افريقيا**

هاشم النحاس
**نجيب محفوظ على الشاشة**

د. محمود سرى طه
**الكومبيوتر فى مجالات الحياة**

بيتر لورى
**المخدرات حقائق نفسية**

بوريس فيدوروفيتش سيرجيف
**وظائف الأعضاء فى الألف اليـاء**

ويليام بيك
**الهندسة الوراثية للجميع**

ديفيد الدرتون
**تربية اسماك الزينة**

احمد محمد الشنوانى
**كتب غيرت الفـكر الانسـانى**

جون . ر. بورر وميلتون جولدينجر
**الفلسفة وقضايا العصر ٣ جـ**

ارنولد توينبى
**الفكر التاريخى عند الاغريق**

د. صالح رضـا
**ملامح وقضايا فى الفن التشكيلى المعاصر**

م. هـ كنج وآخرون
**التغـذية فى البلدان النـامية**

جورج جاموف
**بداية بلا نهاية**

د. السيد طه السيد ابو سديرة
**الحرف والصناعات فى مصر الاسلامية منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى**

جاليليو جاليليه
**حوار حول النظامين الرئيسيين للكون ٣ جـ**

اريك موريس والان
**الارهاب**

سيرل الدريد
**اخناتون**

ارثر كيستلر
**قبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم**

ب. كوملاس
**الأساطير الاغريقية والرومانية**

توماس ا. هاريس
**التوافق النفسى ـ تحليل المعاملات الانسانية**

لجنة الترجمة
المجلس الأعلى للثقافة
**الدليل الببليوجرافى**
روائع الآداب **العالمية جـ ١**

روى ارمز
لغة الصورة فى **السينما المعاصرة**

ناجاى متشيو
**الثورة الاصلاحية فى اليابان**

بول هاريسون
**العالم الثالث غدا**

ميكائيل ألبى وجيمس لفلوك
**الانقراض الكبير**

آدامز فيليب
**دليل تنظيم المتاحف**

فيكتور مورجان
**تاريخ النقود**

محمد كمال اسمـاعيل
**التحليل والتوزيع الاوركسترالى**

ابو القاسم الفردوسى
**الشاهنامة ٢ جـ**

بيرتون بورتر
**الحياة الكريمة ٢ جـ**

جاك كرابس جونيور
**كتابة التاريخ فى مصر القرن التاسع عشر**

محمد فؤاد كوبريلى
**قيام الدولة العثمانية**

تونى بار
**التمثيل للسينما والتليفزيون**

تاجور ، شين يى بنج وآخرون
**مختارات من الآداب الآسيوية**

ناصر خسرو علوى
**سفرنامة**

نادين جورديمر وجريس اوجوت وآخرون
**سقوط المطر وقصص اخرى**

احمد محمد الشنوانى
**كتب غيرت الفكر الانسانى ٧ جـ**

جان اريس بورى وآخرون
**فى النقد السينمائى الفرنسى**

**العثمانيون فى أوربا**
بول كولز

موريس بير برايار
**صناع الخلود**

زيجموند هبنر
**جماليات فن الاخراج**

جوناثان ريلى سميث
**الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية**

الفريد ج. بتلر
**الكنائس القبطية القديمة فى مصر ٢ جـ**

ريتشارد شاخت
**رواد الفلسفة الحديثة**

ترانيم زرادشت
**من كتاب الأفستا المقدس**

الحاج يونس المصرى
**رحلات فارتيما**

هربرت شيلر
**الاتصال والهيمنة الثقافية**

برتراند راسل
**السلطة والفرد**

بيتر نيكوللز
**السينما الخيالية**

ادوارد ميرى
**عن النقد السينمائى الأمريكى**

نفتالى لويس
**مصر الرومانية**

ستيفن أوزمنت
**التاريخ من شتى جوانبه ٣جـ**

مونى براح واخرون
**السينما العربية من الخليج الى المحيط**

فانس بكارد
**انهم يصنعون البشر ٢ جـ**

جابر محمد الجزار
**ماستريخت**

ابرار كريم الله
**من هم التتار**

ج. س. فريزر
**الكاتب الحديث وعالمه ٢ جـ**

سوريال عبد الملك
**حديث النهر**
**من روائع الآداب الهندية**

لوريتو ترد
**مدخل الى علم اللغة**

اسحق عظيموف
**الشموس المتفجرة**
**اسرار السوبر نوفا**

مارجريت روز
**ما بعد الحداثة**

د. بيارد دودج
**الأزهر فى ألف عام**

ستيفن رانسيمان
**الحملات الصليبية**

هـ. ج. ولز
**معالم تاريخ الانسانية ٤ جـ**

جوستاف جرونيباوم
**حضارة الاسلام**

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ
**رحلة بيرتون الى مصر والحجاز ٣ جـ**

جلال عبد الفتاح
**الكون ذلك المجهول**

أرنولد جزل واخرون
**الطفل من الخامسة الى العاشرة ٢ جـ**

بادى أونيمود
**افريقيا – الطريق الآخر**

د. محمد زينهم
**فن الزجاج**

برنسلاو مالينوفسكى
**السحر والعلم والدين**

آدم متز
**الحضارة الإسلامية**

فانس بكارد
**انهم يصنعون البشر**

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ
**يوميات رحلة فاسكو داجاما**

ايفرى شاتزمان
**كوننا المتمدد**

سوندارى
**الفلسفة الجوهرية**

مارتن فان كريفلد
**حرب المستقبل**

فرانسيس ج. برجين
**الاعلام التطبيقى**

عبده مباشر
**البحرية المصرية من محمد على للسادات**

ج. كارفيل
**تبسيط المفاهيم الهندسية**

توماس ليبهارت
**فن المايم والبانتوميم**

ادوارد دوبونو
**التفكير المتجدد**

ريليام هـ. ماثيور
**ما هى الجيولوجيا**

كريستيان ساليه
**السيناريو فى السينما الفرنسية**

بول وارن
**خفايا نظام النجم الأمريكى**

جورج ستاينر
**بين تولستوى ودوستويفسكى ٢ جـ**

يانكو لافرين
**رومانتيكية والواقعية**

محمود سامى عطا الله
**الفيلم التسجيلى**

جوزيف بتس
**رحلة جوزيف بتس**

ستانلى جيه سولومون
**أنواع الفيلم الأمريكى**

هارى ب. ناش
**الحمر والبيض والسود**

جوزيف م. بوجز
**فن الفرجة على الأفلام**

كريستيان ديروش نوبلكور
**المرأة الفرعونية**

جوزيف نيدهام
**موجز تاريخ العلم والحضارة فى الصين**

ليوناردو دافنشى
**نظرية التصوير**

ت. ج. هـ. جيمز
**كنوز الفراعنة**

رودولف فون هابسبرج
**رحلة الأمير رودولف الى الشرق ٣ جـ**

مالكوم برادبرى
**الرواية اليوم**

وليم ماريسدن
**رحلة ماركو بولو ٣ جـ**

هنرى بيرين
**تاريخ أوربا فى العصور الوسطى**

ديفيد شنيدر
**نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر**

اسحق عظيموف
**العلم وآفاق المستقبل**

رونالد دافيد لانج
**الحكمة والجنون والحماقة**

كارل بوبر
**بحثا عن عالم أفضل**

نورمان كلارك
**الاقتصاد السياسى للعلم والتكنولوجيا**

السيد نصر الدين السيد
**اطلالات على الزمن الآتي**

ممدوح عطية
**البرنامج النووي الاسرائيلي والأمن القومي العربي )**

د. ليوبوسكاليا
**الحب**

ايفور ايفانس
**مجمل تاريخ الأدب الانجليزي**

هيربرت ريد
**التربية عن طريق الفن**

وليام بينز
**معجم التكنولوجيا الحيوية**

الفين توفلر
**تحول السلطة ٢ ج**

يوسف شرارة
**مشكلات القرن الحادي والعشرين والعلاقات الدولية**

رولاند جاكسون
**الكيمياء في خدمة الانسان**

ت. ج. جيمز
**الحياة أيام الفراعنة**

جرج كاشمان
**لماذا تنشب الحروب ٢ ج**

حسام الدين زكريا
**انطون بروكنر**

ونفرد هولز
**كانت ملكة على مصر**

جيمس هنري برستد
**تاريخ مصر**

بول داميز
**الدقائق الثلاث الأخيرة**

جوزيف وماري فيلدمان
**ديناميكية الفيلم**

ج. كونتنو
**الحضارة الفينيقية**

ارنست كاسيرر
**في المعرفة التاريخية**

كنت أ. كتشن
**رمسيس الثاني**

جان بول سارتر وآخرون
**مختارات من المسرح العالمي**

روزالند ، وجاك ياتسن
**الطفل المصري القديم**

نيكولاس ماير
**شرلوك هولمز**

ميجيل دي ليبس
**الفئران**

جوسيبي دي لونا
**موسوليني**

الويز جرايتر
**موتسارت**

روبرت سكولز وآخرون
**آفاق أدب الخيال العلمي**

ب. س ديفيز
**المفهوم الحديث للمكان والزمان**

س. هوارد
**اشهر الرحلات الى غرب افريقيا**

و. بارتولد
**تاريخ الترك في آسيا الوسطى**

فلاديمير تيماتيانو
**تاريخ اوربا الشرقية**

جابرييل جاجارسيا ماركيز
**الجنرال في المتاهة**

هنري برجسون
**الضحك**

د. مصطفى محمود سليمان
**الزلزال**

م. و. ثرنج
**ضمير المهندس**

أ. ر. جرني
**الحيثيون**

ستيلو موسكاتي
**الحضارات السامية**

د. البرت حوراني
**تاريخ الشعوب العربية**

ازرا ف. فوجل
**المعجزة اليابانية**

علي عبد الرءوف اليمبي
**مختارات من الشعر الاسباني**

محمود قاسم
**الأدب العربي المكتوب بالفرنسية**

---

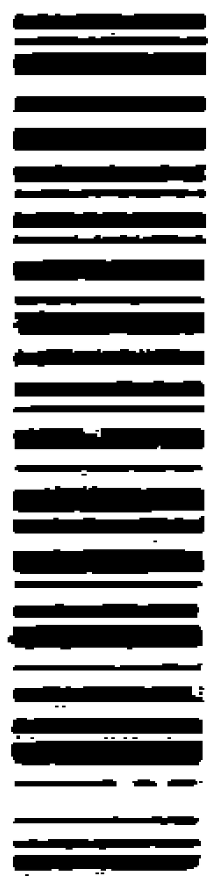
**مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب**

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٨/٥٨٤٩

ISBN — 977 — 01 — 5668 — X

تهدف الهيئة المصرية العامة للكتاب من مشروع الألف كتاب الثـــاني أن تواصـــل مســـيرة المشروع الأول لتكوين مكتبة متكاملة للقارئ العربي في شتى جوانب المعرفة عن طريـــق الترجمة والتأليف فضلا عن إعادة طبع أهم الأعمال الفكرية والعلمية والأدبية التي أسهمت في تكوين الثقافة المصرية والعربية في العصر الحديث والتي بات الاطـــلاع عليهـــا اليـــوم متعذراً لشباب هذا الجيل لقدم طبعاتها وفي هذا الإطار يسعى المشروع إلى تسليط الضـــوء على أهم القضايا الاستراتيجية والمعاصرة (أنظر قائمة الاصدارات في آخر الكتاب).

وإن الكتاب الذي نقدمه اليوم من تأليف الكاتب الفرنسي "إيمانويل هيمان"، يعـــالج ظـــاهرة الأصولية اليهودية، وقد سعى "هيمان" إلى إعادة قراءة التاريخ اليهودي على نحو معـــاصر بغرض التعرف على جذور الأصولية اليهودية. ويرصد هيمان في إطار قراءته النقدية لكافة مراحل التاريخ اليهودي كافة مظاهر الأصولية، ويستنتج على ضوء قراءته هـــذه أن فكـــر الأصوليين يتناقض على نحو بين مع فكر دعاة الديمقراطية والحداثة. ولا يكتفي المؤلف في عمله هذه بقراءة النصوص إذ يتطرق أيضا إلى مقاومة التيارات اليهودية المتشـــددة فـــي أوربا والولايات المتحدة وإسرائيل لكافة مظاهر التغيير والحداثـــة، وإصـــرار قـــادة هـــذه التيارات من الحاخامات على فرض عقائد متوحشة ودموية ومجنونة. ويعترف المؤلف بأن تلك التيارات المتطرفة على استعداد لفرض حلمهم المسيطر على الشـــعب اليهـــودي بكـــل وسيلة سواء أكان ذلك عن طريق صناديق الاقتراع أو عن طريق القوة.. فهـــم يتصـــورون أنهم ينفذون رسالة ربانية تسمو على أي اعتبار آخر حتى حقوق الإنسان أو الدا

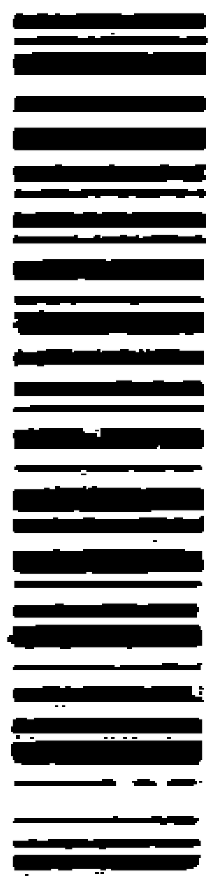



٦٥٠ قـــرشـــاً

مطابع الهيئة المصرية ال

تهدف الهيئة المصرية العامة للكتاب من مشروع الألف كتاب الثـــاني أن تواصـــل مســـيرة المشروع الأول لتكوين مكتبة متكاملة للقارئ العربي في شتى جوانب المعرفة عن طريـــق الترجمة والتأليف فضلا عن إعادة طبع أهم الأعمال الفكرية والعلمية والأدبية التي أسهمت في تكوين الثقافة المصرية والعربية في العصر الحديث والتي بات الاطـــلاع عليهـــا اليـــوم متعذراً لشباب هذا الجيل لقدم طبعاتها وفي هذا الإطار يسعى المشروع إلى تسليط الضـــوء على أهم القضايا الاستراتيجية والمعاصرة (أنظر قائمة الاصدارات في آخر الكتاب).

وإن الكتاب الذي نقدمه اليوم من تأليف الكاتب الفرنسي "إيمانويل هيمان"، يعـــالج ظـــاهرة الأصولية اليهودية، وقد سعى "هيمان" إلى إعادة قراءة التاريخ اليهودي على نحو معـــاصر بغرض التعرف على جذور الأصولية اليهودية. ويرصد هيمان في إطار قراءته النقدية لكافة مراحل التاريخ اليهودي كافة مظاهر الأصولية، ويستنتج على ضوء قراءته هـــذه أن فكـــر الأصوليين يتناقض على نحو بين مع فكر دعاة الديمقراطية والحداثة. ولا يكتفي المؤلف في عمله هذه بقراءة النصوص إذ يتطرق أيضا إلى مقاومة التيارات اليهودية المتشـــددة فـــي أوربا والولايات المتحدة وإسرائيل لكافة مظاهر التغيير والحداثـــة، وإصـــرار قـــادة هـــذه التيارات من الحاخامات على فرض عقائد متوحشة ودموية ومجنونة. ويعترف المؤلف بأن تلك التيارات المتطرفة على استعداد لفرض حلمهم المسيطر على الشـــعب اليهـــودي بكـــل وسيلة سواء أكان ذلك عن طريق صناديق الاقتراع أو عن طريق القوة.. فهـــم يتصـــورون أنهم ينفذون رسالة ربانية تسمو على أي اعتبار آخر حتى حقوق الإنسان أو الد





مطابع الهيئة المصرية ال

٦٥٠ قـــرشـــاً